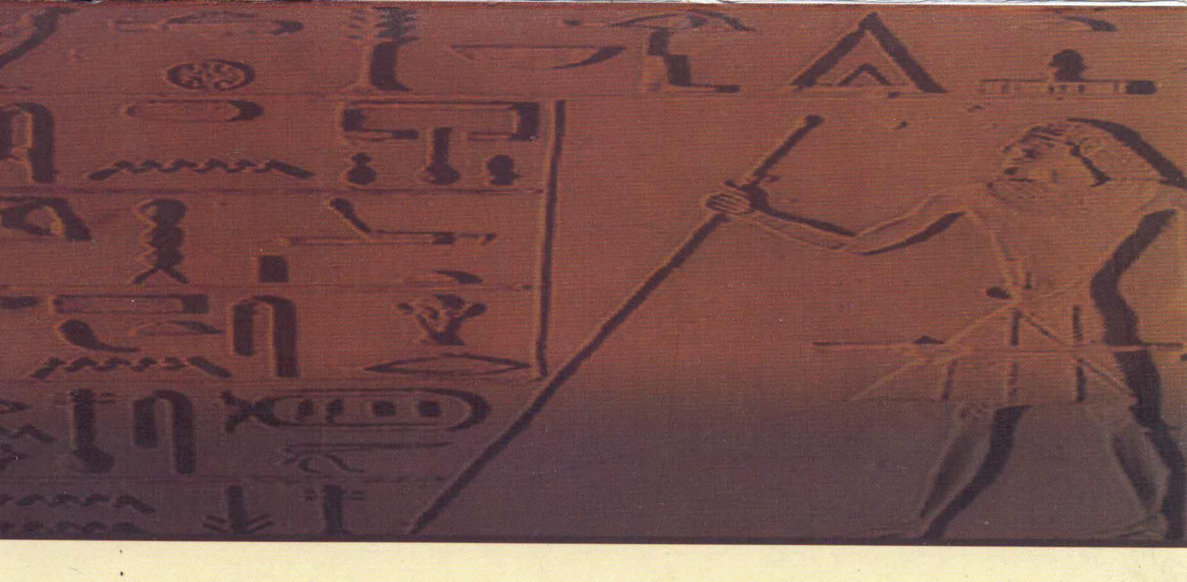


الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية

د. عفاف فوزى نصر



لا يستطيع أحد أن ينكر أن الحضارة المصرية القديمة من أقدم الحضارات الإنسانية، وأن المصريين هم الحكماء الكبار فى تاريخ الإنسانية، وأن مصر تعتبر مُعَلِّمة الإنسانية على حد تعبير هنرى توماس، وأن هؤلاء الحكماء المصريين كانت لهم فلسفة من وراء حضارتهم؛ وأن المدرسة الفلسفية المصرية القديمة كانت متناغمة ومتناسقة تجمع بين المدرسة الطبيعية والمدرسة الإلهية، وأن الفكرة الدينية عند قدماء المصريين كانت تسير فى شكل متوازٍ مع الفكرة الطبيعية، وكانوا يرجعون ظاهرات الكون الطبيعية إلى قوانين الطبيعة، وفى الوقت نفسه كانت معتقداتهم الدينية تهيمن على فكرهم وأخلاقهم؛ ولذلك نجد من أهم سمات المدرسة الفلسفية المصرية القديمة أنها تعطى دينًا وعلمًا.

ومن ثَمَّ جاء هذا الكتاب ليكشف النقاب عن دور الحضارة المصرية، وأثرها فى تاريخ الفلسفة القديمة.


ISBN# 9789779103273



الفلسفة المصرية القديمة
وأثرها على الفلسفة اليونانية

د. عفاف فوزى نصر



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٥

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج على

اسم الكتاب : الفلسفة المصرية القديمة
وأثرها على الفلسفة اليونانية
تأليف : عفاف فوزى نصر

الإخراج الفنى : إلهام عارف

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

نصر، عفاف فوزى.
الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفلسفة اليونانية/ عفاف فوزى نصر. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥.
٢٢٤ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٣ ٠٣٢٧ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الفلسفة المصرية القديمة.
٢ ـ الفلسفة اليونانية.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٣٠٨/ ٢٠١٥

I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0327 - 3

ديوى ١٨١,٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾

صدق الله العظيم

[سورة طه، الآيات ٢٥: ٢٨].

• إهـــــــداء

إلى نبع الحياة الفيّاض، إلى مَنْ أهداه إليّ رب السماء، إلى العطاء الـذى بـلا حدود، جزاك الله عنى خير الجزاء، ودُمت لى أبد الدهر يا أوفى الأوفيـاء.

إلى زوجى هشام..

• المقـــــدمــة

من خلال دراستى لرسالة الماجستير عن الأسطورة فى الفكر الفلسفى استطعت أن ألتقط خيوطًا كثيرة، وأن أجمع حقائق عديدة عن فكر قدماء المصريين ونظرتهم للطبيعة ورؤيتهم للكون وتعظيمهم للإله الحاكم ومعتقداتهم فى الحياة وما بعد الحياة ومصير الإنسان.

وقد حفزّنى ذلك فى الواقع على محاولة نسج فلسفة للقدماء المصريين من خلال تعميق الدراسة والبحث وسبر أغوار الحضارة المصرية القديمة للتعرف على ما وراءها من فلسفة صاغت معتقداتها وشكّلت أخلاقها وسجّلت أفكارها، وخاصة وأن الكاتب المصرى القديم كان عنوانًا لهذه الحضارة الضاربة فى أعماق التاريخ، وبالتالى لا يمكن أن يكون هناك كاتب بدون كتاب يسجل للمصريين فكرهم ومعتقداتهم ويعبّر عن فلسفتهم. وللأسف، لا نجد فى تاريخ الفلسفة ما يشير إلى الفلسفة المصرية ولا نجد كتابًا واحدًا يسجل سبق الفلسفة المصرية القديمة على فلسفة اليونان؛ إنما كل ما هنالك يؤكد أن اليونان هم أول من أبدع الفلسفة وأن تاريخ الفلسفة يبدأ من فكرهم، مع أن التاريخ يثبت أن طاليس وفيثاغورث وأفلاطون أساطين الفلسفة اليونانية قد تعلّموا من علم المصريين القدماء، ودرسوا على أيديهم ونهلوا من فكرهم ومعتقداتهم[1] الدينية والطبيعية واستفادوا من علم الرياضيات والهندسة المصرية القديمة. وقد أكد ذلك عدد من المؤرخين ليدحضوا زعم من قال إن اليونان هم أول من تفلسف وليؤكدوا

(١) كريم متّى: الفلسفة اليونانية فى عصورها الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٥، ص٢٧.

أن الفلسفة «محبة الحكمة» إنها تعنى أن كثيرًا من الحكماء والعلماء قد نزحوا لمصر منارة الشرق للتزود بالعلم والمعرفة، ويعزز هذا الاتجاه قول كليمان الإسكندرى «إن الفلسفة ليست صادرة فى أصلها عن اليونان، بل عن الشرق»[1] وأن جامعة آمون «هليوبوليس» عين شمس هى أول جامعة علمية عرفها العالم.

وكثير من الشواهد تؤكد أن طاليس مؤسس فلسفة اليونان (٦٢٤-٥٤٦ق.م.) قد تفلسف من حكمة المصريين القدماء[2]، وأن أفلوطين كان مولده بأسيوط فى صعيد مصر.

إذن لا يستطيع أحد أن ينكر أن الحضارة المصرية القديمة من أقدم الحضارات الإنسانية، وأن المصريين هم الحكماء الكبار فى تاريخ الإنسانية وأن مصر تعتبر مُعَلِّمة الإنسانية على حد تعبير هنرى توماس[3].

وأن هؤلاء الحكماء المصريين كانت لهم فلسفة من وراء حضارتهم وأن المدرسة الفلسفية المصرية القديمة كانت متناغمة ومتناسقة، تجمع بين المدرسة الطبيعية والمدرسة الإلهية، وأن الفكرة الدينية عند قدماء المصريين كانت تسير فى شكل مُتوازٍ مع الفكرة الطبيعية، وكانوا يرجعون ظواهر الكون الطبيعية إلى قوانين الطبيعة، وفى نفس الوقت كانت معتقداتهم الدينية تهيمن على فكرهم وأخلاقهم، ولذلك نجد من أهم سمات المدرسة الفلسفية المصرية القديمة إنها تعطى دينًا وعلمًا، دين توحيد سابق الأديان السماوية الموحدة، وعلومًا وفنونًا وحضارة عظيمة ومؤثرة.

ومن ثَمّ جاء موضوع رسالة الدكتوراه للبحث عن «الجذور الأساسية لفلسفة قدماء المصريين» لحل إشكالية الفلسفة المصرية القديمة ووضعها فى مكانها الطبيعى

---

(١) أفلاطون: الأصول الأفلاطونية – فيدون، ترجمة: نجيب بلدى وعلى سامى النشار، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦١، ص٢١٩.

(٢) أرسطوطاليس: فى النفس، تحقيق: عبد الرحمن بدوى. النهضة المصرية، ١٩٥٤، ص٩٧.
انظر: د. جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيون – العصر الأول، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١، ص٢٧.

(٣) فاتن عبد العظيم: الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الطبعة الثانية، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ١٩٩٦، ص١٦.

والصحيح بين الفلسفات، وكشف النقاب عن دورها وآثارها، وفى هذا ردٌّ على من أسقطها من التاريخ الفلسفى ولم يوفِّها حقها حتى تأخذ هذه الفلسفة مكانها الطبيعى فى تاريخ الفلسفة، ولتكون هذه الدراسة اللبنة الأولى لصياغة الفلسفة المصرية القديمة، وليسير الباحثون على هذا الدرب لاستكمال أركانها ومقوماتها، ولتُثبت للعالم أن للمصريين القدماء فلسفة خاصة سبقوا بها العالم وكان لها أثرها الواضح على فلسفة اليونان وحكمائها.

ولكى نوضح أصالة الفلسفة المصرية القديمة وأثرها على الفكر اليونانى سوف نطرح شخصيتين مهمتين ونقارن بينهما، إحداهما تمثل الفكر والفلسفة المصرية وهى شخصية الفيلسوف المصرى إخناتون وعلى الجانب الآخر نطرح شخصية الفيلسوف اليونانى أفلاطون وذلك لنرى الترابط الوثيق بين الشخصيتين، فشخصية إخناتون تحوى فى طياتها كثيرًا من الأفكار وبعض مناحى الحياة العقائدية والأدبية وبعض السياسات فى الحكم، والأفكار الإخناتونية تكاد تُوجد لكثير من أمور الحكم بعض المقوّمات الأساسية التى كانت تتناسب مع ظروف البيئة الطبيعية بين الفلسفات.

ويُعد إخناتون أول من قام بوضع فلسفة للمصريين، حيث أقام فلسفته على فكرة «الوصول إلى الحقيقة الكاملة للأشياء» مما شكّل الركيزة الأساسية فى نظرته إلى اللاهوت والفن المصرى القديم وشكل طبقات المجتمع وقام بوضع أساس لشرعية الحكم، وذلك فى إطار فلسفى ورؤية عقلية ودينية واضحة.

فقال بوجود الخالق الواحد، وبدأ يبحث فى صفاته واستخرج من تلك الصفات بعض المفاهيم، والقيم مثل الجمال والصدق والعدالة والحقيقة والفن وبذلك بدأ من الفكرة المركزية، والذى أوجدها لدى قدماء المصريين هى (الطبيعة) حيث فُرضت السلطة المركزية المُمثّلة فى وجود الملك، لأن الإمبراطورية المصرية جميعها تخضع لسلطان الملك الفرعون الواحد، بينما نجد عند اليونان أن الطبيعة لم تفرض عليهم السلطة المركزية، لأن اليونان كدولة كانت تنقسم إلى مقاطعات وكل مقاطعة تخضع لشخص بعينه وليس تحت لواء واحد، وقد تخلصت مدرسة عين شمس من الفكر الأسطورى على يد فيلسوفها ومخلّصها إخناتون ذلك الملك الفيلسوف الذى يعد كل

البُعد عن كيفية مواجهة الأخطار بقوة السيف، ولم يستطع إخناتون أن يتفهّم طبيعة مسئولية الحُكم وكان ينظر إلى أمور مملكته من خلال الوجهة الفلسفية وتأملاته المثالية العظيمة التى تتعلق بالكون والدين والأدب والفلسفة والفن... إلخ.

ولنوضح الأصول المصرية القديمة فى الفلسفة اليونانية نعرض لشخصية الفيلسوف اليونانى أفلاطون، وخاصة أنه أقام فى مصر ودرس فى جامعاتها ومعابدها ومدى تأثره بالعقائد المصرية القديمة.

وقد اهتم أفلاطون بالبحث فى طرق التفكير، ولم يضع له أُسسًا واضحة محددة فى أغلب الأشياء، مما أدى إلى ظهور المنطق الأرسطى فيما بعد ليحدد الأمور التى لم تتحدد من ذى قبل، لأن المنطق الصحيح يكمن داخل عقل الإنسان ويُشَكِّل فكره، وكذلك اهتم بالقيم الأخلاقية والنظم السياسية.

وقد قُسِّم البحث إلى بابين وخاتمة تسبقها مقدمة البحث، وكل باب يشتمل على فصلين.

الباب الأول: الوضع الثقافى والعلمى فى مصر القديمة.

الفصل الأول: الفلسفة الطبيعية والإلهية فى مصر القديمة.

الفصل الثانى: كيفية نقل الفلسفة المصرية القديمة إلى اليونان (حركة النقـل).

الباب الثانى: مقارنة بين إخناتون وأفلاطون.

الفصل الأول: إخناتون (بيئته - من تأثر بهم ومن أثّر فيه). الطبيعة والألوهية وأثرهما على فكر وفلسفة إخناتون. إخناتون وفكره السياسى. القَيم الأخلاقية عند قدماء المصريين. علاقة الفلسفة بالفن المصرى القديم.

الفصل الثانى: أفلاطون (بيئته العلمية - من تأثر بهم - رحلات أفلاطون).

فلسفة الطبيعة والألوهية عند أفلاطون وأثر الفكر المصرى القديم على فلسفته.

فكر أفلاطون السياسى من خلال عصره.

الأخلاق عند أفلاطون.

أثر الفن فى رأى أفلاطون

أثر فلسفة أفلاطون على من جاء بعده (أفلوطين نموذجًا).

الخاتمـــة وأهم النتائج.

كشاف مصطلحـات.

قائمة المراجع العربية والأجنبية.

الباب الأول

الوضــع الثقــافى والعلمــى في مصر القديمة

الفصل الأول

الفلسفة الطبيعية والإلهية فى مصر القديمة

• تمهيد

عوامل ظهور الفكر الفلسفى المصري

مصر[1] هبة النيل هكذا قالها هيكاتى دى ميلي[2] قبل هيرودوت (٤٨٤-٤٢٥ ق.م.)، فالنيل حياة المصريين، ولولاه لما كانت هناك حياة، وقد كتب «هيرودوت» ذلك فى كتابه الثانى بعنوان إيوتربى ويُعدُّ هذا الكتاب أقدم مؤلف تنفرد به مصر، فلقد كانت حضارتها حتى فى زمن هيرودوت حضارة عريقة ضاربة فى القدم. وقد كتبه «هيرودوت» بعد أن قام بزيارة مصر مرتين (عام ٤٦٠، ٤٤٧ق.م.) تقريبًا، لذا جاءنا كتابه هذا خلاصة صادقة لمشاهدات مفكر يتمتع بعين ثاقبة.

---

(١) كلمة مصر تعنى قبط وتعود إلى كلمة (آجبه) أى أرض الفيضان أو تعبير (حـ. ت كا. بتاح) وتعنى مقر قرين الإله (بتاح) وهو إله مدينة منف، وكان التقليد قد جرى عند المصريين على تعميم الاسم على البلد كله، وباختلاف نطق الحروف من شعب لآخر وإسقاط بعض الحروف واستبدالها تحولت الحاء إلى هاء وأسقط حرف التاء لتصبح الكلمة «هكا بتاه» وفى اللغة اليونانية أصبحت الهاء همزة والـ كا. چيبا. وأضيفت إليها النهاية اليونانية وأصبحت إيجبتوس Aegyptus، وانتقلت الصيغة اليونانية إلى أوروبا، مع إسقاط النهاية (us) والإبقاء على جذر الكلمة وعرفت فى الإنجليزية Egypt والعربية مع التصحيف بـ «قبط» بعد حذف Ae اليونانية والإبقاء على أصل الكلمة الرئيس gypt، وأصبحت قبط تعنى مصر والقبط هم المصريون المسيحيون والمسلمون.

د. رأفت عبد الحميد: الفكر المصرى فى العصر المسيحى. دار قباء بالاشتراك مع هيئة الكتاب، ص١٢، ١٣، د.ت.

(٢) هو مؤرخ يونانى عاش فى نحو سنة ٥٢٠ق.م. وزار مصر وكتب عنها قبل هيرودوت وقال «إن مصر هدية من النيل» ورددها بعده هيرودوت دون أن يذكر المصدر الذى نقل عنه.

عبد القادر حمزة: على هامش التاريخ المصرى القديم، المجلد الثانى. القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤١، ص٢٤.

ويقول هيرودوت إن أرض مصر تتمتع بخصوبة تربتها، ويبلغ طول شاطئها على البحر الأبيض ٤٢٠ ميلًا والطريق من البحر حتى هليوبوليس طريق منبسط خالٍ من الينابيع، وتكثر به المستنقعات (الدلتا) ويبلغ طول هذا الطريق ١٧٠ ميلًا، ويضيق وادى النيل تدريجيًا من هليوبوليس نحوًا على النيل.

ويعرب عن اعتقاده بأن شمال مصر كان فى وقت ما خليجًا للبحر. ويحاول معرفة سبب ارتفاع النيل صيفًا وانخفاضه شتاءً، على عكس معظم الأنهار الأخرى التى ترتفع فى الشتاء بفعل الأمطار. ويرجع السبب فى ذلك إلى تغيير الشمس لمجراها فى الصيف مما يعمل على سرعة التبخير والتكثيف[١].

وكان النيل يأتى متدفقًا من جبال الحبشة ليُحيى أرض مصر ويرويها من خيره الوفير، وكان الفلاح المصرى أصيل المنبت يدرك أهمية النيل، وكان لزامًا عليه أن يجدّ حتى يستفيد من تلك الهبات التى وهبتها له الطبيعة، ليزرع ويحصد ويقوم بتخزين الفائض لاستغلاله وقت الحاجة[٢]. وهكذا أصبحت دورة الحياة فى الطبيعة متكاملة العناصر، وتلك ظاهرة لا نكاد نجدها فى نهر آخر من أنهار العالم، فقد ميّزت هذه الظاهرة أرض مصر منذ فجر التاريخ، وربما كانت العامل الأساسى لاستمرار الحياة والحضارة وتجددهما فى مصر على مر السنين.

وعندما تكوَّن وادى النيل لم يتعرض فى عصور ما قبل التاريخ لمخاطر عصر الجليد، بل كان مُحتميًا بمياه البحر المتوسط الفاصلة بينهما، وتكشفت على أرض مصر أقدم الجبانات المعروفة فى العالم كله، لنجد أن هؤلاء المصريين هم أقدم مجتمع عظيم على الأرض، حيث استطاعوا أن يضمنوا لأنفسهم غذاءً ثابتًا، وذلك باستئناس الحيوانات البرّية وتفوقهم على المعادن مما جعلهم يخترعون أقدم نظام كتابى والسير قُدمًا نحو الحضارة والتقدم[٣]. وجعلتهم يكوِّنون مجتمعًا إنسانيًا متقدمًا وتسببت فى توحيد

(١) فاروق فريد: التاريخ الجامع لهيرودوت، العدد ٦، المجلد الخامس «تراث الإنسانية»، ص٤٥٧، ٤٥٨.

(٢) جون ويلسون: الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد فخرى. النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣، ص٣٥، ٣٦.

انظر: عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٢، ص٨٥.

(٣) جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، هيئة الكتاب، ١٩٩٩، ص٢٩، ٣٠.

الجماعات، فتكوَّن أول مجتمع عظيم تحت لواء ملك واحد يحكمهم حضاريًا وحكومة مركزية قوية وذلك عام ٤٠٠٠ ق.م.

وهذا النظام يُعَد أقدم نظام إنسانى معروف ينشأ فى وادى النيل باعتباره أول مسرح اجتماعى تتضح فيه صورة الإنسان الذى ظل فى كفاح دائم مع الطبيعة، حتى بات منتصرًا ليواصل كفاحه الشاق بينه وبين نفسه مع استمرار الحـياة.

ومن ثَمَّ فقد أدرك المصريون أهمية نهر النيل وواديه وأدركوا أنه أساس الحياة؛ فألّهوه وسموه حابى ومعناه النيل السعيد، وكانوا يترنمون بمديحه وذكر نعمه وفضائله[١].

وكان انكماش نهر النيل فى مجراه ربيعًا وارتفاع منسوبه صيفًا سببًا فى غرس الثقة فى نفس المصرى. وبث مولده المتكرر عقيدة راسخة لديه بأنه يستطيع هو الآخر أن ينتصر على الموت ويحيا حياة أبدية مثل هذا النهر العظيم، فهو مقياس كل شيء[٢]، وبدأ الناس يؤمنون بالبعث ويدعون إلى حياة طاهرة، وبدءُوا يتقبلون فكرة الحكم الملكى كأمر طبيعى. ولم يخطر ببال أحد أن يؤخذ رأى الناس فى الطريقة التى يحكمون بها، كذلك قبلوا حكم الآلهة وآمنوا بها، لاعتقادهم أن خوارق الطبيعة وما يتخللها من كوارث هو من فعل الآلهة[٣].

كذلك نجد أن الشمس كان لها دور بارز فى حياة المصرى القديم لا يقل أهمية عن فضل النيل، لأنها كانت منتظمة دائمًا، فكانت تسبح فى سماء صافية ثم تغرب لتعود ثانية صباحًا بنورها المشرق لتنشر دفئها بعد الظلام والليل البارد، وبالرغم من أشعة الشمس القوية فإن المصرى كان يتحملها؛ لإيمانه القوى بأنها تغمر الكون كله بتلك الأشعة، وكأن الشمس تنتصر على الموت مثلها مثل النيل، ولأنها كانت تموت كل ليلة وتولد من جديد مع الصباح، فكان ذلك له أثر كبير فى نفس المصرى وشعوره بأنه يستطيع أن يقهر الموت كما فعل النيل والشمس[٤].

---

(١) ماسبيرو: تاريخ المشرق، ترجمة: أحمد زكى بك، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية الكبرى، ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧، ص٨.

(٢) إميل لودفيغ: النيل حياة نهر، ترجمة: عادل زعيتر، الهيئة المصرية للكتاب، ص٤٥٣.

(٣) جيمس هنرى برستيد: تاريخ الحضارات الشرقية القديمة (انتصار الحضارة)، ترجمة: أحمد فخرى. مطبعة وزارة التعليم، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ص١٦٩.

(٤) جون ويلسون: الحضارة المصرية القديمة، ص٤٥.

ومن ثَمَّ نجد أن فضل النيل لم يقتصر فقط على أنه واهب التربة الخصبة والماء والحياة للإنسان فحسب، بل كان كذلك شريانًا للمواصلات وعمل على وحدة أجزاء مصر كلها، وهذا التكامل الواضح بين عناصر البيئة الطبيعية فى مصر قد أدى إلى نشأة الفكر التأملى فى مراحله الأولى، فبدأ العقل المصرى يتخذ طريقه الجديد فى مجال الفكر، لينتج لنا أنواع المعارف والعلوم المختلفة(١).

فالطبيعة قد وهبت أرض مصر موقعًا متميزًا وجمالًا يفوق الحدود، فمن يتأمل ما بين الحقل الأخضر والصحراء ذات اللون الأصفر، ومن يشاهد هذا المنظر من الطائرة المتجهة إلى الشمال لا يكاد يصدق أنه شيء حقيقى. وإنما خيال، بل إن هناك خريطة تحت قدميه دالة على النحو الذى يتغلب به الماء على الرمل والذكاء على الماء وعلى النحو الذى ينتصران به على الشمس(٢).

وكان الإنسان عندما ينظر حوله يجد كل شيء متشابهًا تقريبًا، فما يراه فى الضفة الغربية يراه كما هو فى الضفة الشرقية وذلك من مساحات خضراء وامتداد للصحراء.

وهذا التشابه فى مناظر الطبيعة يُبرز ما هو شاذ إبرازًا قويًا، فعندما كان الإنسان يرى كل ما هو غريب عن المألوف رؤيته، كان هذا الشيء يتميز بشخصية فردية.

فالإنسان الذى عاش على اتصال وثيق بالطبيعة وارتبط بها فى تسيير حياته اليومية، جعلته يُضفى عليها حياة خاصة، وأصبحت تفوق كل ما فى الوجود، لأنها تختلف عما حوله فى الطبيعة وجعلها فى مكانة عالية، كأن فيها روحًا تتحرك، وكان المصريون يشخصون كل شيء تقريبًا ويمنحونه شرف الوصول إلى مرتبة الآلهة أو أنصاف الآلهة(٣).

إذن فشعب مصر نما وتكوَّن بفضل نِعَم الله عليه من شمس ونيل، فنجده مدينًا للشمس بالقناعة والمرح، وللنيل بروح النظام والطاعة. وهنا قامت دولة فجعلت من

---

(١) محمد شفيق غربال وآخرون: تاريخ الحضارة المصرية – العصر الفرعونى. المجلد الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص١٦.

(٢) إميل لودفيغ: النيل حياة نهر، ص٤٥٤.

(٣) هنرى فرانكفورت: ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، راجعه: د. محمود الأمين، بغداد، ١٩٥٤، ص٤٨، ٤٩.

فرعون إلهًا، ومن العمل ضرورة، ومن الرّى فنًا ومن العقلى والجليّ مبدأ. وبالرغم من قلة الأغنياء فإنهم كانوا يفرضون على الفقراء أعباء العمل اليدوى. وخاصة أعمال الرى. ولكن هؤلاء الفقراء كانوا يعملون بنفسٍ راضيةٍ راضين بعملهم وحياتهم يستمدون قوتهم من قوة شمس مصر وصفاء جوها، ويجعلون سخاء النهر العظيم الموزع للحياة والناس هبات الحياة على ضفاف النيل مع ما يُثقل كواهلهم من أعباء، والقنوات قصيدة هؤلاء الناس والأسداد رواياتهم والأهرام فلسفتهم[1].

كما لعبت العقيدة الدينية دورًا مهمًا فى النفس الإنسانية، فهى لازمة لحياة الإنسان ولا يستطيع أن يحيا بدونها ولأن الدين هو الذى يُفسِّر للإنسان سر هذا الكون، فأخذ الإنسان ينظر حوله يتفحص كل شيء موجود بالطبيعة التى يحيا بها ولها. فوجد الحيوان وارتبط به ارتباطًا وثيقًا وكان لابد من وجودهما معًا فى حياة واحدة، ولكنه استطاع أن يستأنس بعض هذه الحيوانات ويطوّعها لرغباته، وما لبثت انفعالات الحيوان أن تدخلت فى تشكيل حياة الإنسان، فاستلهم من صراخها لغة التخاطب ومن تجمعاتها فى تشكيل الأسرة ثم الدولة، وإبقاء الحيوان على النسل دفع الإنسان إلى فكرة الزواج، وغريزة الخوف والفزع لدى الحيوان من الأشياء المجهولة جعلت الإنسان يؤمن بوجود خوارق طبيعية قوية لا يراها ولكن يجب احترامها ويخافها اتقاءً لشرها ولهذا نشأت العقيدة الدينية، وحيث أن الإنسان كان يريد لنفسه معبودًا يلجأ إليه ويتأمل فيه ليسمو بنفسه من اضطرابات حياته اليومية إلى عالم أفضل، تلك الطبيعة الإنسانية هى التى دفعته لإنشاء معبودات ذات أشكال مختلفة تتفق وطبيعة البلاد التى يقطنها الإنسان، فمثلًا الذى يقطن شواطئ البحار فآلهته تختلف عن الذى يقطن السهل أو الغابة...[2].

وقد رأى المصرى القديم قوة آلهته مجسّمة فيما حوله من آثار الطبيعة التى يتعايش معها من أشياء مجسمة، واعتبر هذه الأشياء ما هى إلا رموزًا لقوة عُليا بعيدة عن تفكيره

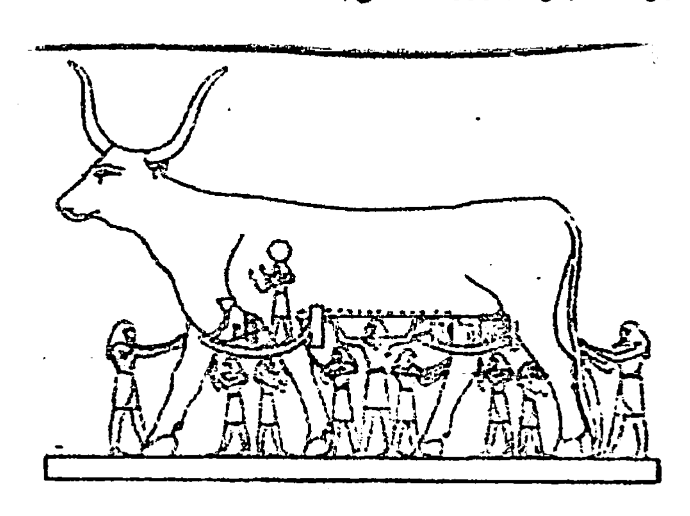
---

(١) إميل لودفيغ: النيل حياة نهر، ص٤٥٠.

(٢) أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى. الهيئة المصرية للكتاب، ص٥.

ولا يستطيع تفسيرها، لذلك لجأ بتفكيره إلى أن هذه المخلوقات التى وجدت معه فى الطبيعة لها أرواح طيبة وأخرى شريرة، ويستطيع أن يتجنب ضرر هذه الأرواح الشريرة وإرضاءها ويمكن له أن يستعين بها فى مساعدته بطرق سهلة(١).

وتخيل أيضًا وجـود هذه الأرواح فى السماء وأجرامها لعلاقتها القوية بمعتقداته الدينيـة، وكانت مصر تُمثل لدى المصرى القديم العالم بأسره، وكان يتصور السماء بأشكال عديدة، فكان يعتقد أنها على شكل طبق مفلطح تتدلى منه النجوم الثواقب كأنها مصابيح معلّقة، وكذلك كان يرى أنها على شكل بقرة مثبتة فى مكانها بعدة آلهة صغيرة ومحمولة إلى أعلى، ومن بطنها تتدلى النجوم، وكان يعتقد أن إله الشمس يسبح نهارًا على ظهر هذه البقرة فى زورق خاص به(٢).



السماء فى هيئة بقرة

(١) جيمس هنرى برستيد: تاريخ مصر من أقدم العصور حتى العصر الفارسى. ترجمة: حسن كمال، راجعه: محمد حسنين الغمراوى. الألف كتاب، العدد ٦٨، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧، ص٥١.

انظر: د. محمد جمال الدين مختار: تاريخ مصر والعالم القديم، ١٩٧٦، ص٣، ٤.

(٢) أ. شبندروف: ديانة قدماء المصريين، تعريب: سليم حسن، مطبعة المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٢٣، ص٢٧، ٢٨.

وول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: د. زكى نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، المجلد الأول، الجزء الثانى. ١٩٧١، ص١٥٦.

واعتقد الذين تخيلوا السماء بقرة أن الشمس كانت تشرق بهيئة عجل، واعتقد الذين تخيلوا السماء امرأة أن الشمس تشرق بشكل طفل مولود يجوب السماء فى سفينة سماوية متجهًا نحو الغرب، حيث يأفل شكل رجل هَرِم موشك على الهلاك[1].

ولما كانت تنقلات المصرى كلها بواسطة السفن فوق سطح النيل الفيّاض، فنراه قد تخيل الشمس والقمر والنجوم تتحرك فى السماء فوق سفنه، فى هذه الحالة لابد وأن تكون السماء بحرًا خضمًا هى الماء البارد أو البحر الذى يجرى تحت بطن الإلهة نوت، وبذلك نرى كيف انسجمت هذه التصورات بعضها مع البعض الآخر، وإذا كانت السماء عبارة عن بحر كبير فقد بقيت فى الوقت نفسه فى خيال المصرى هى بطن البقرة أو بطن الإلهة، ومن تلك المياه الحيّة الموجودة فى السماء يأتى لنا المطر الذى يفيض على الإنسان وأرضه وقت الجفاف[2].

مما سبق يتضح لنا أن البيئة المصرية والعقيدة الدينية قد لعبتا دورًا مهمًا فى غرس بعض المفاهيم العقلية والأفكار التأملية لكل ما هو موجود بالطبيعة وتجسيد كل ذلك على شكل أفكار فلسفية تأملية، تكشف النقاب عن كل ما هو محجوب عن العقل والبصيرة، وتُشفى صدور السائلين وتجيب عن أسئلتهم واستفساراتهم الخاصة بالطبيعة والكون والدين والعالم الآخر.

مما أدى إلى ظهور بعض النظريات التى تفسر خلق العالم لدى المصرى القديم، وطرح العديد من الأسئلة الخاصة بعملية الخلق، والتى قامت بتفسيرها أيضًا بعض الأساطير المصرية القديمة. وهذا ما سوف نوضحه من خلال الصفحات القادمة.

نشأة الكون وبزوغ الفكر الفلسفى المصري :

إن الحضارة المصرية استمدت قدرتها على البقاء بالرغم من الغزوات الأجنبية التى تعرضت لها، حيث الطبيعة الهادئة والموقع الجغرافى المتميز، مما كان له عظيم الأثر على

(١) چيمس هنرى برستيد: تاريخ مصر من أقدم العصور حتى العصر الفارسى. ص٥٢.
(٢) أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ص١٧.

سكان مصر القديمة، ويمكن للعادات والتقاليد المفطورة فى نفوس المصريين أن تحيا دائمًا دون تغيير، مما دعا البعض للقول «بالطبيعة المحافظة للمصريين» لأنها أتت من إيقاع الحياة الهادئ البطيء فى وادى النيل، حيث الحياة الهادئة دون حدوث أى مفاجآت أو خوارق طبيعية تكدّر على المصرى صفو حياته الهادئة، وحيث تتشابه الأيام فى الماضى والحاضر، حيث النشاط الزراعى لأغلب السكان القائم على ماء النيل وقوة الشمس الساطعة. وكما تعكس الأساطير المصرية البيئة الطبيعية لوادى النيل، حددت جغرافيته صورة العالم فى عقول المصريين، فلقد اعتقدوا أن العالم هو عبارة عن سهل مستوٍ كأرض وادى النيل التى كان المصرى القديم لا يرى سواها ولا يعتقد بوجود أرضٍ أخرى تحظى بحب الطبيعة لها ومنحها إياها كل سُبل الحياة الكريمة.

وتمتد من فوقه السماء كطبق مسطّح، ترفعها دعائم أربع فى أركان العالم[1] أو تستند إلى جبلين فى طرفى الأرض، وهذه الصورة متأثرة بشكل المرتفعات الصحراوية التى كانت تمتد كالجدران على طول وادى النيل. وكان لهذا أثر بالغ فى الاتجاه الذاتى القوى فى التفكير.

وظلت فكرة أن الصحراء تحد أطراف العالم كله مسيطرة على عقل المصرى القديم حتى بعدما اكتشف وجود دول أخرى على حدود دولته.

وتوجد أحيانًا فى مناظر تقديم القرابين للمتوفى على جدران المقابر عبارة تقول: «جاء كل شيء من ضِياع ومدن مصر السفلى والعليا ومما بين حافتى الصحراء».

ومن ثَمَّ نجد أن البيئة قد أثّرت تأثيرًا قويًا فى فكر المصرى القديم وجعلته يعتقد أن هذا الكون يحيط به هو وحده، وأنه الوحيد الذى يستطيع أن ينسجم مع تلك الطبيعة.

---

(١) المقصود بها آلهة الكون الأربعة أبناء (حورس) والتى وردت الإشارة إليها فى متون الأهرام وكانوا يصاحبون المتوفى فى العالم السفلى، وهم يمثلون (حابى) ويرمز إلى الشمال، و(دواموتف) ويرمز إلى الشرق، و(مستا) ويرمز إلى الجنوب، و(قبحسنوف) ويرمز إلى الغرب. وعندما يدخل المتوفى إلى «سخت - انرو» يرشدونه ويقف كل اثنين بجانبه ليخلصاه من الشعور بالجوع والعطش ويقومان بحمايته. وكانت فى الأصل أعمدة السماء الأربعة التى تدعم السماء.

والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. ترجمة: فيليب عطية، مكتبة مدبولى. الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص٢٠٥.

وكان المصرى تصيبه الدهشة عندما يرى شيئًا يشذ عما حوله، فكان يسمى نهر الفرات بالمياه المعكوسة التى تجرى من الشمال إلى الجنوب، عكس نهر النيل الذى ينبع من اتجاه الجنوب، ولذلك اعتقد أن نظام الأرض قد أقرّته الآلهة منذ بدء الخليقة على هذا النحو، مما أدى ذلك إلى قدرة الحضارة المصرية على الثبات والازدهار رغم كل ما تعرضت له من أخطار[1].

خُلق الإنسان على الفطرة، يُميزه العقل عن سائر المخلوقات الأخرى، فهو الركيزة الأساسية المهمة التى يرتكز عليها الإنسان، لكى يصل إلى التفكير المنظم الذى يُجيب على تساؤلاته المهمة عن الكون والطبيعة.

وظل الإنسان يفكر كثيرًا فى سر خلق الكون ذاهبًا إلى ما وراء الميثولوچيا[2] Mythology بما هى تاريخ إلهى وصولًا إلى النبع الأول الذى انبثق منه الواقع، من أجل التعرف على رحم الوجود وإماطة اللثام عن سر خلق الكون والوجود، وذلك بالتفكير المنظم الذى يسعى إلى التعرف على البدء المطلق وفهمه[3]. حيث أن الشك بداية الفكر والتساؤل بداية الفلسفة.

وعندما نسأل الفلاسفة الذين قرأنا تاريخهم وأفكارهم فى أول سطر خطَّه التاريخ من صفحات الكون حتى الآن، على أنهم ملهمون وعقولهم فوق مستوى عقول البشر. وكذلك عندما نسأل الحكام الذين ملكوا هذا العالم، على أنهم من سلالة الآلهة خالقة هذا الكون، والذين لهم الحق المقدس فى قيادة وحكم وامتلاك كل ما على ظهر هذه الأرض فى الحياة الدنيا ـ فإنهم يقررون بأنهم لا يدرون! إذن فالإنسان أصبح مثل

---

(١) أ. ج. سبنسر: الموتى وعالمهم فى مصر القديمة، ترجمة: أحمد صليحة، الألف كتاب الثانى - ٣٩، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧، ص٢٤.

(٢) الميثولوچيا Μυθολογια هو العلم الذى يختص بدراسة الأسطورة، من حيث أنها القصة الخيالية التى تبرز قوى الطبيعة فى صور كائنات حية وتُستخدم فى عرض فكرة أو مذهب عرضًا شعريًا قصصيًا مثل أسطورة الكهف عند أفلاطون.
د. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفى. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص١٣.

(٣) مرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، ترجمة: نهاد خياطة، دار كنعان للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص١٠٨.

الحيوان لا يدرى ؟ لأن الحيوان فضلًا عن أن له عقلًا أقل ذكاءً من عقول البشر، فهو لا يدرى قطعًا عن خلقه شيئًا. ونحن بنى الإنسان نملك عقولنا التى تفوق عقل الحيوان آلاف المرات أصبحنا فى هذه الناحية مثله لا ندري[1].

لذلك نجد أن من الناس من ترك هذا الموضوع الخاص بالكون وخالقه، لأنه لم يستطع أن يصل إلى أى إجابة مرضية تجيب على تساؤلاته، والبعض الآخر ظل ينتظر لعل بعض الباحثين المهتمين بهذا الصدد يستطيع من خلال بحثه كشف النقاب عن هذه الأسرار الخفية وحل مشكلة خلق الكون.

كان المصرى القديم يؤمن إيمانًا راسخًا بقدرته وتفوقه فى كافة مجالات العلم والمعرفة مما جعله لا يتأثر بثقافات الغزاة الأجانب، بل اعتمد على تأملاته الشخصية للبيئة المحيطة به، وأدرك أن هناك مشكلات تتعدى الظواهر المجردة. ولقد أحسّ بمشكلة الأصل ومشكلة الغاية، غاية الوجود، وأدرك أن هناك نظامًا للعدل لا تراه العين، وقرن هذا النظام غير المرئى بالنظام المرئى، بما فيه من ظواهر تعاقب الليل والنهار والفصول التى تُبقى عليها الشمس.

وظل يتساءل عن كيفية خلق الكون ومِمَّ خلق ومَنْ الذى قام بعملية الخلق ؟

ولكننا نجد أن مشكلة أصل الحياة ونشأتها على الأرض لمن المشكلات الشائقة المثيرة، فقد مر التفكير فى أصل الحياة ونشأتها بمراحل عدة على مر العصور وفقًا لازدهار الفكر والثقافة الإنسانية فى تلك العصور أو ركودهما.

ولا شك أن بعض الآراء التى تواترت إلينا كانت فلسفية محضًا أو جدلية عقيمة. كما كان من هذه المراحل أيضًا الطور المعملى التجريبى بغية إثبات نشوء الحياة من مادة عديمة الحياة عن مجرد التفكير فيها لهذا السبب نفسه.

ونعتقد أن الدين براء من مثل هذا الافتراء، فالدين لم يُحرِّم البحث العلمى فى قضايا الكون والحياة.

---

(١) د. عبد الدايم البقرى الأنصارى: الله الخالق أو نظرية الألوهية ونظرية الخلق، الأنجلو المصرية، ١٩٨٥، ص١١.

ونجد أنه خلال العصور الوسطى كان مجرد التفكير فى كروية الأرض يُعد إلحادًا وشعوذة[١].

وكان من يدّعى أن الأرض كروية فهو كفر وضلال، فمعلم الكنيسة لاكتانتيوس يتساءل مستنكرًا: «هل هذا من المعقول ؟ أيعقل أن يُجنَّ الناس إلى هذا الحد، فيدخل فى عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض وأن أقدام الناس تعلو رءوسهم ؟».

لقد كانت الأرض بالنسبة إلى بعض الناس تلًا تدور الشمس حوله ما بين الشرق والغرب، وبالنسبة للآخرين مسطحًا تحيط به المحيطات.

فقد قضى بهذا التفكير الساذج على تطور العقل البشرى فى العصور السابقة، وعاد عصر الملاحظة البدائية والتفكير المشعوذ إلى الحياة من جديد[٢].

فالكون من حولنا مليء بالأسرار العجيبة، ويسير وفقًا لنظم وقوانين بديعة الصنع فائقة الحبك، تعمل بمقتضاها تلك الظواهر الكونية التى تتجلى لنا بين كل يوم وليلة من تعاقب الليل والنهار وجريان الشمس والقمر واختلاف أوجه القمر واختلاف الفصول وجاذبية الأرض وغير ذلك[٣].

ولكننا نجد أن عقول الناس تُبهر بما يتجمع لدى الذهن[٤] من شمولية ذلك النظام الذى يسود الطبيعة[٥]، فهذا النظام لا يدركه إلا العقل الإنسانى. وهو فى الوقت نفسه يفترض له عقلًا يتصوره ويبدعه.

---

(١) د. أنور عبد العليم: قصة الحياة ونشأتها على الأرض، دار القلم، ١٩٨٥، ص٣، ٤.

(٢) زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقى. منشورات المكتب التجارى. بيروت، ١٩٦٩، ص٣٧٠.

(٣) د. أنور عبد العليم: قصة الحياة ونشأتها على الأرض، ص٤.

(٤) Mind يطلق على التفكير وقوانينه أو مجرد الاستعداد للإدراك وهو أيضًا ما به الشعور بالظواهر النفسية المختلفة.

(د. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفى. ص٨٨).

(٥) Nature بوجه عام جملة الكائنات فى نظمها المختلفة من أرض وسماء وتسمى «كوسموس» أو الكون وتقابل الإنسان. وبوجه خاص، ما يميز الشيء من غيره وطبيعة الشيء هو سر نموه وتغيره وحركاته المختلفة. وتطلق الطبيعة أيضًا على المألوف وتقابل الخارق للعادة، وتطلق ضمنًا على المبدأ الأساسى لكل حكم معيارى فقوانين الطبيعة هى القوانين المثالية التى يحاول المرء محاكاتها فى سلوكه.
المرجع السابق، ص١١٢.

ووراء هذا الملمح العقلى سعى كثير من العقول لتصور علة لهذا الإبداع الشمولى المتمثل فى نظام العالم وأسرار خلقه[1].

ولم يستطع أحد إدراك أن الوجود بكل ما فيه، من صُنع قوة أعلى تُسيطر على جميع القوى، وتُمسك بزمامها قوة جبارة عاقلة، لا يمكن أن ترقى إلى فهم وتصور كنهها قدرتنا على التفكير التى لا تتعدى حدودًا معينة ! وهذه أمور تدعونا إلى الاعتقاد بما لا يقبل الشك بأن كل ما نلمسه فى أنفسنا وفى غيرها من الكائنات الحيّة التى تحيا على الكرة الأرضيّة الطائرة فى الفضاء اللا نهائى مع ملايين من الكواكب والنجوم إلى أبعد ما يمكن أن يمتد إليه بصرنا فى أعماق الكون ولا يمكن أن يحدث هذا نتيجة الصدفة، بل من صنع قوة عاقلة، تلك القدرة على التدبير والتخطيط وتعلم وسائل ما تفعله وأسبابه ونتائجه[2].

ومن ثَمَّ فلابد من وجود قوى عظيمة وراء هذا الكون الكبير والتى بدأت تأخذ طريقها للعقل الإنسانى بادئة بالمصرى القديم، بوصفه أول من آمن بوجود هذه القوى بالرغم من أن الجميع كانوا يعرفون أنه قبل عملية خلق الكون كان يوجد فراغ لا حدود له، فضاء مائى مياهه ساكنة وخاملة، لا حراك فيها مطلقًا، يحيط به ظلمات مطبقة. ولكنها لم تكن بظلمات الليل، لأن الليل والنهار لم يكونا قد خُلقا بعد. ومن أجل هذا الوصف بدأت النصوص تستهل الكتابة عنها متبعة أسلوب النفى. فقدمت قوائم بكل ما هو غير موجود، وتصور لنا العناصر الأساسية لخلق العالم فى مفهوم المصريين من خلال نفى وجودها.

فلم يكن هناك أى وجود للسماء والأرض ولا للآلهة والبشر. وعوامل الغضب والصراع لم يكن لها وجود كذلك.

ولكن ماذا عن الحياة ؟ هناك فقرة فى نصوص التوابيت تقدم لنا بعض العناصر للإجابة عن هذا السؤال، فها هو رب الأرباب الخالق يحكى عما حدث قبل عملية

---

(١) د. نظمى لوقا: الألوهية ومحاكمة العقل، مكتبة غريب، القاهرة، ص١٥٤.

(٢) يوسف عز الدين عيسى: الله أم الطبيعة، العدد ٧٠، دار المعارف، ص٤، ٥.

الخلق: «كنت بمفردى فى المحيط الأزلى[1]، جامدًا وبدون حراك، ولا أجد مكانًا أقيم به... ولم يكن (أرباب) الجيل الأول قد وجدوا بعد (ولكنهم) كانوا معى»، ثم قال رب الأرباب للمحيط الأزلى: «لقد كنت أطفو بين مياهك بدون حراك تمامًا.. وإنه «شو» ولدى «الحياة» هو الذى أوقد ذهنى. الذى جعل الحياة تدب فى قلبى وجميع أعضائى «الخامدة»، فقال المحيط الأزلى لرب الأرباب الخالق: «استنشق ابنتك ماعت» وقرّبها من خياشيمك حتى ينتعش قلبك بالحياة، ولا يجب أن تبعد عنك ابنتك (ماعت) وابنك (شو) واسمه هو «الحياة»![2].

من خلال هذا النص الجدير بالملاحظة نجد أنه يحدد ثلاث مراحل للحياة، أولها أن الحياة تظهر تلقائيًا بداخل الإله الخالق بعدما كان يفكر، ثم الآلهة الأولى سوف تتكاثر بعد عملية الخلق، حيث إنها لم تكن قد وجدت بعد. ولكنها بشكل ما متضمنة داخل الخالق نفسه. وقد قيل لنا إن الأمر يتعلق بـ شو إله الهواء وعلى الفور، وهذه هى المرحلة الثانية، أخذ الخالق يتكلم، فالكلمة.. هى الاستتباع القاطع لظهور الحياة فى كيانه.

ثم يتولد حوار بين المحيط الأزلى والإله الخالق وهذه هى المرحلة الثالثة.

إن الحياة تستنفر الكلمة، والكلمة يتولد عنها الحوار. إن هذا الحوار بواسطة عملية الخلق يفصح فى آنٍ واحد عن محركات وضمانات عملية الخلق المقبلة: الحياة التى يمثلها شو رب الهواء وماعت التى يستنشقها الخالق والتى من جرّاء ذلك تُعدُّ عمليًا مشاركة فى الجوهر مع الهواء.

إن ماعت[3] ليست فى واقع الأمر سوى القانون أو المعيار الذى يسوس ويدير

---

(١) هذا يعنى أنه قبل عملية الخلق كان يوجد المحيط الأزلى (نون) فقط والذى قام بدوره فى بناء الكون بمفرداته المختلفة، أى أن أصل تكوين العالم منذ البداية هو «الماء».

(٢) ديمترى ميكس - كريستين فافارميكس: الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة: فاطمة عبدالله محمود، راجعه: د. محمود ماهر طه، الألف كتاب الثانى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص٢٨، ٢٩.

(٣) هى الحقيقة التى تنسب الفكر إلى الأشياء والعدالة التى تسمح للإنسان أن يعمل وفقًا للقانون، وهى التوازن الذى يُبقى الأشياء فى مكانها بفضل الإله الخالق. وهى ناموس العالم الذى يساعد على انتظام مسار آلية الكون.

فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ترجمة: ماهر جويجاتى. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨، ص٨٠٩.

تناسب الظواهر الكونية، إذن فالهواء والحياة بواسطة الجهاز التنفسى للخالق سوف يزفران ويعملان على مولد الكائنات الأخرى[١].

كذلك نشرت برديات (أون) القديمة فى مخطوطات قصة الخليقة التى تنص: «كان الكون فضاءً أزليًا يغمره الظلام وتنعدم فيه الحركة، حتى خلق الإله الأكبر (رع) نفسه بنفسه، فسارت الحركة الدائمة وغمر نوره الكون كله، ومن أنفاسه أنجب (شو) الهواء والفضاء، و(تفنوت) الماء أبا الكون وأمه، وأنجب (نوت وجب) أربعة أبناء (إيزيس وأوزيريس وست ونفتيس) التى تعبّر عن الخصب والخير والشر والضمير». وهو ما أطلق عليه بالتاسوع المقدس أى أركان الدنيا الثمانية التى يجلس على عرشها الإله رع وبوجودهم بدأت الحياة على الأرض وبدأت البشرية فى صراعها بين الخير والشر عندما قتل ست إله الشر أخاه أوزيريس إله الخير[٢].

كذلك انتشرت بعض النظريات الخاصة بنشأة الكون فى كل من هليوبوليس ومنف وهرموبوليس[٣] التى تُعد أكثر النظريات انتشارًا، وخلاصة لأفكار المصريين القدماء عن نشأة الكون والذين أكدوا من خلال النصوص المقدسة أن الماء[٤] هو أصل جميع الكائنات ومنه ظهرت جميع الخلائق وكذلك الآلهة.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٩-٣٠.

(٢) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ص٦٨.

(٣) هى مدينة الأشمونين (مركز ملوي) كانت تسمى بالهيروغليفية خمنو وخمون -١ أى شمون أى مدينة المعبودات الثمانية، وبالقبطية (شمون) أى الأشمونين وهو الاسم الحالى. وكانت هذه المدينة قديمًا مقر لعبادة الإله (تحوت) إله العلم والحكمة والكتابة والسحر والحساب وكانت عاصمة الولاية الخامسة عشرة من ولايات الوجه القبلى.
د. محرم كمال: آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص٧٨.

(٤) هو أحد العناصر الأربعة التى يتكون منها هذا الكون، فهو سر الحياة والمصدر الأول لها، فإن خمسة وستين فى المائة من تركيب جسم الإنسان ماء وكذلك سطح الأرض. نشأة الحياة العضوية فى الماء، وخلايا أجسامنا نفسها كائنات مائية فهى فى الواقع حيوانات مائية دقيقة لا يمكنها أن تعيش إلا إذا أحاط بها الماء.. وإذا كان مقدرًا للحياة أن تبقى فلابد من وجود الماء والهواء معًا باستمرار وفى جميع الأوقات، ويذكر لنا (ليال واطسون) فى كتابه (ما فوق الطبيعة) أن الماء مادة عظيمة المرونة والحلقات الرقيقة بين ذراته، تجعله بالغ الحساسية حتى ليستطيع ضغطه الخارجى أن يحطم القيود ويغير شكله «لابد من حدوث تفاعلات بيولوجية بسرعة، مع فقد قليل جدًا من الطاقة، حتى إن مادة حساسة كالماء هى حلقة الاتصال المثالية». ويؤكد (واطسون) أن الماء لا يسلك هذا المسلك فحسب، بل يستطيع أن يتأثر هو نفسه على هذا النحو.
بيل شول وادنبت: القوة النفسية للأهرام، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص١٠٣، ١٠٤.

لأنهم رأوا مياه الفيضان تغمر بلادهم بالمياه المتدفقة بقوة هائلة، فأيقنوا مدى القوة التى تكمن داخل الماء، والدور المهم الذى يقوم به فى حياة الإنسان بصفة خاصة والكون بصفة عامة، كذلك إنه شكّل بعض المفاهيم لدى مخيّلة المصرى القديم وخاصة فى بناء معتقداته حول الكون وطبيعة الوجود الذى يحيط به. فاعتقد المصرى القديم أن الأرض قد برزت من الماء، وتصوروا أن مكانًا عاليًا (الأرض) كان أول ما ظهر على سطح نون (Nun)[1] وكان هذا الكون بمثابة بدء العالم، فهو التل الموغل فى القدم وظهرت منه معالم الحياة فسكنت فيه الضفادع والثعابين وغير ذلك من المخلوقات التى تعيش فى الظلام والرطوبة، وكان هناك شيء آخر هو بيضة طائر مائى خرجت منها إوزة حوّلت الظلام إلى نور هى الشمس التى طارت صائحة وسُميت بذلك الصائحة الكبيرة فوق سطح الماء[2].

ونذكر جزءًا من سياق النص [(الفصل السابع عشر) من كتاب الموتى]:

«أنا (آتوم) كنت موجودًا بمفردى فى الهوة السحيقة. أنا (رع) وهو يشرق فى الفجر، فى بداية الزمان الذى تولى فيه الحكم».

«أتيت إلى الوجود فى (نـو)[3] إنى (رع) الذى نهض فى البدء وحكم ما قد صنع»[4].

«أنا الإله الذى يأتـى إلى الوجـود من تلقـاء ذاته» ومعنى ذلك الماء والهوة السحيقة ووالد الآلهة[5].

(١) نون: هو تشخيص للمياه الأولية التى ظهر منها كل شيء ويخرج منه إله الشمس كل يوم وقد تجدد واستعاد شبابه، وبهذا فهو أب الآلهة وهو مع زوجته (نونت) يشكلان الجيل الأول لأسرة مجموعة الأرباب الثمانية (ثامون الأشمونين) وأحيانًا يصور فى شكل إنسانى أو برأس ضفدع دليلًا على الخصوبة، وكان الفيضان السنوى للنيل مرتبطًا بعملية الخلق وبالتالى مع (نون).
إريك هورنونج: وادى الملوك أفق الأبدية (العالم الآخر لدى قدماء المصريين)، ترجمة: محمد العزب موسى، راجعه: محمود ماهر طه، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى. ١٩٩٦، ص٣٥٥.

(٢) أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ص٧٢.

(٣) كتلة الماء الأولى التى انبثق منها كل شيء عند عملية الخلق.
والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. ص٢٠٣، ص٢٣٤.

(٤) المرجع السابق، ص٤١.

(٥) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٣٥٩.

ومما سبق نجد أن الإله الخالق ظهر فى البدء على الرابية الأولى أى وسط الجزيرة التى برزت من الأرض عندما غمر الفيضان رقعًا فسيحة من الأرض فى هرموبوليس، وأن الإله رع بدأ بالظهور كملك وجد قبل أن يرفع إله الهواء شو السماء عن الأرض[١].

ومن ثَمَّ نجد أن الإله آتوم قد برز من المياه الأولى وبدأ خلق الكون من الهيولي[٢] بأن استولد نفسه أول زوج من الآلهة.

«لقد جئت إلى الوجود من الهيولى. خلقت نفسى فى هيئة الإله خيبرى أفرخت فى هيئة النباتات - أخفيت نفسى مثلها السلحفاة.. لقد تشكلت من بذور الآلهة أنا «الأمس» للأربعة (أركان) واليوريات السبع اللوائى جئن إلى الوجود فى المشرق»[٣].

فالإله آتوم هو الخالق وكان لديه ولدان هما شو وتفنوت: الهواء والرطوبة، وأن ولديهما جب ونوت الأرض والسماء وأولاد هؤلاء هم الآلهة الأربعة فى حولية أوزيريس التى يقرن فيها المجتمع بالقوى الكونية[٤].

ويقول أوزيريس- آنى الظافر فى سلام المبرأ:

«الجلال لك يا من ارتفعت فى الأفق مثل (رع).. لقد اتكأت على قانون (لا يتغير ولا يمكن تبديله).. لقد عبرت فوق السماء وكل وجه لاحظك، وراقب مسارك لأنك أنت قد تخفيت عن حملقة عيونهم لقد أظهرت نفسك فى الفجر وفى المساء يومًا بعد يوم. إن زورقك «سكتت» حيث توحد جلالتك بالعظمة، أشعتك (تسطع) فوق (كل) الوجوه. (أعداد) أشعتك الحمراء لا يمكن معرفتها ولا ضياؤك يمكن تصويره. إن أراضى الآلهة والأراضى الشرقية لـ «بونت»[٥] يجب أن تُرى قبل أن يمكن وصفك

---

(١) هنرى فرانكفورت: ما قبل الفلسفة، ص٦٦.

(٢) هو المادة الأولية التى لم تتشكل.
والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. ص٢١٣.

(٣) المرجع السابق - الفصل (٨٣)، ص٩٣.

(٤) أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ص٢١.

(٥) هى أرض التوابل والعطور، اختلف علماء المصريات فى تحديد مكانها والأرجح هى السواحل الشرقية للصومال.
والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. ص٢٠٣.

وقبل أن يمكن قياس ما يختفى (فيك) مفردًا وبنفسك قد أظهرت ذاتك (عندما) بزغت إلى الكينونة فوق «نون» »[1].

«أنا (رع) الذى بزغ من «نو» الروح المقدس خالق أعضائه، لقد أوجدت نفسى إلى الوجود معًا مع «نو» باسمى «خيبري»[2] بصبورهم قد أتيت إلى الوجود فى شبه «رع». إننى رب الضياء»[3].

«بالحقيقة صار مقررًا إنه بى سوف يجد صورته وإن وجهه سوف يطل على الإله (تم). كم من الزمن حينئذ سوف أعيش ؟ لقد تقرر أنك سوف تعيش ملايين ملايين السنوات. حياتك ملايين السنوات، عسى أن أهب العبور إلى الأمراء المقدسين. لقد تخلصت من جميع ما قد فعلت من أخطاء منذ أن ظهرت الأرض إلى الوجود من النون (نو) وعندما انبثقت من (لجة الماء) فى الزمن السحيق»[4].

يقول أوزيريس – آنى: «أنا بالحقيقة أنا – مَنْ بزغ من الفيضان الذى جعلته يتدفق والذى يصير عظيمًا كالنيل (حابي)»[5].

ونجد فى الفصل الخامس عشر من فصول (كتاب الموتى) ترنيمة مديح إلى رع عندما يبزغ فى الأفق ويظهر على أرض الحياة:

«أيتها المادة المقدسة التى أتت منها إلى الوجود كل أشكال الحياة.. لقد بعثت الكلمة والأرض غمرها الصمت. أيها الواحد الوحيد الذى عاش فى السماء قبل البدء، قبل أن تُصنع الأرض والجبال أيها العداء..

---

(١) المرجع السابق، ص٣٧.

(٢) اسم الإله الشمسى الذى تتجدد ولادته على الدوام ويحيا حياة جديدة.

معناه «ذلك الذى يأتى إلى الوجود» وهو إله أولى فى (هليوبوليس) يصوّر على شكل حشرة الجعران ونادرًا ما يكون فى هيئة إنسان وهو كغيره من الآلهة البارزين: فى كتاب العالم الآخر يقتصر ظهوره على المقابر والأدب الجنائزى وليست له عبادة مستقلة.

إريك هورنونج: وادى الملوك أفق الأبدية، ص٣٥٣.

انظر: فرانسوا دوما، حضارة مصر الفرعونية، ص٧٤٥.

(٣) والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. الفصل (٨٥)، ص٩٩.

(٤) المرجع السابق، الفصل (١٧٥)، ص١٦٥.

(٥) المرجع السابق، ص٨٠.

.. أيها الرب الواحد الوحيد.. صانع الأشياء الكائنة.. صائغ ألسنة هيئة الآلهة (يا من جعلت صحبة الآلهة ينطقون بلسان واحد) يا من أخرجت كل ما أتى من المياه وبزغت من بينهم فوق أرض بحيرة (حورس) المغمورة بالفيض»[1].

وكان علماء اللاهوت قد تصوروا العالم على هيئة مسطح من الأرض طاف فوق محيط داخلى شاسع، ينبع منه مباشرة نهر النيل، وفى الجهات الأصلية الأربع، ركائز أربع، متشعبة فى طرفها العلوى وكانت ترفع السماء وفوق هذه الأخيرة محيط سماوى. كان المحيط هو نون ومقابله الأنثوى هو المحيط العلوى نونت.

وها هو نص من إدفو يشرح دور مدرسة هرموبوليس اللاهوتية التى استطاعت أن تبرهن على أصالتها الرفيعة، أسوة بما يحدث فى المدارس الفلسفية المعاصرة، واستطاعت أن تفرض نفسها على الفكر المصرى. من حيث أنها نسق فكرى رصين فى صياغته، سيؤثر بالضرورة على المفكرين الذين سيظهرون فى وقت لاحق.

فقد استدعى تحوت الكائنات والأشياء إلى الوجود عن طريق ثامون من الآلهة، إنها كيانات بدائية مشخصة هى المحيط الأزلى واللانهائى - الأبدى والعنصر - المظلم والعنصر - السرى، وقد ألحق بها عنصر أنثوى لتبسيط عملية الخلق[2].

يقول النص:

«كلمات يتلوها الثمانية العظام المبجلون، أصحاب المرة الأولى - الآلهة المبجلة الذين أتوا إلى الوجود، فى البدء. أبناء «تاتنن» الذين خرجوا منه. لقد أنجبهم ليؤسس البلاد. لقد تشكلوا فى (طيبة)، نُحتوا فى (منف). وكل شيء جاء إلى الوجود بعدهم. لقد ولدوا فى (الأمواه - الدافقة - الأولى): انبثقت زهرة لوتس وكان فى داخلها صبى كامل فأضاء بأشعته البلاد. وخرج برعم لوتس، وفى داخله قزمة صغيرة وحين رآها (شو) اشتهاها. ومن فكر قلبه ولد أبو منجل: إنه «تحوت» المبجل الذى يخلق كل شيء. اللسان والقلب يُعبّران عما هو موجود القلب يصوغه واللسان يخرجه. إنه الوحيد الأحد المتسيد على القطرين، الذى يرشد الأحياء. إنه يُدعى «الحي». إن عمله الجليل هو خلق الحياة».

---

(١) المرجع سابق، ص٣٠، ٣١.

(٢) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٤١٢، ٤١٣.

وتفسير هذا النص هو: أنه من وسط المحيط الأزلى نون ظهرت الأرض طافية، وفوقها ثمانية آلهة أتت إلى الوجود. وعملوا على ظهور زهرة لوتس، التى انبثق منها رع المندمج فى شو ثم ظهر إلى الوجود برعم لوتس ومنه انبثقت قزمة. إنها رفيقة أنثوية ضرورية، فرآها رع فاشتهاها. ومن قرانهما ولد تحوت الذى خلق العالم بواسطة الكلمة[1].



« تحوت »
برأس أبو منجل

ويوجد أيضًا نص كهنوتى له سمات مميزة يصف العمليات التى يقوم بها الخالق وصفًا دقيقًا بواسطة أفعال وأسماء مشتقة من نفس الأصل تتكرر مرارًا، من خلال بردية يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ومؤلف هذه البردية يتميز بعقلية فلسفية فذّة تتضح لنا من خلال عرض هذا النص:

«يقول رب الكون: عندما ظهرت إلى الوجود، جاء الوجود إلى الوجود. جئت إلى الوجود على هيئة (الموجود) («خبري») الذى جاء إلى الوجود للمرة الأولى. وإذا جئت إلى الوجود على هيئة وجود «الموجود» («خبري») أصبحت إذن موجودًا. وهكذا أتى الوجود إلى الوجود، كنت سابقًا على الآلهة السابقة التى صنعتها، وأتمتع بالأسبقية على هذه الآلهة السابقة. وكان اسمى سابقًا على أسمائها وصنعت الزمن السابق كما صنعت الآلهة السابقة».

---

(١) المرجع السابق، ص٤١٣، ٤١٤.

«لقد صنعت فى هذا العالم كل ما كنت أرغبه وتمددت فيه. وعقدت أنا لوحدى يدى. قبل أن تولد (الآلهة). واستخدمت فمى. قبل أن أبصق (شو) وقبل أن أنفث «تفنوت». وكان اسمى هو «حكا» (إله القدرات السحرية). فأنا الذى جئت إلى الوجود على هيئة وجوده، عندما جئت إلى الوجود على هيئة وجود «الموجود» («خبري»). لقد جئت إلى الوجود فى الزمن السابق وحشد كبير من أوجه الوجود، جاءت فى البدء إلى الوجود.

وقبل أن يجيء إلى الوجود، فى هذا العالم، أى وجه من أوجه الوجود خلقت فى وحدتى الخليقة جمعاء. وقبل أن يجيء إلى الوجود، كائن من مكان، لينشط معى فى هذه الأصـقاع، صنعت أوجـه الوجود فى «با» ئى هذا. وقيدت نفسى فى الـ«نون». إذ كنت لا أزال خاملًا، قبل أن أجد مكانًا، لاستطيع النهوض فيه. كنت فعالًا فى قلبى. ووضعت خطة نصب عينى. وخلقت فى وحدتى الخليقة جمعاء. ووضعت خطة فى قلبى وخلقت أوجهًا أخرى من الوجود. عديدة كانت أوجه وجود «الموجود» («خبري»). عندئذ جاءت أبناؤها إلى الوجود، كوجه من أوجه وجود أبنائها».

من هذا النص يتضح دور المؤلف فى إبراز أسبقية دور الإله آتوم- رع بالمقارنة مع كل ما هو موجود والآلهة الأولية. ويحاول منذ البداية أن يوضح أبعاد فعل المجيء إلى الوجود من ذات نفسه. ويعود إلى ذلك فى الفقرة الثالثة بالاعتماد على ظهـور تاتنن فى قصة خلق منف. وعلى هذا النحو كان يعمل الإله الخالق فى محاورة طيماوس لأفلاطون: إنه يتصور العالم وفى نيته أن يكون جميلًا وكاملًا، فخلق الآلهة التى تولت الخلق بدورها[1].

وكـان المصريون القدماء يعتقدون أيضًا، أن تحت الأرض عالمًا سفليًا آخر يسمى دوات[2] مركبًا، لا يختلف فى تكـوينه عن الأرض أو السموات، ويسكنه الموتى.

---

(١) المرجع السابق، ص٤١٦، ٤١٧.

(٢) Duat كلمة مصرية تعنى الأبدية حيث يذهب إليها مركب الشمس فى المساء وتخرج منها فى الصباح، وفى الدولة القديمة كانت الأبدية فى السماء، وأثناء الدولة الحديثة أصبحت (دات) أو (دوات) تعنى العالم الآخر.
إريك هورنونج: وادى الملوك أفق الأبدية، ص٣٦٠.

ولا شك أن هذا التفكير كان تفكيرًا تأمليًا فى قناع أسطورى. لأن موقف الإنسان من ظواهر الطبيعة هو الذى قام بتفسير الشكل الميثوبى للفكر.

ويعتقد أيضًا أن العالم والآلهة وبنى الإنسان لم يوجدوا من بادئ الأمر، بل هم مخلوقات تختلف نظرية خلقهم تبعًا لكل كاهن، كما اختلفت آراؤهم فى شكل العالم نفسه.

وكان أكثر الاعتقادات انتشارًا أن الإله المحلى الخاص بكل مدينة هو أيضًا خالق السموات والأرض، فمثلًا أهل مدينة منف اعتقدوا أن الإله بتاح نحت الأرض مثلما تُنحت التماثيل، وكذلك فى جهة الفيلة حيث عُبد الإله خُنُم حارس تلك الجهة، وكان الناس يعتقدون أنه خالق العالم، قبض قبضة من غرين النيل وسوّى منها العالم[1].

بينما نجد الإله بتاح وكهنته منذ الدولة القديمة عاكفين على صياغة قصة للخلق لها فكر فلسفى حقيقى. كان لها أصداء عظيمة فى التاريخ.

فى البداية عندما أقدم بتاح على الخلق، تصور فى قلبه ما يشبه نموذجًا للعالم ثم أفصح عنه، فأتت الكائنات والأشياء إلى الوجود، ونشير إلى نص من النصوص المصرية القديمة والذى يرجع تاريخه إلى الألف الثالث قبل الميلاد والذى أسّس إمكانات الفكر البشرى. يقول النص:

«تاسوع (بتاح) هو فى حضرته، على هيئة أسنان وشفتين، (إنها المقابل) لنطفة (آتوم) ويديه. وفى الحقيقة فقد ظهر تاسوع (آتوم) إلى الوجود بواسطة نطفته وأنامله، إن تاسوع (بتاح) هو الأسنان وشفتا فمه التى نطقت اسم كل الأشياء، ومنه انبثق (شو) و(تفنوت)... وعلى هذا النحو ولدت الآلهة جمعاء (ومن بينها) (آتوم) وتاسوعه. لأن كل كلمة إلهية تظهر إلى الوجود حسبما فكّر فيه القلب وأمر به اللسان وهكذا خُلقت بفضل هذه الكلمة منابع الطاقة الحيوية وتحددت صفات الكائن كما خلقت كل الأطعمة وكل المأكولات النافعة»[2].

---

(١) أ. شبندروف: ديانة قدماء المصريين، ص٢٨.

(٢) كلير لولايت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتى. راجعه: د.

وهكذا أصبح العالم نتاج العقل الإلهى. فإذا كان الإنسان صورة من الإله كما قيل عن الملوك منذ وقت مبكر جدًا، ثم سرعان ما شمل ذلك البشرية جمعاء، فمن الآن قد أصبح الفكر البشرى مستعدًا بطبيعته لفهم العالم والسيطرة عليه.

مما سبق ومن خلال قصص الخلق التى عرضنا لها، نجد نظامًا كونيًا واضحًا نتيجة التأمل الذى أدى بلا شك إلى بزوغ فكر فلسفى راقٍ، وإن لم يكن واضحًا لديهم بالصورة المعقولة، لأنه كان يشوبه بعض الشوائب التى عملت على عدم وضوحه للعيان، ولكننا نجد أن هذه النطفة الفلسفية الأولية أخذت طريقها إلى مدينة منف لتنمو ويكتمل نضوجها وتخرج إلى الوجود مكتملة الجوانب والعناصر، ليتغذى عليها فكر المصرى القديم وينتج لنا ما نسميه بالفكر الفلسفى المصرى. وهذا ما سوف نوضحه من خلال تعاليم منف الدينية والفلسفية.

تعاليم منف الدينية والفلسفية:

قد عرضنا سابقًا بعض نماذج آلهة الطبيعة وما تمثله للمصرى القديم من أهمية كبيرة فى حياته الفكرية والعملية، والآن نعرض لبعض التعاليم الدينية والفلسفية فى مدينة منف، مدينة الإله بتاح التى أنجبت لنا أعظم ما كُتب عن آراء المصريين القدماء بشأن الإلهيات والكوزمولوچيا[1] والفلسفة[2] المدونة على حجر محفوظ الآن فى المتحف البريطانى، وتُعد هذه الوثيقة أهم الوثائق التى حفظت بين كنوز منف آلاف السنين فى

طاهر عبد الحكيم، المجلد الأول، ط١، القاهرة، ١٩٩٦، ص٣٥٥-٣٦٠.
نقلًا عن كتاب: حضارة مصر الفرعونية، لفرانسوا دوما، ص٤٧٠.

(١) Cosmology.. هو فرع من الفلسفة ينصب على دراسة القوانين العامة للكون فى أصله وتكوينه ونظامه ويقابله علم الوجود أنطولوچيا Ontology .
د. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفى. ص١٢٦.

(٢) Philosophy.. هى محبة الحكمة عند اليونان وأطلقت قديماً على دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة عقليًا. ويرى «ابن سينا» أن الغرض من الفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء كلها سواء أكان وجودها باختيارنا أم خارجًا عن إرادتنا، وشبهها ديكارت بشجرة جذورها الميتافيزيقا وفروعها سائر أنواع المعرفة.
المرجع السابق، ص١٣٨.

أول عصور الدولة القديمة والتى تُعد أول بحث فلسفى وصل إلينا من العالم القديم وصورة رائعة من أفكار أقدم بنى البشر لم يصل إلينا مثلها مدّونة حتى الآن[١].

ويرجع تاريخ هذا النقش إلى عام ٧١٠ق.م. تقريبًا ويحمل اسم فرعون مصرى يدعى شباكا يقرر أنه استنسخ نقشًا لأسلافه، ويتكون هذا النقش من ثلاثة أجزاء متكاملة، يمثل الجزء الأول منها آلهة العماء البدائى. ويمثل الجزء الثانى آلهة النظام والترتيب عند الخلق، ويمثل الجزء الثالث كبير الآلهة اللوجوس الذى يقوم بعملية الخلق.

أولًا: نص الجزء الأول: بتاح كبير الآلهة حمل فى قلبه كل ما هو موجود، وبكلمته خلقهم جميعًا. ظهر أولًا من مياه المحيط الأزلى نون فى صورة تل سرمدى. وعقب التل مباشرة ومرادف له وإلى جواره ظهر أيضًا الإله آتوم من المياه واستوى فوق بتاح التل. وبقى فى الماء أربعة أزواج من الأرباب الذكور والإناث.

وفلسفة الجزء الأول تتلخص فيما يلى:

أن بتاح إله منف يتصف بأنه كبير الآلهة أو رب الأرباب وأنه هو اللوجوس أى الفكر وكلمة الخلق والقوة، وأنه هو أيضًا إله النظام والصورة وهو الإله الصانع الخزّاف، ونشير إلى أنه فى الوقت الذى استوى فيه إله الشمس آتوم فوق بتاح التل الأبدى أنجز سبحانه[٢] عمل الخلق. وفقه إلهيات ممفيس يرجع إلى عام ٤٠٠٠ ق.م، فى الوقت الذى لم يكن أحدٌ يعرف شيئًا عن اليونان.

ونذكر أن هذا الترتيب الموجود بفقه إلهيات ممفيس لا يعنى شيئًا سوى أن مقومات العماء الأزلى كانت تشتمل على عشرة مبادئ أساسية: أربعة أزواج من المبادئ المتضادة مع اثنين آخرين من الأرباب: بتاح ويمثّل العقل والفكر وكلمة الخلق هذا، بينما يربط الإله آتوم نفسه بالإله بتاح ويعمل باعتباره الصانع الأول وينجز عمل الخلق. ومن خلال وضع نظام الكون بهذه الصورة يتضح لنا تلك الفلسفات المهمة وهى:

(أ) أن الماء هو مصدر كل كائن حى.

---

(١) چيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٥٠.

(٢) المقصود به الإله بتاح.

(ب) هذا الخلق قد وجد بفضل الإله بتاح والإله آمون، أى وحدة العقل (نوس Nous) مع لوجوس كلمة الخلق.

(ج) آتوم هو الصانع الأول أو الإله الوسيط فى عملية الخلق، وهو أيضًا إله الشمس أو إله النار.

(د) المبادئ المتضادة تحكم حياة الكون.

(هـ) عناصر الخلق هى النار (آتوم) والماء (نون) والتراب والهواء (بتاح).

وبذلك يُعد الجزء الأول من فقه إلهيات ممفيس هو المصدر الصحيح لهذه الفلسفات؛ بالرغم من زعم فلاسفة اليونان أنهم هم الذين قاموا بتأليف أجزاء من فلسفة فقه إلهيات ممفيس أمثال طاليس الذى نسب إليه أن الماء مصدر كل الموجودات؛ وأيضًا أفلاطون الذى قال إن الإله الوسيط أو مبدأ الصانع الأول هو الذى خلق العالم[1].

نص الجـزء الثانى:

آلهة النظـام والترتيب فى الكـون يمثلها تسعة آلهة فى وحدة واحدة يُسمّون التاسوع. الإله آتوم مصدر الثمانى الربوبى الموحد. وهو أيضًا مصدر أرباب النظام والترتيب. أربعة أزواج من أعضاء جسده هو، وبذا يخلق ثمانية أرباب وتكوّن معه تاسوعًا. وهذه الآلهة الثمانية هى آلهة مخلوقة. وهى أول المخلوقات فى هذا العالم، وآتوم الإله الخالق أو الإله الصانع البارئ الذى حدثنا عنه أفلاطون من خلال أفكاره الفلسفية.

والآلهة التى خلقها آتوم من أعضاء جسده هى:

١ - شو أو الهواء.

٢ - تفنوت أو الرطوبة.

٣ - جب أى الأرض.

٤ - نوت أو السماء.

---

(١) چورچ جى. إم. چيمس: التراث المسروق (الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة)، ترجمة: شوقى جلال، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٦٦، ص١٣٤-١٣٥.

وروى أنه تولد عن هذه الآلهة أربعة آلهة أخرى:

٥ - أوزيريس (إله الوجود فى الكل والمعرفة المحيطة بالكل).

٦ - إيزيس (زوج أوزيريس ومبدأ أنثوي).

٧ - ست (مضاد الخير).

٨ - نفتيس (مبدأ أنثوى فى العالم الخفي).



نفتيس

فلسفة الجزء الثانى من فقه إلهيات ممفيس:

بالرغم من وجود آتوم إله الشمس فى العماء الأزلى نجده أيضًا موجودًا أثناء عملية الترتيب المنظم للكون. ويقوم هو بدور خالق جميع الأرباب فيما عدا بتـاح رب الأرباب ثم يأتى ثمـانية آلهة بالصدور عن جسده واستوى بعد ذلك فوق بتاح التل الأزلى وظل ثابتًا لم يتحرك وأصبح الإله آتوم فى عملية الخلق هذه، هو المحرك غير المتحرك. وبالرغم من أن فقه إلهيات ممفيس هو المصدر المباشر لهذه المبادئ الفلسفية فإننا نجدها منسوبة إلى أفلاطون وبالتحديد مبدأ خلق الأرباب بينما نُسب إلى أرسطو مبدأ المحرك غير المتحرك، ولكننا نوضح أن مبدأ الصانع فى الخلق يشتمل على مبدأين: مبدأ الأرباب المخلوقة، ومبدأ المحرك الذى لا يتحرك. وكانت وظيفة الإله الصانع الأول أن يخلق الكون، فأول عمل قام به هو خلق الأرباب التى أصبحت أول المخلوقات.. ولكن الطريقة التى خلق بها الإله الصانع البارئ الأول الأرباب هى عملية إصدارهم من

جسده هو، وطريقة الخلق هذه تجعل بوضوح الإله الصانع المحرك غير المتحرك. ولكننا نجد تاريخ الفلسفة اليونانية ينسب إلى أفلاطون مبدأى الإله الصانع والأرباب المخلوقة وإلى أرسطو مبدأ المحرك غير المتحرك، وما تقدم فيه ردٌّ كافٍ على زعمهم هذا[1].

نص الجزء الثالث:

الإله بتاح إله الفكر واللوجوس والقوة الخالقة صاحبة النفوذ فوق جميع المخلوقات، إنه ينقل القوة والروح إلى جميع الأرباب، ويدير حياة جميع الموجودات بما فى ذلك الحيوان والإنسان من خلال فكره وأوامره هو. أو بعبارة أخرى إن جميع الموجودات فيه تحيا وتتحرك وتملك وجودها الخالد.

فلسفة الجزء الثالث من فقه إلهيات ممفيس:

يتضح لنا أن جميع المخلوقات خلقها بتاح رب الأرباب بفكره وأمره وكلمته، وأنهم يحيون ويتحركون ويملكون وجودهم الخالد من خلال فكر وأمر وكلمة (بتاح) الخالق والحافظ والتى انتقلت قواه إلى آتوم بالوسائل السحرية وبعد ذلك باشر عملية الخلق.

ومما سبق يتضح لنا أن فقه إلهيات ممفيس هو مصدر الفلسفة اليونانية أو هو العلم البدائى، وهو أيضًا أساس العقيدة العلمية الحديثة وأساس النجاح للبحث العلمى فى مبادئ وأسرار الطبيعة[2].

ومما لا شك فيه أن المصرى القديم كان سبَّاقًا دائمًا لأى مجتمع بشرى آخر فى المجال الفكـرى والخلقى فى شتى المجالات، وخاصة ما يخص العالم الخارجى فأوجد كونًا يتفق مع ملاحظته وتجربته الذاتية.

ولهذا الكون كما لوادى النيل مكانه المحدود ودورته المطمئنة، وتركيبه وآليته يتيحان تكرار الحياة عن طريق عودة الميلاد فى العناصر التى تهب الحياة. ونجد أن قصص الخليقة لدى المصرى القديم جاءت وفق تجربته الذاتية، والتقدم الذى يثير الاهتمام

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٠.

بوجه خاص هو محاولة المصرى المبكرة جدًا لربط الخلق بعمليات فكرية ولفظية بدلًا من عمل جسمانى بسيط، وحتى هذه الفلسفة العليا وُضعت فى شكل صورى انبثق عن تجربة المصرى للحياة[1].

ومن ثم ظهرت العقيدة الدينية القوية التى عملت على تغيير نظرة المصرى القديم للكون والطبيعة والحياة الاجتماعية والسياسية، وبدأ يفكر فى الحياة بعد الموت واحتلت هذه الفكرة مكانة مهمة فى نفس المصرى القديم وخاصة رحلة العبور للعالم الآخر، بما فيها من جَنّة أو نار وهذا ما سوف نوضحه من خلال الصفحات التالية.

العالم الآخر والبُعد الفلسفى:

إن محاولة البحث عن سر الوجود وكشف أسرار عالم الغيب وما وراء الحياة أو علاقة الجسد بالروح والروح بالخالق... كانت الحلقة التى تدور حولها جميع الأديان وما نزل بخصوصها من كتب سماوية حددت العلاقات الإنسانية وتلاقت جميعها عند فلسفة الحساب ومفهوم الجنة والنار.

وكل ما ورد بشأن تلك العلاقة فى مختلف الأديان وما حوته من كتبها السماوية من تفاسير وتشريعات ومعتقدات وتصورات وُجدت مفصّلة فى كتاب الموتى الذى يعدُّه كثير من المؤرخين وعلماء الأديان أول كتاب سماوى عرفته البشرية؛ خاصة وأن أقدم آثاره ترجع إلى ما قبل الحضارة نفسها أى عصر الأسرات قرابة ٤١٠٠ ق.م، وقد تعرض كتاب الموتى إلى الاندثار أكثر من مرة أهمها فى نهاية الأسرة السادسة عندما قامت الثورة المشهورة التى أُطلق عليها ثورة الرعاع والتى عاصَرها ووصفها الحكيم أيبيور فى بردياته المشهورة بقوله: «إن الأهرام قد أصبحت خالية مما كانت تحتفظ بداخلها من أسرار الغيب والعلم والمعرفة»[2].

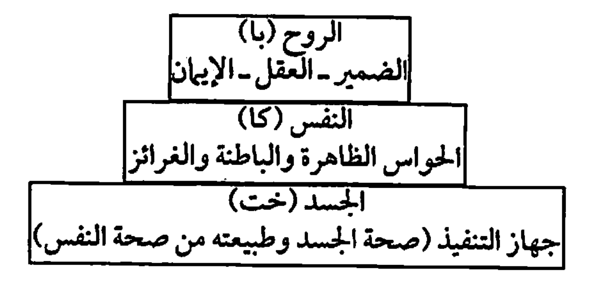
---

(١) هنرى فرانكفورت: ما قبل الفلسفة، ص٧٧.

(٢) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص٥٣.

وقد عُثر على كتاب الموتى كاملًا لأول مرة سنة ١٨٨٨ عن طريق بعثة المتحف البريطانى ضمن معبد أبيدوس وهى بردية آنى المشهورة Paryrus of Ani، وهى بردية واحدة طولها ٤٥ مترًا وعرضها ٤٠سم مدوّنة بالهيروغليفية ومفسّرة بالنقوش والرسوم الملونة وقد ترجمها والس بادج ونشرها المتحف البريطانى بألوانها الطبيعية سنة ١٩١٣، وقد كتب هذه البردية الحكيم آنى كاتب الملك ورجل العلم والمعرفة وقد قام برسم صورة البردية بخط يده... ويعدُّها علماء اللاهوت كتاب الفراعنة المقدس. ويرجع اسم كتاب الموتى نسبة لوجود كثير من تعاليمها وصفحاتها فى المقابر وداخل التوابيت؛ فهى متعلقة بالموت والأموات ورحلتهم إلى العالم الآخر.

ويشرح كتاب الموتى سر الوجود الإنسانى أن فلسفة الروح والجسد برسم هرم الوجود الذى يشرح علاقة الروح بالجسد، بأن الإنسان على شكل هرم مدرج مكون من ثلاث مصاطب[1].



المصطبة العليا هى الروح (با) وتعلوها السماء (نوت) وتتمثل فى العقل والإيمان والضمير وهى معذبة ومنعمة فهى مسيَّرة.

والمصطبة الوسطى هى النفس (كا) وهى الواسطة بين الروح والجسد وتتمثل النفس فى الحواس الخمس الظاهرة والباطنة والغرائز وهى مطمئنة وأمَّارة بالسوء فهى مخيَّرة.

والمصطبة السفلى «جثا» وهى الجسد الذى يرتكز على الأرض «جب» التى خرجت منها وهو الجهاز المادى والخبيث، فالروح تصعد والنفس تُحاسب والجسد يفنى بعدها. ويُعد ذلك [التصور الفلسفي] أدق وأعمق تفسير لعلاقة الروح بالجسد وعلاقة

(١) المرجع السابق، ص٥٤.

الإنسان بالخالق وعلاقة الحياة بالعالم الآخر. إن كتاب الموتى للحكيم آنى وصف كامل لرحلة الروح فى العالم الآخر، وهى الرحلة التى سجلها على شكل تجربة واقعية مارسها الحكيم آنى بنفسه على أنه مات فعلًا وانتقلت روحه إلى العالم الآخر ليقوم برحلته بدءًا من مفارقة الروح للأرض ووصولها إلى عالم الخلود، ثم بعث ثانية ليسجلها كإحياء لكتاب الموتى المقدس القديم «رسالة السماء» بعد اندثاره[1].

ولا شك أن المصريين القدماء قد اهتموا بالموت كما اهتموا بالحياة، ولذلك أخذوا يفكرون فى الحياة الأخرى بعد الموت، كيف يحيونها وكيف يضمنون لأنفسهم النجاة من عملية الحساب القاسية التى لابد أن يجتازها كل إنسان بعد الموت، وقد تصوروا الموت على أنه انفصال الجسم عن الروح. أى أنها عملية انتقال من حياة إلى حياة أخرى.

وكان المصرى القديم يخاف على حياته الأخرى من العذاب، ولذلك كان يتخذ احتياطاته الأخلاقية التى هى بمثابة سفينة العبور لعالم النعيم والخلود الأبدى.



الروح فى هيئة طائر

وفكرة الخلود كانت من الموضوعات المهمة التى عالجها أفلاطون فنجد أن سقراط كان من أوائل من عرضوا نظرية خلود الروح، وفى فيدون أفلاطون نجد سقراط يطلق على الفلسفة عبارة «تأمل شئون الموت» أو «تأمل خلود روح الإنسان من عدمه».

واعتقد المصريون ككثير من أمم العالم – كالإغريق – أن مخلوقًا آخر محسوسًا يأوى إلى جسم الإنسان ولا يستطيع أحد أن يراه فى الدنيا، تلك هى الروح وتسمى عندهم (البا) وكانت تلازم الجسم دائمًا فى الحياة الدنيا وتفارقه عند الموت، وقد اعتاد المصريون تمثيلها بالطائر مالك الحزين ثم مثّلوها فى العصور المتأخرة بطائر له رأس إنسان فيه

(١) المرجع السابق، ص٥٥.

ملامح الإنسان الميت. وفكرة الاعتقاد «العودة للتجسد» هذه قد ذكرها بيكون شيود Chiod – Picon نقلًا عن مؤلف يدعى فونتان Fontone فى نص يرجع إلى عام ٣٠٠٠ق.م. عبارته كالآتى: «قبل الولادة عاش هذا الطفل وليس الموت نهايته. الحياة تجيء وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها من جديد». كما تحوى ورقة بردى «أنانا – Anana» التى ترجع إلى سنة ١٣٢٠ق.م. العبارة الآتية «الإنسان يعود ثانية إلى الحياة عدة مرات، لكنه لا يذكـر حيواته السابقة، إلا أن الحُلُمْ أحيانًا، أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة ولا يمكنه أن يحدد زمان هذه الحادثة أو مكانها لكنه يعلم فحسب أنها حادثة مألوفة عنده – وفى النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة»[١].

وكان قدماء المصريين يعتقدون أن الروح سوف تعود للجسد فى فترة معينة، وكان تقديرهم الزمنى للمدة الواقعة بين حدوث ذلك والعودة إلى الحياة ثانية ثلاثة آلاف عام تقريبًا.

وقد رأى المصرى القديم أن الروح لا تقضى هذه المدة فى فراغ، بل إنها تقوم بالإلمام المعرفى والمعلومات والخبرة الموجودة فى ميادين الحياة، وبعد أن تستنفد الروح أغراضها من رحلة المعرفة والعلم تعود إلى جسدها الآدمى لتحل فيه وتستأنف حياتها فى العالم الآخر[٢]، وكان هدف المصرى القديم أن تظل الروح الحية قـريبة من جسـم صاحبها بعد المـوت لتظـل الروح مع الجسم وخاصة أثناء الليل حينما تحوم الشياطين حول الجبانات، ولهذا كان على الروح أن تميّز جثتها من بين الجثث، واعتقد المصرى أن الميت يستطيع أن يفارق قبره نهارًا ويستطيع أن يتشكل بأشكال مختلفة حسب رغبته عن طريق استخدام السحر، ونذكر أن علماء اليونان الذين وفدوا إلى مصر فى طلب الحكمة انتبهوا إلى هذه الأفكار ونقلوها إلى بلادهم[٣].

---

(١) د. رءوف عبيد: فى العودة للتجسد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم، دار الفكر العربى. القاهرة، ١٩٧٦، ص١٨.

(٢) مصطفى الكيك: تناسخ الأرواح، القاهرة،١٩٧١، ص١٣، ١٤. نقلًا عن المرجع السابق.

(٣) أ. شبندروف: ديانة قدماء المصريين، ص٩٤، ٩٥.

انظر: د. رءوف شلبى: الأديان القديمة فى الشرق، ط١، دار الشروق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، القاهرة، ص٢٧٠، ٢٧١.

ولا شك أن فكرة تناسخ الأرواح التى كان يؤمن بها فلاسفة عدة، أمثال فيثاغورث وأفلاطون يرجع مصدرها إلى قدماء المصريين، ومهما يكن من تضارب فى الآراء فإننا نجد أن الرأى الثابت وهو العقيدة بأن المتوفى وروحه يسكنان الأرض(1).

ولقد قام (آني) فى برديته بوصف رحلة الروح يومًا بيوم بدءًا من مفارقة الروح الجسد، فيصف مرحلة التحنيط ومراسم الاحتفالات الجنائزية ونقل المومياء بين ضفتى نهر الحياة لتسير فى طريق الغروب أو طريق دورة الإله، حتى تدخل القبر بعد أربعين يومًا. وقد اختلف المؤرخون فى تفسير تلك المدة فنسبها البعض إلى المدة اللازمة للتحنيط، وعملية حفظ الجثة قبل دخولها القبر، بينما فسّرها البعض الآخر بأنها المدة التى تمكثها الروح فى الأرض قبل انتقالها إلى العالم الآخر حيث يحتفل بوداعها وهو التقليد السائد فى كثير من الأديان حتى الآن.

وتبدأ رحلة الروح فى المرحلة الأولى بعد انتقالها فى سفينة الشمس عبر الفضاء الأزلى بدخول الميت يقوده أنوبيس(2) إلى قاعة التحضير أو الرؤيا، وفيها تواجه الروح المحلّفين الاثنى عشر وهم أعضاء العائلة المقدسة أو عائلة الخلق، وتتكون من الإله رع خالق الكون وثيمو وشو وتفنوت وكب ونوت وإيزيس ونفتيس وحورس وهاتور وهوسا(3).

ونذكر دور الإله بتاح أب نفرتم فى العالم الآخر ومجيئه للعناية بالموتى وباعتباره الإله الخالق توكل إليه مختلف مسئوليات إله الشمس، والواقع أن بتاح لا يشارك إلا

(1) Delacy O'leary, D. D.: How Greek Science Passed to the Arabs, London، 1964, p.22.
انظر: أوفيد: مسخ الكائنات، ترجمة: د. ثروت عكاشة، راجعه عن الأصل اللاتينى: د. مجدى وهبة، هيئة الكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ص٣٣١.

(٢) أنوبيس هو إله جنائزى عظيم عُبد بعدة ألقاب هى «الذى ينتمى إلى لفائف المومياء» و«رئيس السرادق الإلهي» حيث يتم التحنيط لأنه حنّط أوزيريس وصار راعى خبراء التحنيط و«سيد الجبانة» و«الراقد فوق جبله»؛ لأن ذلك الإله الأسود كان يقود الموتى فى العالم الآخر ويحرس المقابر.
چورج بوزنر: معجم الحضارة المصرية، ترجمة: أمين سلامة، راجعه: د. سيد توفيق، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص٦٥.

(٣) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص٥٥، ٥٦.
انظر: فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٣٦١.

بصفة عامة جدًا فى تأليه الميت ولكنه يلعب دورًا مُهمًّا فى احتفال «فتح الفم» الذى يستعيد به الميت حواسه، وجدواه الحقيقية بالنسبة لعالم الموتى تكمن فى علاقاته مع الإلهين القديمين «نون» إله المياه الأزلية الأولى و«تاتنن» إله الأرض الجرداء. وبفضل خصائصه الخلّاقة يساعد على بعث الموتى[١].

وبعد دخول الميت قاعة التحضير يدعو الميت دعاءً تقليديًا ويتلو تلاوة مقدسة يتعرف من خلالها على آلهة الخلق. ويعلن أنه آمن بها، وعندئذ يتقدم أنوبيس وينزع قلب الميت ويضعه فى الميزان، والقلب هنا يمثل الضمير وإذا كان قلبه نقيًا سمحت له المحكمة بالاستمرار فى الرحلة السماوية عبر السموات السبع، ويصف كتاب الموتى كل سماء وصفًا تفصيليًا وطبيعة كل منها.

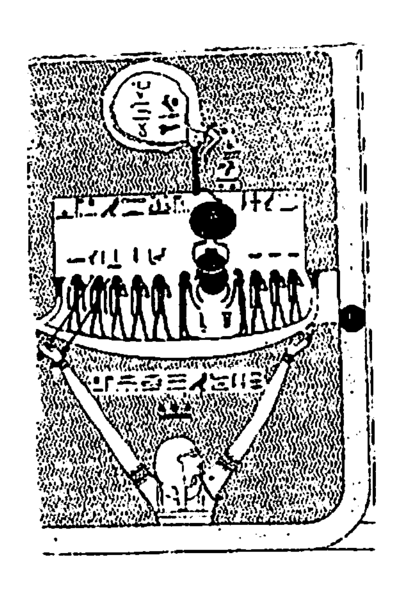
ونجد أن كتاب الموتى يعرض لبوابات العالم الآخر المؤدية إلى مملكة أوزيريس حيث توجد علاقة بين السماوات والعالم الآخر؛ لأن المصرى كان يعتقد أن الأبدية ليست فقط وهدة العالم الآخر ولكنها أيضًا جزءً من السماء التى هى نفس جسد نوت، وأثناء النهار تنزلق الشمس على جسدها ثم تغطس فى المساء فى أعماق السموات المحيطة باللانهائية و«التى هى غير معروفة للآلهة والأرواح على السواء» وهنا تجرى إعادة الميلاد الغامضة للنجوم وللموتى. ومن هذه الزاوية تأتى الطيور المهاجرة التى يمثل رحيلها وعودتها مغزى الموت وإعادة الميلاد، كما أن شكل الطائر يستخدم لتصوير روح الإنسان (البا) التى تتحرك بحرية بين السماوات والعالم الآخر. وكانت الأعماق تمثل أيضًا المحيط الأزلى (نون) أو حتى أعماق السماء فى جسد نوت. وفى كتاب البوابات نرى الشمس ترفعها من المياه الأزلية يدا نون وفى كتب السماوات – ينضح جسد ربّة السماء بالمياه الأزلية. وهكذا تكون الرحلة الليلية دائمًا فى الأعماق حيث توجد قوى الخصوبة والتجديد[٢]. وجاء فى كتاب الكهوف أن إله الشمس يقول وهو يدخل عالم الموتى: «إننى أدخل العالم الذى جئت منه، إننى أضىء مكان مولدى الأول[٣]»[٤].

(١) إريك هورنونج: وادى الملوك أفق الأبدية، ص٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٨، ١٢٩.

(٣) هذا دليل على وجود المحيط الأزلى (نون) قبل عملية الخلق وأن أصل نشأة الكون هو الماء.

(٤) المرجع السابق، ص٢١١.



المنظر الختامى من كتاب البوابات على التابوت
المنحوت من المرمر لسيتى الأول ومركب الشمس
يرفعه نون من الأعماق المائية وقرص الشمس
يحمله الجعران المقدس وتتلقاه الإلهة نوت التى
تقف فوق رأس أوزيريس الذى يلتف جسده
حول العالم الآخر .

وفى نهاية الرحلة تبتلع الأعماق إله الشمس المسن لكى يعود للظهور من جديد مرة أخرى فى الصباح التالى كطفل أو حشرة الجعران. فعملية الميلاد الجديدة وكل فجر معناه التجديد العام للبشرية، فالطفل كحشرة الجعران المُمثلة فى إله الشمس تخرج من المياه الأوّلية والفيضان العظيم يرفعه كالبقرة السماوية وهو يلتمع من بوابات الأفق. ونجد فى كتاب البوابات رموزًا للتجديد والعبور والصعود وإعادة الشباب وإعادة الميلاد للشمس، وفى هذا الكتاب أيضًا يتحول إله الشمس إلى طفل كما فى كتاب الأمدوات، ويفتح الإله الطفل العالم الآخر إلى السموات ويصعد إلى أعلى وهو لا يزال بين ذراعى «نون» وهو الرمز الذى يجسّد المياه الأولية، والذى ترفع ذراعاه الشمس من الأعماق. وهكذا نرى مركب الشمس وهى فى شكلها المبكر عند الفجر كجعران مزودة بطاقم مقدس من الملاحين ترفعها ذراعا نون من أسفل وتتلقفها من أعلى نوت إلهة السماء

التى تقف فوق رأس أوزيريس، وقد ثَنَى رجليه إلى الخلف محيطًا بالعالم الآخر. والهدف النهائى للرحلة الجديدة واضح هنا، إن الشمس يجب أن تعود إلى الأعماق، حيث مملكة أوزيريس، كى تبدأ الرحلة التى لا تنتهى مرة أخرى.

ونشير إلى البوابة الأخيرة فى العالم الآخر، كما هو منصوص عليها فى الأمدوات ترفع الآلهة إلى أعلى إذ يرتفع جميع الآلهة مع الموتى المباركين من الأعماق المظلمة للماء والأرض مع إله الشمس، كما يصحو النيام من عالم الأحلام الذى تصور المصريون أنه نون ويعودون إلى ضوء الوعى المعقول ويصبح العالم صغيرًا مثلما كانت البشرية عندما سمح لجميع الأشياء أول مرة بأن تخرج من الوحدة المائية المظلمة للمحيط نون الراكد، لأن المصرى كان مقتنعًا بأن الخليقة يمكن تكرارها، وأن المرة الأولى كما كان يُسمى ظهور الزمن تتكرر فى الواقع كل صباح مع بزوغ الفجر الذى يعيد النضارة إلى العالم. مثلما نشأت الحياة من الرطوبة فهى تتطلب المياه الأولية لتجديدها. وفى ابتهالات رع يطابق المتوفى نفسه مع نون قبل أن يتحرك لتحقيق التماثل مع الشمس وأوزيريس[١].

ونجد أن روح الميت تكون متلهفة للقاء أوزيريس إله الموتى، فنجد أن الميت يتقدم برجاء خاص إلى المعداوى فى السماء ليسارع وينقله حيث يسكن أوزيريس قائلًا: «أيها العابر إلى «حقل قربان الطعام» أحضر لى هذا ! أسرع إنه هو ! إنه هو تعال ! هو ابن سفينة الصباح التى قد ولدته على الأرض، إن ولادته تامة لا تشوبها شائبة، وعلى تمامها حياة الأرضين، إنه هو بشير العام يا أوزيريس، إنه يأتى برسالة من أبيك (جب) محصول العام السعيد، ما أسعد محصول العام» لقد نزل مع التاسوعين إلى (نهر الماء البارد) وهو المنشئ للتاسوعين ومؤسس حقل قربان الطعام، وقد وجد الآلهة منتظرين ملفوفين فى ملابسهم، ونعالهم البيضاء فى أقدامهم.

وعندئذ ألقوا بنعالهم البيضاء على الأرض وخلعوا ملابسهم.

«لم يهدأ لنا قلب حتى أتيت» هكذا قالوا[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص١٣١-١٣٤.
انظر: د. سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص٥٧١.
(٢) د. سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الثانى. ص٤١٤.
انظر: وول ديورانت: قصة الحضارة، ص١٦٢، ١٦٣.

ثم تصل الروح إلى العالم الآخر الذى يحكمه أوزيريس الجالس على العرش السماوى. ويشع النور من جسده ليضيء قاعة المحكمة، وتقف على جانبيه إيزيس ونفتيس ملكتا الحسنات والسيئات، وينتزع أنوبيس قلب الميت ويضعه فى إحدى كفتى الميزان وفى الأخرى ريشة ماعت رمز الحق والعدالة، ويجلس تحوت إله المعرفة ليراقب سهم الميزان، وعلى جانبى الميزان رمز المهد والمصير، وخلف المتوفى يقف الوحش أمنتى مُلْتهم الموتى، وهو على شكل حيوان له رأس تمساح وصدر ومخالب أسد والجزء الخلفى لفرس البحر[1].

وتبدأ المحاكمة بتحية الميت الإله وهيئة المحكمة والقضاة بقراءة بعض التلاوات المقدسة المأخوذة من كتاب الموتى فى الباب الخامس والعشرين بعد المائة:

«لا يوجد فيه شر ولا خطيئة ولا فساد ولا دنس وليس عليه اتهام ولا اعتراض فقد عاش فى الحقيقة وتغذى بالحقيقة.. وإن القلب لمنشرح مما فعل وإن ما فعله لما يتطلبه الرجال ويبتهج له الآلهة، وقد صالح الآلهة بحبه وأعطى الخبز لمن كان جائعًا والماء لمن كان صاديًا واللباس لمن كان عاريًا وأعطى زورقًا لمن ليس عنده...»[2].

ويُنهى الميت قوله بـ «يا قلبى لا تشهد ضدي» ثم يبدأ القضاة الاثنان والأربعون يسألون الروح كل منهم سؤالًا واحدًا وعلى الميت أن ينفى عن نفسه أمام كل إله خطيئة من الخطايا، والاعتراف أمام كل إله لابد أن يتضمن شيئين: اسم الإله والمكان الذى أتى منه ثم إعلان البراءة من الخطيئة. وهذه الآلهة الاثنان والأربعون ما هم إلا مساعدون لأوزيريس الذى يتصدر القاعة والذى يجب أن يخاطبه الميت باسمه بمجرد دخوله، ويبدو ـ وهو الرأى الأرجح ـ أن كل إله من هذه الآلهة قد ارتبط فى أذهان

---

(١) بيير مونتيه: الحياة اليومية فى مصر، ترجمة: عزيز مرقص منصور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص٤١٣.

انظر: د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص٥٦.

(٢) كتاب الموتى الفرعونى. ص١٢٢، ١٢٣.

انظر: غوستاف لوبون: الحضارة المصرية، ترجمة: صادق رستم، المطبعة العصرية بمصر، ١٩٢٤، ص٥٧.

المصريين بنمط من السلوك أو وصية من الوصايا يكون مسئولًا عن اختبارها لدى الميت والتحقق من قيامه بتنفيذها[1].

وتقوم ملكتا الحسنات والسيئات بتسجيل أقواله، وإذا ظهر أن الميت كان مخلصًا وعاملًا بالقانون الأدبى الأخلاقى فى حياته الدنيا، فيكون إذن من الفائزين. ولقد وصف والس بادج فى كتابه فلسفة العقائد عند قدماء المصريين أن أسئلة القضاة تُعد أدق وأرقى ما وصلت إليه تشاريع الكتب السماوية؛ فهى فى مجموعها تشريع إنسانى كامل لم يُفرض بالتهديد والإنذار بل بالمنطق والترغيب.

كما أن تلك الوصايا التى تفرّق بين الحق والباطل والمحلل والمحرّم شملت كل ما ورد فى الكتب السماوية التى ظهرت فى العالم أجمع بعد كتاب الموتى بألوف السنين. ويخرج الميت الفائز بصحبة حورس[2] ليصعد سُلّم السماء الموصِّل إلى الجنة. ونذكر ما يجب أن يقال عندما يخرج المتوفى ظافرًا من قاعة ماعتى المزدوجة:

«التحية لكم.. أيها الآلهة فى قاعة «ماعتى المزدوجة».. بالحقيقة إنى أعرفكم وأعرف أسماءكم»[3].

«تعال إذن.. اعبر خلال باب قاعة «ماعتى المزدوجة» لأنك بالحقيقة تعرفنا»[4].

«إليك الاختبار. مَنْ هو الذى سماؤه من لهب وجدرانه متوّجة باليوريات، وأرضية مقره مجارٍ مائية؟ إنه (أوزيريس) تقدم... بالحقيقة قد اختبرت واسمك سيعلن له»[5].

---

(١) كتاب الموتى، ص٢٢٢.

(٢) يؤكد (بادج) على أهمية (عين حورس) التى تلعب دورًا بارزًا إذ تمنح القوة لقلب «الميت» وتقوده إلى أعتاب «الإله» أوزيريس.
المرجع السابق، ص٢٤٧.

(٣) والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. ص١٢٨.

(٤) المرجع السابق، ص١٣٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٣٢.

وتُعد قصة الجنة والنار فى كتاب الموتى الفرعونى والتى ترجع إلى ستة آلاف سنة، من روائع أدب الأساطير العالمية، والتى لا زالت موضع بحث ودراسة من حيث علاقة كتاب الموتى بمختلف العقائد والفلسفات.

وقد نقلها أيضًا اليهود عند خروجهم من مصر فى أسفار الكابلاه (الزهار وتزيروتا) العبرية القديمة ونسبوها إلى حكمائهم، كما سبقهم الآشوريون فى نقلها، فظهرت فى قصة جَلْجامِش عام ٢٠٠٠ق.م. وظهرت كذلك فى الأوديسة (هوميروس) عام ٩٠٠ ق.م[١].

مما سبق يتضح لنا أن شكل الديانة المصرية القديمة منذ القدم هى بلا شك صورة مركبة من عناصر متنوعة، فمن جهة رأينا فيها المعبودات المحلية، ومن جهة أخرى رأينا المعبودات السماوية التى تبعد عن الإنسان بُعدًا كبيرًا لا نهاية له.

ونتيجة تأملات المصرى القديم وأفكاره عن الطبيعة والكون أنتج لنا كثيرًا من المعتقدات الدينية الخاصة بخلق العالم، واستطاع علماء اللاهوت بتخيلاتهم الدينية مزج هذين العنصرين وإنتاج ديانة تكاد تكون جديدة.

فلا توجد قوة أثّرت فى حياة الإنسان القديم مثل قوة الدين لأن هذا التأثير يتضح فى كل أنشطة بنى الإنسان، ولم يكن أثر هذه القوة فى مراحلها الأولى إلا محاولة بسيطة يتعرف بها الإنسان إلى ما حوله فى العالم ويخضعه بها فيه الآلهة لسيطرته، فصار وازع الدين هو المسيطر الأول عليه من مخاوف وآمال لمستقبله وما أوجده من أعياد هى تقويمه السنوى وشعائره هى الدافعة له على تنمية الفنون والآداب والعلوم.

ونجد أن الحياة والفكر والدين قد امتزجت وكوَّنت كتلة واحدة تتداخل بعضها فى بعض مؤلَّفة من المؤثرات الخارجية والقوى الإنسانية الباطنة. ومن ثَمَّ لم يستطع الدين أن يظل جامدًا من غير أن يتمشى مع هذه العوامل الدائمة التطور من مرحلة إلى مرحلة، وكل الأسباب تحملنا على الاعتقاد بأن الحال ستستمر كذلك: تطور وارتقاء دائم، ويظهر هذا التطور ممثلًا فى الكفاح القائم بين العالم الظاهرى المحيط بالإنسان والعالم

(١) سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص٦٢، ٦٣.

الباطنى الكامن فى نفسه حتى تكوّن الدين وأوجد المبادئ الأخلاقية لمجتمع بشرى منذ ثلاثة آلاف سنة[1]. كذلك عملت على تهيئة العقول للمُضى قُدمًا نحو التوحيد الإلهى لتصل إلى أرقى التصورات العقلية فيما يتعلق بطبيعة الإله الخالق وعلاقته بالمخلوقات والثواب والعقاب، وهو الميراث الذى أخذه اليونان وأطلقوا عليه الفلسفة أو الدين وهذا ما سوف نوضحه بالتفصيل.

(١) چيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٣٧.

الفصـل الثاني

كيفية نقل الفكر المصرى إلى اليونان
(حركة النقل)

الطبيعة الجغرافية والتبادل التجارى:

إن الحضارة المصرية القديمة حضارة موغلة فى القدم، تمتد بجذورها سبعة آلاف سنة أو أكثر حيث كان الأوروبيون رعاة يعيشون بالكهوف. ورغم تلك الحقيقة الواضحة للعالم بأسره نجد أن الغرب يحاول دائماً التشكيك فى أن المصريين هم صنّاع الحضارة الإنسانية، وأن الإغريق هم الذين أفاضوا على المصريين بعلومهم وفلسفتهم وحضارتهم وأنهم الأسبق فى نشر تلك الحضارة[(١)].

ولكن سرعان ما أفاق الجميع من تلك الهلوسة التى أصابت عقولهم، وذلك باكتشاف الأبجدية المصرية القديمة وفك رموز حجر رشيد[(٢)] على يد شامبليون أوائل القرن التاسع عشر.

بعد ذلك انهالت الرحلات الاستكشافية على مصر لكشف غموض وأسرار ما نُقش على جدران المعابد وأوراق البردى. فانبهر العلماء لما شاهدوه وفسّروه، وعندئذ أدركوا مدى الزيف والضلال الذى خيّم على عقولهم فترة من الزمن.

وانصهرت بداخلهم الأكذوبة الإغريقية بأن حضارة الإغريق هى الحضارة الأم وأصل كل الحضارات[(٣)].

---

(١) مارتن برنال: أثينا السوداء، ترجمه وراجعه: د. أحمد عتمان، الجزء الأول (تلفيق بلاد الإغريق ١٧٨٥-١٩٨٥)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د.ت، ص٤٧.

(٢) Rasette Stone: اكتشفه فى أغسطس ١٧٩٩ بيير فرانسوا كسافييه بوشار وكان ضابطًا مهندسًا أثناء قيامه بأعمال هندسية عند قلعة چوليان قرب رشيد، عندما لاحظ لوحة حجرية غريبة مستعملة فى بناء حائط قديم فأخطر القائد مينو ونقله للإسكندرية وكان منقوشًا عليه قرار بطليموس الخامس عام ١٩٦ ق.م. بالهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية واكتشفوا أن الكتابة الإغريقية يمكن أن تكون ترجمة للكتابة الهيروغليفية، وكان شامبليون يعرف من قبل أحد عشر حرفًا هيروغليفيًا من مسلة فرعونية ويجيد الإغريقية، لهذا استطاع حل طلاسم حجر رشيد بعد ثلاثة وعشرين عامًا.
چورج بوزنر: معجم الحضارة المصرية القديمة، ص١٣.

(٣) د. أحمد محمد عوف: عبقرية الحضارة المصرية القديمة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٩، ص٢٢.

وكطبيعة مصر الجغرافية ظلت عدة قرون منذ فجر التاريخ فى عزلة عما حولها؛ فلم تكن على صلة بالمشرق ولا بالإغريق الذين يفصلهم البحر المتوسط عنها ولا بالجنوب حيث أدغال أفريقيا، ولا بالغرب حيث الصحراء الغربية ولا بالشرق حيث البحر الأحمر الذى يُعد حاجزًا طبيعيًا بينها وبين غرب آسيا، وظلت هذه العزلة عدة قرون حتى بدأت تتجه فتوحاتها تجاه الشرق بعد غزو الهكسوس لشرق الدلتا، وكان أول احتكاك لها عندما أصبح لها أساطيلها التى كانت تجوب مياه البحر الأحمر، خاصة أثناء حكم الملكة حتشبسوت (١٤٨٩-١٤٦٩ ق.م.) التى وصلت أساطيلها بلاد بونت لجلب الآبنوس والعبيد من بلاد الحبشة، وكان الأسطول المصرى فى الدولة الحديثة يسيطر على السواحل الفينيقية وآسيا الصغرى لرد خطر الحيثيين هناك[١].

ونتيجة العزلة التى كانت بين قدماء المصريين وجيرانهم ولا سيما فى الشرق الأدنى، نجد أن لغتهم الهيروغليفية كانت لغة محلية بمصر، بينما اللغة المسمارية التى ابتكرها السومريون والتى كانت تُكتب على ألواح من الطين الجاف هى لغة بلدان ما بين النهرين بالعراق، لأنها كانت لغة البابليين والسوريين والكنعانيين بفلسطين وهى اللغة العربية والعبرية.

ومن خلال هذا المنظور الحضارى. كانت شعوب العالم القديم تنظر لشعب مصر الفرعونية على أنه مختلف عن سائر الشعوب، لا يمكن فهم قيَمه الحضارية ولا سيما أن أساطيره القديمة كانت كلها تدور حول الآلهة التى جسّدها فى قوى الطبيعة من حوله.

وبدأ قدماء المصريين يتصلون بالشرق وأهل الجنوب، وبدأت المعاملات التجارية، ولكن بشكل محدد، فكانت مصر تصدِّر ثقافتها مع القوافل التجارية إلى الشرق عبر الطريق البرى من خليج السويس، والطريق البحرى بالبحر الأحمر عندما كانت الأنهار تصب فيه فى الأزمان القديمة.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣.

فتوجهت العلوم المصرية المزدهرة إلى آسيا وبلاد بونت بشرق أفريقيا، لهذا قامت فى جنوب النوبة حضارة كوش وهى نسخة طبق الأصل من حضارة مصر الفرعونية بأهرامها وتماثيلها الموجودة هناك حتى الآن.

ومن ثَم نجد أن الحضارات القديمة فى الشرق الأدنى وشرق وشمال البحر المتوسط هى حضارات منقولة عن الحضارة المصرية القديمة لكن هذه الحقيقة تاهت وسط الإرهاصات الفكرية لدى الغرب؛ لأن الحضارة المصرية قد مدّت الجسور المعرفية عن مصر لكل المراكز الحضارية بالعالم القديم ما عدا الصين لأن الحضارة الهندية كانت على صلة وثيقة بحضارة الفرس[1].

ولا شك أن الإغريق قد ظهروا جندًا مرتزقة فى خدمة أهل الشرق، كما استقروا تجّارًا وصنّاعًا قد تسرّبوا إلى الشرق فى هدوء مشتغلين بالتجارة والربا. غير أنهم كانوا يتصلون بهم بألف وسيلة من وسائل الاتصال التجارى. وقد سمح لهم فى عهد أمازيس[2] بتأسيس مدينة إغريقية فى مصر، وهى نقراطس الغنية والآهلة بكافة القبائل الإغريقية. وعندما جاء هيرودوت مصر كان المصريون قد ألفوا رؤية أمثاله من الضيوف، ولا ينبغى أن يُظن أنهم اكتسبوا رضاءهم، لأن الإغريقى العادى كان لا يشعر بأى احترام نحو الشعب القديم ولا البيئة المقدسة، وكانوا على نحو ما يفعل الأوروبيون اليوم فى الصين كثيرًا ما يرون لأول وهلة فى كل شيء ما يثير الضحك. فقد سمّوا مقابر الملوك فى منف الرغيف لما بدا لهم من شكلها، وأسموا مقابر طيبة بالناى. وقد سمّوا أقاليم مصر وآثارها بما كان مألوفًا لديهم من الأسماء. وكانوا يشعرون دائمًا بأنهم الشعب المختار ولكنها غطرسة كاذبة[3].

ولا شك أن الإمبراطورية المصرية امتدت امتدادًا كبيرًا خلال فترة زمنية باكرة جدًا ولم تكن تشمل فقط جزر بحر إيجه وأيونيا؛ بل امتدت أيضًا حتى الأطراف البعيدة من

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤، ٢٥.

(٢) أحد فراعنة الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٤-٥٢٥) ق.م.

(٣) أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ص٣٩٩.

الشرق. ويروى لنا كلٌّ من ديودور ومانيتو أحد كبار الكهنة المصريين أنه تم العثور على نُصُبين فى العرابه المدفونة Nysa Arabia، أحدهما للإلهة إيزيس والثانى للإله أوزيريس ومنقوش على الثانى قول «الإله إنه قاد جيشًا عبر الهند إلى منابع نهر الدانوب حتى وصل إلى مشارف المحيط».

وعلمنا أيضًا أن سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة [قرابة ١٩٠٠ ق.م.] غزا كل المنطقة المطلة على الساحل الشرقى للهند إلى ما وراء نهر الجانجز وحتى المحيط الشرقى. وقيل أيضًا أن غزواته شملت مجموعة جزر كيكلاديس[١] وجزءًا واسعًا من أوروبا، وتؤكد رسائل تل العمارنة التى تم العثور عليها أن الإمبراطورية المصرية امتدت حتى غرب آسيا وسوريا وفلسطين، وأن سلطان مصر ظل على مدى قرون عدة صاحب السيادة والقوة العظمى فى العالم القديم وكان هذا فى الأسرة الثامنة عشرة قرابة ١٥٠٠ق.م.، وعرفنا أيضًا أنه خلال حكم تحوتمس الثالث، امتد سلطان مصر وتجاوز فلسطين ليشمل جنوب المنطقة الممتدة من النوبة حتى آسيا الشمالية[٢].

ويتبين لنا أن هذه الفتوحات المستمرة كانت سببًا مباشرًا لنشر الفكر الفلسفى المصرى فى كل مكان، والمعروف آنذاك بمبادئ نظم الأسرار المصرية. ويُذكر أيضًا أنه خلال فترات الغزو الفارسى ثم اليونانى فالرومانى فرَّت أعداد غفيرة من المصريين لا إلى المناطق الصحراوية والجبلية فحسب بل وإلى الأقطار المجاورة فى إفريقيا والجزيرة العربية وآسيا الوسطى، حيث عاشوا هناك وطوّروا سرًا تعاليم نظامهم الدينى المتمثل فى نظم الأسرار. وخلال القرن الثامن الميلادى غزا بربر المغرب، وهم من مواطنى موريتانيا فى شمال إفريقيا، إسبانيا وحملوا معهم الثقافة المصرية التى احتفظوا بها. ولقد كانت المعرفة فى العصور القديمة متمركزة بمعنى أنها تنتمى إلى أب مشترك ونظام مذهبى مشترك،

---

(١) Cyclades: هى مجموعة جزر يونانية مساحتها أكثر من ألف ميل مربع وتقع جنوب بحر إيجه وعاصمتها هيرموبوليس فى جزيرة سيروس.
چورچ چى. إم. چيمس: التراث المسروق، ص٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦، ٢٧.
انظر: د. عصام السعيد: تاريخ العرب فى العصور القديمة [دراسات فى تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم]، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص٢٠٥، ٢٠٦.

وهما هنا تعليم الحكمة أو مبادئ نظم الأسرار فى مصر التى سمّاها اليونان سوفيا Sofia وتعنى الحكمة. أى أن شعب شمال إفريقيا كانوا جيران المصريين وأصبحوا وعاء الثقافة المصرية التى نشروها فى آسيا وأوروبا وإفريقيا[١]، وأظهر المغاربة خلال احتلالهم إسبانيا براعة فى الكشف عن عظمة الثقافة والحضارة المصرية، وحافظوا على اتصالهم بمصر الأم؛ بأنهم أقاموا خلفاء فى بغداد وقرطبة والقاهرة عاصمة مصر التى جذبت إليها طلابًا من جميع أنحاء العالم، مثلما حدث لطلاب أيونيا وجزر بحر إيجه نتيجة الغزو الفارسى (٥٢٥ ق.م.)[٢].

واستمرت الهجرة إلى أن استولى اليونانيون على مصر وتيسّر لهم الحصول على المكتبة الملكية بعد غزو الإسكندر الأكبر للبلاد. وتحوّلت الإسكندرية آنذاك إلى مدينة يونانية ومركزًا للأبحاث وعاصمة للإمبراطورية اليونانية الوليدة فى ظل حكم البطالمة، وكان اليونانيون يُطبّقون سياسة عسكرية للحصول على المعلومات من المصريين فى الإسكندرية، فأصدروا أوامر إلى كبار الكهنة المصريين للحصول على معلومات بشأن التاريخ المصرى. والفلسفة والديانة فى مصر. وروى أن بطليموس الأول الملقَّب بالمخلص أراد أن يستكشف أسرار الحكمة المصرية، فأمر مانيتون (٣٢٥-٢٦٨ ق.م.) كبير كهنة معبد إيزيس فى مدينة سيبينيتوس فى الدلتا أن يكتب فلسفة المصريين وتاريخ ديانتهم.

وبناء على ذلك نشر مانيتون عديدًا من المجلدات عن هذين الموضوعين، وأصدر بطليموس أمرًا بحظر ترجمة هذه الكتب التى يتعين الاحتفاظ بها من باب الاحتياط فى المكتبة لتعليم اليونانيين على أيدى الكهنة المصريين. ويتضح هنا بجلاء أن أول أساتذة مدرسة الإسكندرية هم الكهنة المصريون وأن الباحثين وتلامذة أرسطو (٣٨٤-٤٢٢) ق.م. نقلوا المدرسة، وتلقوا تثقيفهم العلمى مباشرة على أيدى الكهنة المصريين وأن

(١) چورج إم. چيمس: التراث المسروق، ص٥١.
(٢) ن. كويلر ينج: الشرق الأدنى - مجتمعه وثقافته، ترجمة: د. عبد الرحمن محمد أيوب، الألف كتاب، العدد ١١٦، ص٦.

الكتب الدراسية الأساسية فى مدرسة الإسكندرية هى كتب مانيتون[1]. وظلت الثقافة المصرية وازدهرت باسم اليونانيين إلى أن صدر مرسوم ثيودوسيوس فى القرن الرابع الميلادى ومرسوم جوستينا فى القرن السادس الميلادى بغلق المعابد والمدارس الخاصة بنظم الأسرار المصرية، كما أديا كذلك إلى إلغاء المدارس الفلسفية المنبثقة عن هذا النظام الموجود خارج مصر سواء فى اليونان أو غيرها.

ومن ثَمَّ يتضح لنا مدى تطابق طبيعة نظم الأسرار المصرية وطبيعة الفلسفة اليونانية، وأن الفلسفة اليونانية انبثقت عن نظم الأسرار المصرية[2].

أى أن الفلسفة بكل ما تحويه من معانٍ مختلفة؛ نبتت وتأصلت جذورها وانتشرت فروعها اليانعة فى تربة مصر الخصبة التى عملت على نموها ورعايتها والحفاظ عليها، لتكون منهلًا ينهل منه مُحبو الفلسفة فى جميع أنحاء العالم، ويلتمسون الالتحاق بنظام الأسرار أو نظام الحكمة منها. ونذكر منهم أفلاطون[3]، والذى سوف نتحدث عنه بإسهاب خلال الصفحات القادمة، وأيضًا هيرودوت المؤرخ اليونانى وهما قد أقاما فى مكتبة ومعبد سايس لتلقِّى كل ما يريدانه على يد الكهنة ورجال العلم المصريين.

اليونانيون وما اقتبسوه من مصر:

تشير الدلائل المهمة على تأثر اليونان بالمصريين القدماء، ووجود بعض الاقتباسات الفنية التى اقتبسها اليونانيون من مصر. وأبرز هذه الأمثلة أبو الهول الإغريقى. وأكثرها تصويرًا هو المارد الذى يلعب ذلك الدور المشهور فى أسطورة أوديب، حيث كان ليوس أول ملوك طيبة فى اليونان ويوكاست زوجته قد أنجبا ولدًا وأخبرتهما العرَّافة أنه سوف يقتل أباه ويفسق بأمه، فإذا بأبويه يخرقان قدميه ويلقيان به فى جبل كيثرون فريسة للسباع. وعثر على الطفل وأخذه ملك كورنثه. وتبنّت زوجته رعاية الطفل ونشأ فى رعاية الملك والملكة وأطلقا عليه أوديبوس المتورم قدماه، وعندما كبر الطفل عُيِّر بأنه

(١) چورج چى. إم. چيمس: التراث المسروق، ص٥١.
(٢) نفس المرجع، ص٦٠، ٦١.
(٣) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٣٧٨.

ليس ابنًا للملك والملكة فلجأ إلى الوحى ليعرف الحقيقة، فكان جواب الوحى أنه قُدّر عليه أن يقتل أباه ويفسق بأمه، ولأنه كان يوقن بأنه ابنٌ للملك والملكة قرر ألا يعود إليهما حتى لا تتحقق النبوءة. فأخذ يتجول فى البلاد حتى وصل إلى الطريق بين دلفى ودوليس وقابل أوديبوس لايوس ولكنهما لا يعرفان كلًا منهما الآخر، وأراد سائق عربة ملك طيبة أن يدفع أوديبوس عن طريقه ولكن أوديبـوس قتل لايوس أثناء الشجار محققًا بذلك أول أجزاء النبوءة، وفى الطريق كانت أبو الهول تقف على صخرة عالية وتُلقى بلغز لكل من يقابلها لحله ومَنْ يفشل فى حله يُقتل. وجاء دور أوديبوس وألقت عليه اللغز قائلة: «ما هذا الذى يسير على أربع أرجل فى الصباح وعلى رجلين فى الظهيرة وعلى ثلاث أرجل عند الغروب ويبلغ أقصى الضعف عندما تبلغ أقصاها». فأجابها أوديبوس قائلًا: الإنسان. وعندئذ غضبت أبو الهول وقفزت من فوق الصخرة متمزقةً إربًا.

ورحب به أهل البلدة وقرروا أن يتزوج الملكة ويصبح ملكًا عليهم، وتزوج من أمه يوكاست وهو لا يعلم حقيقة أمرها وعندما أدرك الحقيقة قتلت نفسها وفقأ هو عينيه. ويتضح ما فى الأسطورة من العناصر المصرية الأصل، وهى:

ما هنالك من النظائر الشمسية القوية فى اللغز المشهور الذى تعلّمه أبو الهول من ملهمات الشعر موزيس اللاتى كُن فى ركاب إله الشمس، وهى إشارة للفكرة المصرية التى مثّلت شمس الصباح طفلًا ينبعث من زهرة لوتس متفتحة، أما الرجل فى عنفوانه فهو رع أى الشمس فى قوتها عند الظهيرة والرجل الشيخ بعصاه إنما يُمثل آتوم إله الشمس عند الغروب[1].

ومما سبق يتضح مدى معرفة الإغريق بالعناصر الشمسية المصرية التى كان اللغـز يشمـلها. ونعرض كذلك لطراز آخر لأبى الهول يُرى فى مناظر إخناتون، وهى تبين جسد الأسد المستطيل يعلوه صورة لرأس الملك ونرى الذراعين البشريتين مرفوعتين

---

(١) إيمانويل فليكوفسكى: أوديب وإخناتون، ص٢٢٥، ٢٢٦.

انظـر: د. سـليم حسن: أبو الهول (تاريخـه فى ضوء الكشوف الحديثة)، ترجمة: جمال الدين سالم، راجعه: د. أحمد محمد بـدوى. الهيئة المصرية للكتاب، ص١٩٩٩، ص١٢٣-١٢٥.

لتلقِّى أشعة الشمس الفيَّاضة عن قرص آتون الذى كان رمزًا للإله الواحد رب إخناتون. وتدل المبالغة فى تمثيل قسمات الملك إخناتون على أن هذا المنظر قد صُوّر فيها يبدو آخر حُكمه. وإن ما دفع الملك إخناتون بأن أذن لمصور بتصويره نفسه فى شكل أبى الهول أيام كان فى أوج تعصبه الدينى، هو أن يكشف عن مقدار ما كان لأبى الهول من التحام قوى بعبادة الشمس. كذلك إخناتون فى هيئة أبى الهول وهو يقدم رمز الحق وتلك ظاهرة يمتاز بها هذا الملك الذى اتخذ الحق شعار كيانه[١].

ومن ثمَّ نرى أن التبادل التجارى والثقافى بين كلٍّ من مصر واليونان قد أدى إلى تأثر اليونان بالفن المصرى تأثرًا كبيرًا أثناء حكم الأسرة الثامنة عشرة، من حيث إناث أبى الهول أو صورة الملكة فى هيئة أبى الهول له أجنحة وثديا امرأة وهى تمزق ضحيتها[٢]. وعلى الرغم من كون أبى الهول الإغريقى دائمًا أنثى، فإن إناث أبى الهول المصرية لا تشبه فى مظهرها الطراز اليونانى. كما أن النظرة العابرة لا تلمح تشابهًا من حيث الطبيعة. وإنما التغيرات الملحوظة فى أبي الهول الإغريقى لم تؤثر فى طبيعته الفطرية كما أن علاقته الشمسية قد بقيت دون تغيير[٣].

ونجد أن هيرودوت هو أول من أعلن صراحة أن أصل أسماء جميع الآلهة الإغريقية مصرى إذ يقول (١١٥٠-٥٣):

Σχεδόν δέ καί πάντων τά ούνόματα των θεών έξ Αίγύπτον έλήλυθε ές τήν Έλλάδα διότι μέν γάρ έκ τών βαρβάρων ήκει πυνθανόμενος ούτω εύρίσκω έον δοκέω δ ¯ ων μάλιστα άπ Αίγύπτου άπίχθαι.

έπειτα δέ χρόνου πολλού διεξελθοντος έπύθοντο έκ τής Αίγυπτου άπικόμενα τά ούνόματα τών θεών τών άλλων.

فى الواقع نجد أن معظم أسماء آلهة الإغريق جاءت بلاد الإغريق من مصر. ذلك أننى عن طريق التحرى تأكدت من أن هذه الأسماء جاءت من بلاد أجنبية وأنى لأعتقد أنها جاءت بصفة أساسية من مصر.

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٧، ١٠٨.

(٢) إيمانويل فليكوفسكى: أوديب وإخناتون، ص٣٧.

(٣) سليم حسن: أبو الهول، ص١٢٣.

فبعد وقت طويل تعلَّموا ـ أى الإغريق ـ أولًا بقية أسماء الآلهة التى جاءتهم من مصر. وهذا القول عرَّض هيرودوت نفسه إلى الهجوم الشديد ووصفوه بأنه محب للأجانب واتهمه بلوتارخوس بالخبث. ولكننا نجد أن هيرودوت وحده لم يكن وحيدًا فى الاعتراف بفضل مصر على الحضارة الإغريقية، إذ تلاه فى ذلك الكثيرون ومنهم أفلاطون الذى أُعجب بأسبرطة؛ لأن أسبرطة أكثر مصرية من أثينا، وهو الذى أورد فى محاورة طيماوس الحوار بين سولون وأحد الكهنة المصريين الذى قال للمشرِّع الأثينى: «إن اليونانيين لا زالوا أطفالًا فى مضمار الحضارة»[1].

وتأثير الآلهة المصرية لم يقف عند هذا الحد بل زاد فى الانتشار فى كثير من دول العالم وخاصة اليونان، ففى القرن الثالث قبل الميلاد دخلت صنوف العبادات المصرية فى اليونان لا سيما الإله الجديد سيرابيس[2] وطائفة الآلهة المتصلة بأوزيريس وهى «إيزيس» وابنهما حورس وكذا أنوبيس[3]، وظل الإغريق يعبدون الآلهة المصرية غير أنهم قد تحاشوا بقدر الإمكان استعمال أسمائها البربرية. فعبدوا عقيدة بتاح وأمون وحورس وحتحور ونيت، ولكنهم آثروا تسميتهم هيفستوس وزيوس وأبوللو وأفروديت وأثينا، وأصبح تحوت يسمى كذلك هرمس بما يتفق وطبيعته، كما كان لابد لإله القمر خنسو وهو ابن أمون أن يسمى تبعًا لذلك هرقل، بيد أن هذه التسميات قد ظلت دون شك تتعلق بالشكل دون الجوهر[4].

ونجد أن الديانة المصرية كان لها تأثير كبير على بطليموس وخلفائه، حتى كليوباتره التى تعاملت مع قيصر وأنطونيوس بالديانة المصرية، لكى يحصلوا على احترام رعاياهم

---

(١) مارتن برنال: أثينه السوداء، ص٤٧، ٤٨.

(٢) Scrapis: هو إله أدخل مصر فى عهد بطليموس الأول، وكان هدف من أدخلوه أن يشترك الإغريق والمصريون فى عبادته. فاستعار بعض خصائصه من أوزيريس ولكن أهم صفاته كانت هيلينية تذكرنا بصفات زيوس وديونيسوس وانتقلت عبادته إلى بلاد منطقة البحر المتوسط على يد التجار وعُبّاده الذين اهتدوا إلى عقيدته بعد أن مَنَّ عليهم بالشفاء.

جورج بوزنر: معجم الحضارة المصرية القديمة، ص١٩٥.

(٣) أ. اشتبندروف: ديانة قدماء المصريين، تعريب: سليم حسن، ص١٢٨.

(٤) أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ص٤٠٠.

المصريين وحبهم، ولكى تكون مصدر قوة ثقافية لهم فى معاملاتهم مع الدول الأخرى التى ظهرت (آنذاك) نتيجة لتفتت إمبراطورية الإسكندر، ولكن هذا لا يكفى لتفسير الانتشار الهائل للديانة المصرية فى تلك الفترة فيما وصف بأنه فتح غزو الديانة المصرية للمغرب.

وعلى سبيل المثال فإن إيزيس الإلهة المصرية الأم، قد عُبدت فى أثينا منذ القرن الخامس ق.م. ليس من جانب المصريين المقيمين هناك فقط ولكن من جانب أهل البلاد من الأثينيين، وبحلول القرن الثانى ق.م. كان هناك معبد لإيزيس قرب الأكروبوليس، كما كانت أثينا تشجّع المدن الإغريقية التابعة لها على اعتناق العقائد المصرية. وفى جزيرة ديلوس أيضًا التى كانت مقدسة لدى الإله أبوللو فإن عبادة كل من إيزيس وأنوبيس تحولت إلى عبادات رسمية، وفى أثناء القرن الثانى الميلادى، نجد أن باوسانياس يخبرنا عن وجود معابد ومزارات مقدسة مصرية فى أثينا وكورنثه وطيبة الإغريقية[1].

وإذا انتقلنا إلى نقطة أخرى وهى وجود الحيوانات فى الديانة المصرية وما تُمثّله من أهمية مما أدى إلى هجوم كبير من قِبل بعض العلماء المهتمين بكل ما هو يونانى وإبعاد كل ما يتصل بحضارة المصريين عنهم، فإن بلوتارخوس قام بعرض الحقيقة التى مؤداها أن وجود عبادة الحيوانات إنما هى عبادة رمزية ومجازية، وكان هذا ضمن مقاله عن إيزيس وأوزيريس، وقد اعترف العلماء الذين يعملون فى إطار النموذج الآرى بأن هذا المقال هو أهم مصدر كلاسيكى فريد عن الديانة المصرية. وإن التفسيرات التى يقدمها المقال يزداد التأكد منها مع تقدم علم المصريات يومًا بعد يوم. فقد رسم بلوتارخوس الصورة العامة للديانة المصرية، التى يبدو أنها كانت شائعة بين المثقفين من الإغريق منذ القرن الرابع ق.م. - فعبادة الحيوانات وما يبدو كأنه من قَبيل الخرافة فى الديانة المصرية إنما كان قشرة خارجية لتقريب الأمور للجماهير - أما الكهنة العارفون بدخائل الديانة المصرية فقد كانوا يعرفون أن عبادة الحيوانات والأساطير المحيطة بها، كانت تخفى وراءها مجردات عميقة وفهمًا متعمقًا للعالم.

---

(١) مارتن برنال: أثينه السوداء، ص٢٢٧.

فمن مقالة عن إيزيس وأوزيريس نعرف أن الأمر الذى كانت تُعنى به الفلسفة الدينية فى مصر لم يكن العالم العابر المادى الذى يدور حول «الصيرورة» بما يشتمل عليه من أعراض النمو والتلاشى، وإنما العالم الخالد الذى يدور حول الوجود being الذى كان يتجلى فى الأعداد والهندسة والفلك[1].

وبالطبع؛ فإن هذا كله يُشبه أفكار الفيثاغوريين والأورفيين وأفلاطون بشكل يلفت النظر ليس من حيث المضمون فقط، ولكن فى كثير من الأحيان فى صورة الألفاظ المستخدمة لوصف تلك الأفكار. وعلى هذا فعلماء القرنين التاسع عشر والعشرين قد رأوا فى بلوتارخوس مثالًا رائدًا لما نسميه التفسير الإغريقى الذى وصفه البعض «إن الإغريقى الذى يهتم بملاحظة الأمور لم يكن دائمًا فى موقع يُمكّنه من فهم الديانة المصرية من الديانة اليونانية، وكانت العقبة الأولى هى جهله باللغة المصرية. ففى بعض الأحيان كان الإغريقى يقدم معادلة أو تفسيرًا على أساس من فهم مغلوط لظاهرة مصرية، أو على أساس تعديل تم تقديمه بخصوص ظاهرة إغريقية».

وهكذا نجد أن كل انحراف سواء كان جذريًا أو غيره يُسهم فى الابتعاد عن الصورة الحقيقية، وقد خصص أحد كبار المحدثين كتابًا كاملًا عن هذا السراب الإغريقى فى فهم مصر.

وإن البديهة التى تفيد أن الديانة والفلسفة المصريتين كانتا تتسمان بالضرورة بعدم النضج والضحالة. هذه البديهة تواجه صعوبة فى مصداقيتها فى حالة عدد من الرجال الذين كانوا على قدر غير عادى من الذكاء مثل يودوكسوس الذى تروى لنا الأخبار أنه عاش مع الكهنة المصريين وتعلّم اللغة المصرية القديمة، ومن ثَمَّ يبدو واضحًا أنه كان يُكنُّ حبًا واحترامًا للثقافة المصرية القديمة. ويكفى أنهم اعترفوا بوجود الفلسفة والديانة فى مصر حتى ولو كانت تتسم بعدم النضج.

وكذلك، فإن معاصرى بلوتارخوس والمفكرين اللاحقين الذين كتبوا فى إطار النموذج القـديم، يؤكدون إن التشابه اللافت للنظر بين وصف بلوتارخوس للديانة

(١) المرجع السابق، ص٢٢٩.

والفلسفة المصريتين، والوصفين اللذين قدّمهما الفيثاغوريون وأفلاطون إنْ هو إلا نتيجة لحقيقة يعرفها الجميع، وهى أن فيثاغورث (٥٨٠-٥٠٠ ق.م.) وأورفيوس وأفلاطون أخذوا أفكارهم عن المصريين القدماء[١].

وعلى العموم، فإن بلوتارخوس كان يعتقد بأن الفلسفة الإغريقية جاءت من مصر، ووجود وحدة بين الديانة المصرية والإغريقية بل إن الديانة المصرية أقدم وأنقى من الديانة الإغريقية.

البعثات العلمية من مصر وإلى مصر:

من أهم العوامل التى عملت على نشر الفكر المصرى القديم إلى العالم هو البعثات العلمية خارج مصر وداخلها، فقد أرسل أمنحوتب الثالث عام ١٣٩٠ق.م. تقريبًا بعثات لتعبر الأساطيل البحرية شرقًا لتصل إلى أمريكا حيث ظهرت فى ذلك التاريخ حضارة المايا بكل فنونها وعقائدها المصرية، وتصل بعض السفن الأخرى إلى أستراليا بعد عبورها المحيط الهندى. وفى عام ٥٩٠ق.م. أرسل نخاو الثانى بعثة أخرى دارت حول شواطئ إفريقية لتصل إلى المحيط الأطلنطى وتعبره مرة أخرى وتصل إلى المكسيك وتنشر الحضارة المصرية بين شعب الأوزتيك[٢].

ولم يقتصر إرسال البعثات العلمية إلى خارج مصر فقط، بل كانت البعثات العلمية تفد إلى مصر لتلقّى أنواع العلوم والمعارف المختلفة فى جامعات مصر القديمة[٣]، وعلى

---

(١) مارتن برنال: أثينه السوداء، ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٣) من أشهر الجامعات المصرية التى قامت برسالة الثقافة وبحوثها العلمية وكان لها دور فعّال فى بناء الحضارة الفرعونية ونشر رسالتها فى العالم بجانب جامعة (أون) الأم:
١ - جامعة سايس (ساو) صالحجر
٢ - هرقليوبولس ماجنا (ننوتسوت) أهناسيا.
٣ - هرموبوليس (خمنو) الأشمونين.
٤ - أبيدوس (أبدو) العرابه المدفونة.
٥ - طيبة (واست) الأقصر.
٦ - ممفيس (منيب حرج) منف.

سبيل المثال جامعة الإسكندرية الشهيرة التى أنشئت فى عهد بطليموس فيلادلفـوس ٢٩٦ ق.م. لتكون حلقة الوصل بين مكتبات المعابد الفرعونية وخزائن أسرارها، وانفتاح علوم المصريين على العالم الخارجى. وكانت مكتبة الجامعة تحتوى على أكثر من نصف مليون لفافة وبردية وموسوعة فى مختلف العلوم والآداب والعقيدة.

وقد احترقت مكتبة الإسكندرية عام ٤٧ ق.م. أثناء حرب يوليوس قيصر وبوبيوس فى حريق الأسطول فى ميناء الإسكندرية والتى كانت تطل عليه المكتبة. ويعتبر المؤرخون أن خسائر الحريق أسفر عن اختفاء موسوعة تحوتى والتى كان يطلق عليها الإغريق موسوعة هرمس وكانت سجلًا ضخمًا يضم اثنين وأربعين جزءًا، تحتوى على أسرار جميع العلوم والمعرفة المختلفة من نواحى الحياة وعلوم ما وراء الطبيعة وأسرار الوجود. وباختفائها اختفت أسرار مقومات الحضارة المصرية القديمة.

وتحتفظ متاحف العالم المختلفة بعدد قليل جدًا من برديات أجزاء تلك الموسوعة التى حيّرت علماء العصر الحديث بما وصلت إليه من مستوى علمى كبير، كذلك فقدت المكتبة أثناء الحريق وثائق تاريخ مصر من بدء الخليقة إلى نهاية عصر الأسرات التى قام بتصنيفها الكاهن والمؤرخ المصرى مانيتون.

وقد تخرّج فى جامعة الإسكندرية عدد كبير من علماء الإغريق والرومان ممن حملوا شعلة المعرفة إلى بلادهم، كما أسهمت الجامعة فى قيام كل من جامعات الإغريق والرومان وتزويدها بالمؤلفات والمخطوطات والعلماء[1].

وبالرغم من وجود الإغريق وانتشارهم فى مصر بهدف الدراسة بها فإنه كانت تنتابهم دائمًا الغطرسة الكاذبة والكراهية الشديدة لمصر وشعب مصر.

وسبب هذه الكراهية أنهم تجرّءُوا واعتبروا أنفسهم حُكّامًا للمدن الإغريقية وعلى سبيل المثال داناؤس وهو أحد المنفيين من مصر عندما احتل أرجوس، بينما أصبح كادموس ملك صيدون [صيدا الحالية] ملكًا لطيبة الإغريقية. وهذا التصريح على لسان إيسوكراتين الذى كان يكره الموجات الاستعمارية، ولكنه اضطر إلى أن يكتب خطابًا

(١) المرجع السابق، ص٣٩٦، ٣٩٧.

يُبرز من خلاله براعته فى الخطابة، وهذا الخطاب موجَّه لملك أسطورى عُرف بممارسته لقتل الغرباء، وقد صوّر إيسوكراتين مصر وأهلها على أنهم أكثر الأقوام بركة فى العالم. علاوة على قصيدة المدح لبوزيريس بوصفه مشرّعًا أسطوريًا، ولكمال التشريع الذى سَنَّه لمصر. وبالرغم من ذلك فقد كان إيسوكراتين شديد الإعجاب بنظام الطبقات وبحكم الفلاسفة وصرامة وسائل التربية التى كان يتبعها الفلاسفة الكهنة المصريون، والتى أنتجت الرجل المتأمل الذى كان يستخدم حكمته العليا لصالح دولته. كذلك فقد أدى تقسيم العمل إلى وجود وقت فراغ مكّن بدوره من التعلم. ومن ثَمَّ قد أصرَّ إيسوكراتين على أن الفلسفة «حب الحكمة» كانت نتاجًا مصريًا وكان لا يمكن إلا أن تكون كذلك.

حقيقة إن هذه الكلمة الفلسفة كان يستخدمها الفيثاغوريون المتمصرون المنتمون ثقافيًا لمصر لبعض الوقت - ربما منذ القرن السادس ق.م. ولكن أحد استخداماتها الأكثر قدمًا والتى ظلت سائدة جاءت من خطاب بوزيريس[1].

بينما نجد أن كثيرًا من العلماء اليونانيين أقاموا فى مصر واتصلوا بمدارسها مدة عشرين عامًا تقريبًا أمثال فيثاغورث وأفلاطون، ثم عادوا إلى بلادهم وكتبوا مؤلفاتهم ولم يقل واحد منهم إنه اقتبس منها علمًا أو فكرًا أو فنًا. ويعترف هيرودوت بأنه يعرف أسماء العلماء اليونانيين الذين أخذوا من مصر خاصة نظريتى خلود الروح وتناسخ الأرواح ولكنه شعر بعد ذلك بأن قارئ كتابه يطالبه بأسماء هؤلاء العلماء، وقد وجِل أمام منقصة تصيب قومًا من بنى وطنه، فارتد على عقبيه بعد أن قطع نصف الطريق..!! وقد علق ليجران (Ph. E. Legrand) مترجم هيرودوت فى الصفحة ١٥٢ فقال: إن هؤلاء الذين أبى هيرودوت أن يذكرهم هم الأورفيون وفيريسيد[2] وفيثاغورث وأمبيدوكل[3].

(١) مارتن برنال: أثينـه السوداء، ص٢١١، ٢١٢.

(٢) هو فيلسوف يونانى كان أول من علّم فى اليونان خلود الروح. وكان فيثاغورث من تلاميذه - توفى قرابة ٥٤٣ ق.م.

عبد القادر حمزة - على هامش التاريخ المصرى القديم، ص١٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٨.

أما عن القول بأن مصر كانت أعظم مركز تعليمى فى العالم القديم أمَّهُ اليونانيون شأنهم شأن غيرهم لتلقى العلم، فهذه حقيقة يمكن الرجوع إليها ثانية إلى أفلاطون فى محاورته طيماوس حيث يخبرنا أن اليونانيين الطامحين إلى الحكمة اعتادوا زيارة مصر للالتحاق والتعلم هناك، وأن كهنة سايس اعتادوا الحديث عنهم بوصفهم أطفالًا فى نظم الأسرار، وفيما يتعلق بزيارة طلاب العلم من اليونانيين لمصر لتلقى العلم فإننا نورد ما يلى لا لشيء سوى لإثبات حقيقة تؤكد أن العالم القديم كان ينظر إلى مصر باعتبارها المركز التعليمى، وأن جماعات مختلفة مثل اليهود اليونانيين اعتادوا زيارة مصر لتلقى علومها.

ويُروى أنه فى أيام حكم أماسيس زار طاليس المولود فى ٥٨٥ق.م. تقريبًا مصر وتتلمذ على أيدى الكهنة المصريين الذين قبلوه مريدًا مُبتدئًا لتلّقى نظم الأسرار والعلوم المصرية. ويُروى أيضًا أن طاليس أثناء إقامته فى مصر تعلّم الفلك ومساحة الأرض والهندسة وفقه الإلهيات المصري[(١)].

ومن المعروف أن أرسطو قد قام بتمجيد طاليس والثناء عليه بأن لقَّبه بـ أبو الفلسفة اليونانية، وذكره أرسطو أيضًا فى كتاب ما بعد الطبيعة وقال عنه: إنه مؤسس الفلسفة، وقال عنه فى كتاب المرشد إلى من قبل سقراط من الفلاسفة إنه عرف أسباب الكسوف والخسوف، وأنه كشف منزلة الدُّب الأصغر من منازل الفلك وأنه أدخل الفلسفة من مصر إلى اليونان. ويقول الكتاب أيضًا، إن المصادر المختلفة تتنبأ بأنه تعلم الهندسة من المصريين وأنه وخلفاءه كانوا تلاميذ للمصريين والكلدانيين[(٢)].

ويُروى أيضًا أن فيثاغورث وهو من مواطنى ساموس سافر إلى مصر مرات عديدة لتلقى العلم، ولكنه كان يجب عليه أن يضمن رضاء وعطف الكهنة، ويعلق ديوچين لايرتوس قائلًا إن علاقة صداقة جمعت بين بوليكراتيس من جزيرة ساموس وبين الملك أماسيس ملك مصر، وأن بوليكراتيس سلّم فيثاغورث رسائل ليقدّم بها نفسه إلى الملك

---

(١) چورچ چى. إم. چيمس: التراث المسروق، ص٥٤.

(٢) عباس محمود العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين، هيئة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤٣، ٤٤.

الذى قدّمه بدوره إلى الكهنة، إلى كاهن هليوبوليس أولًا ثم إلى كاهن ممفيس ثم أخيرًا إلى كهنة طيبة. وقد أهدى فيثاغورث إلى كل منهم كأسًا ذهبية، وقيل أيضًا على لسان هيرودوت وجايلونسك وبليني أنه بعد أداء اختبارات عديدة من بينها الختان الذى فرضه عليه الكهنة المصريون أجيز له أخيرًا الانضمام إلى جميع أسرارهم، وتعلّم أيضًا التقمص الروحى وهو مذهب لم يكن له أى أثر من قبل فى الديانة اليونانية.

ويزيد على ذلك أخبار وآراء بلوتارك وديمتريوس وأنتيستين الذين قالوا إن فيثاغورث أسّس علم الرياضيات من اليونانيين، وأنه قدَّمه إلى ربّات الفنون عندما شرح له الكهنة خصائص المثلث القائم الزاوية، كما أنه تثقف فى الموسيقى على يد الكهنة المصريين[1].

وقال إيسوكراتيس إن فيثاغورث أصبح فى أثناء رحلته إلى مصر تلميذًا يدرس ديانة الشعب، وكان أول من أحضر إلى الإغريق كل الفلسفة[2].

وحسب رواية كل من ديوجين لايريتوس وهيرودوت أن ديمقريطس وُلد عام ٤٠٠ق.م. فى أبديرا بميليتوس. وروى ديمتريوس فى رسالته التى تحمل عنوان «أصحاب الأسماء المماثلة» كما روى أنتستين فى رسالته الخلاقة «إن ديمقريطس سافر إلى مصر لتلقى العلم وتعلم على أيدى الكهنة وأنه قضى فى مصر خمس سنوات، وبعد أن أنهى تعليمه ألّف رسالة عن الخصائص المقدسة لجزيرة ميردي»[3]. ويقول أوريچين إن الختان كان إجباريًا وكان أحد الشروط اللازمة للشروع فى معرفة اللغة الهيروغليفية المقدسة وتحصيل العلوم المصرية، وأوضح أن ديمقريطس التزم بأداء هذه الشعيرة بغية الحصول على هذه المعرفة، ونقرأ فيما يلى ما كتبه أوريچين وهو مواطن مصرى:

"Apud Aegyptios Nullus aur Geometrica Studebat‹ aur asrronomiae Secreta Secreta remabatur‹ nis circumcisione suscepta".

---

(١) چورچ چى. إم. چيمس: التراث المسروق، ص٥٥.

(٢) مارتن برنال: أثينه السوداء، ص٢١٤.

(٣) تقع فى إثيوبيا وعاصمتها ميردى أيضًا - وقديمًا كانت عاصمة لدولة قوية وكان كهنتها على علاقة وثيقة مع كهنة مصر.

وترجمتها: «لا أحد يعرف من المصريين سواء درس الهندسة أو بحث فى أسرار الفلك تأتى له هذا ما لم يُجر عملية الختان».

أما عن رحلات أفلاطون فروى لنا هرمودور أنه وهو فى سن الثامنة والعشرين زار أفلاطون إقليدس فى ميجارا ومعه عدد من تلامذة سقراط، وأنه زار خلال السنوات العشر التالية من عمره كلًا من سيرين[1] وإيطاليا، ثم زار أخيرًا مصر حيث تتلمذ على أيدى رجال الدين فى مصر.

وكان كثير من اليونانيين المشهورين يفتخرون بأنهم ساحوا فى مصر. وكان تلاميذ هؤلاء العلماء والمعجبون بهم يرون شرفًا لهم أن يكونوا قد تنقلوا فى مصر. فمن الشعراء مثلًا هوميروس وأورفى وموزى وميلامب، ومن المشرّعين ليكورج وسولون. ومن المؤرخين هيكاتى وهيرودوت وهيلانيكوس، ومن الفلاسفة والعلماء طاليس وفيثاغورث وكزنيفون وديمقريطس (٤٦٠-٣٦٠ ق.م.) وإيدوكس وإينوبيد وأفلاطون[2].

وبالرغم من ذلك فقد ادّعى علماء الحضارات القديمة أن جامعة الإسكندرية ومكتبتها اللتين بناهما البطالمة الإغريق قد نقل علماؤهم علومهم الإغريقية إليها من بلادهم، وتناسوا أن هذه الجامعة قد بدأت تُدرّس علومها بالهيروغليفية، وكانت مكتبتها تضم الكتب الفرعونية التى جُلبت من مكتبات المعابد المصرية ولا سيما من جامعة المعارف الفرعونية التى كانت صروحًا معرفية فى أبهاء المعابد[3].

ولم يدرك العالم أن قدماء المصريين هم أول من قاموا بإنشاء المدارس التى تُعنى بالتربية والتعليم كأساس منهجى ملتزمة به. وكانت جميع المدارس مفتوحة لأبناء الشعب وبها خاصية مجانية التعليم، ما عدا المدرسة العليا (خنو) فلقد كانت مقصورة على أبناء الطبقة العليا والنابغين من أبناء الشعب.

---

(١) مدينة يونانية فى سيرنيايكا.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤.

(٣) د. أحمد محمد عوف: عبقرية الحضارية المصرية القديمة، ص٢٢.

ولذا ارتقى التعليم فى مصر الفرعونية لدرجة أن جامعة المعارف الفرعونية كانت لها شهرتها فى العالم القديم، وكانت تفد إليها البعثات من بابل وآشور وبلاد الإغريق قبل أن تُعرف جامعة الإسكندرية التى بناها البطالمة على غرار جامعة طيبة بعدة قرون. وأُلحقت المدارس العامة والمدارس الأكاديمية بالمعابد، وكان الكهنة يدرّسون بها شتى العلوم والمعارف الفرعونية كالطب والصيدلة والهندسة والفلسفة والتاريخ الفرعونى وعهود ملوك الفراعنة وعقيدة أمون، وكان بكل معبد مكتبة عامة مزوّدة بأمهات الكتب والمراجع وكانت هذه العلوم قد أُضفى عليها قدسية؛ لأن الإله تحوت إله الحكمة وحامى العلوم المصرية قد وهبها للكهنة.. هكذا كانوا يعتقدون[1].

وتتضح أيضًا مدى أهمية المعابد المصرية وما تقدمه داخل أسوارها من صُنوف الفنون المختلفة، عن طريق المعاهد الفنية التى يتعلم فيها الرّسامون والحفّارون والمثّالون الذين يستخدمون مواهبهم فى تمجيد الفرعون والآلهة[2].

وكانت هذه المعابد تضم مكتبات تُحفظ فيها وثائق المعبد ومجموعة من النصوص المختلفة الأنواع، نسخها عدد كبير جدًا من الكتّاب، وبها أيضًا كتب فى علم الأخلاق والآداب والفلسفة، كما كانت تضم كتبًا فنية، وعندما أراد الملك نفر حتب أن يطّلع على كتب آتوم قالت له الحاشية: فلتدخل جلالتكم المكتبات ولتتفضلوا بالاطلاع على الأحاديث المقدسة، وقد قرأ الملك بالفعل كتاب «أوزيريس خنتى أمنتيو» سيد أبيدوس.

وكانت بعض المعابد تحتوى على أبنية أكثر أهمية من ذلك تسمى بيت الحياة[3] وهذا يؤكد أن المعبد كان مركز الحياة المصرية، وهو قبل كل شيء منزل المعبود وفيه تقام شعائر العبادات، ومركز النشاط الثقافى والاقتصادى. وقد أنشأ به رجال الدين

---

(١) المرجع السابق، ص٩٥.

(٢) بيير مونتيه: الحضارة اليومية فى مصر، ص٤٠٤.

(٣) House of Life: أطلق هذا الاسم على معاهد التعليم المتصلة بالمعابد الكبرى حيث توضع النصوص الدينية اللازمة لطقوس العبادة وتنسخ، وتعد النسخ الأصلية للأساطير والطقوس التى ستنقش على جدران المعابد، وكان موظفو بيت الحياة يمارسون الطب وربما نسخ فيه أيضًا آلاف من كتب الموتى.
جورج بوزنر: معجم الحضارة المصرية القديمة، ص٨٥.

المصانع والمخازن والمدارس والمكتبات. وفى المعبد كان يمكن أن يكون الحظ الذى ناله أفلاطون بمقابلة العلماء والفلاسفة[1] لنا.

ومن الذين تتلمذوا فى مدارس بيت الحياة كبير كهنة تحوت المدعو بتوزيريس الذى كان يعيش فى مدينة هرموبوليس ماجنا [وهى مدينة الأشمونين حاليًا] وكان حكيمًا مصريًا صميمًا، ودرس كبرى أسفار حِكم الماضى وعرف كيف يُطبق التعاليم التى تلقاها، وذاع صيته، وكان بالإمكان ألا نعرف عنه سوى ما قال عنه الإغريق، لو لم يخطر بباله أن ينقش فى مقبرته (الموجودة فى تونا الجبل) القسم الأكبر من عقائده الأخلاقية وترجمة لحياته الروحية، واحتفظ الحجر بجوهر رسالته التى تتسم بجمال الفكر وسموِّه. ونجد بتوزيريس من خلال تعاليمه الدينية يذكر الإله أو تحوت دون التمييز بينهما:

«ليت قلبك لا يتوقف عن التمتع بكل الخير الذى تحقق لك، منذ أن سرت على ماء ربك تحوت ولهذا السبب علا شأن كيانك، لأن قلبك يتجه نحو ماء الحياة. مبارك من الإله، هو الرجل الذى يضع طريقه فى قلبه، فهو التل الذى تستطيع أن تستند إليه. ولا يوجد طريق آخر مماثل له، فهو يعزز زمن الحياة، ويضاعف السنوات، ويثرى الإنسان الفقير. لقد عظَّم الإله كيانك... منذ أن أصبحت تسير على مائه، واستحوذ «كا»وه على قلبك. لقد سمح بأن يكون قلب العظماء مفعمًا بالثناء عليك، وأن تكون قلوب خدمك عامرة بالحب لك».

هذه الفقرات تُعد أجمل ما دوّن فى مقبرته، فهى تكشف النقاب عن سر الحياة المقدسة. ويمكن إيجازها فى نصيحتين يمكن صياغتهما صياغة فيثاغورية وأفلاطونية: السير على هدى الله وبلوغ الاندماج فى الله بقدر ما يستطيع الإنسان[2].

«لقد حضرت إلى هنا، حتى مدينة الأبدية لأننى حققت الخير على الأرض لأن قلبى كان ممتلئًا بطريق الإله منذ نعومة أظافرى. وحتى يومنا هذا كانت قوة الإله فى قلبى أثناء الليل، فإذا طلع النهار كنت أحقق ما كان يحبه كاؤه. لقد مارست الحقيقة والعدالة

(١) بيير مونتيه: الحياة اليومية فى مصر، ص٤٠٤، ٤٠٦.

(٢) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٤٦٧، ٤٦٨.

وأبغضت الشر. لقد تعلمت ما يعيش عليه الإله وما يرضيه، وأديت واجب سكب الماء الطَّهُور التى يرغبها كاؤه. ولم أرتبط بأولئك الذين يجهلون مجد الإله، ولكنى اعتمدت على أولئك الذين كانوا مخلصين له. لم أسلب ممتلكات كائن من كان، ولم أقترف فى حق أحد فعلة تستوجب اللوم. كان جميع أبناء وطنى يعبدون الإله لصالحى. لقد فعلت ذلك، لأننى كنت أظن أننى سوف أصل إلى جوار الإله بعد الوفاة، لأننى كنت أعرف أنه لو حلّ يوم أرباب الحقيقة والعدالة فإن القسمة تتم مع المحاكمة. طُوبَى لذلك الذى يحب الإله، فسوف يصل إلى قصر كائه دون أضرار»[1].

وعلينا أن نلاحظ أنه لم يوجد شيء يمنع الحكماء من تأسيس مذهب إنسانى حقيقى. فهناك مجالان يرتسمان فى أدب مصر القديمة، أحدهما مجال الكهنة المتخصصين فى دراسة التقاليد اللاهوتية التى ترجع أصولها إلى أقدم العصور، والمجال الآخر هو مجال النظر العقلى الأكثر تحررًا الذى يقوم به الباحثون فى علم الأخلاق، والذين يحاولون تأسيس فن للحياة، انطلاقًا من تجربتهم الخاصة[2].

وفى المعبد أيضًا نشأت وتكونت التمثيليات التى استمدت موضوعاتها من القصص والأساطير والتقاليد القديمة، والتى كانت عند المصريين بمثابة الدراما والكوميديا: مآسى الحياة وملاهيها. وتلاحقنا أيضًا أكذوبة من الأكاذيب التى مُنيت بها مصر، ألا وهى أن فن التمثيل وُضع على يد الإغريق، ولكن الأستاذ إرمان والأستاذ زيته الألمانيين أثبتا أن هذا الفن وُلد فى المعابد المصرية منذ عهد الدولة القديمة. وقد عثر العلماء على وثيقة أسموها المسرحية المنفية من عهد الدولة القديمة، ثم عثروا بعد ذلك على مسرحية ثانية من عهد الرعامسة. ويدور الموضوع فى هاتين المسرحيتين حول تمثيل الأساطير الدينية؛ وخاصة أسطورة إيزيس وأوزيريس من خلال الحفلات الدينية التى كانت تُقام فى المعابد.

---

(١) كلير لورلايت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ص٣٥٥-٣٦٠.
نقلًا عن كتاب: حضارة مصر الفرعونية لفرانسوا دوما، ص٤٧٠.

(٢) المرجع السابق، ص٣٤٣.

ويذكر كوينتز M. Kuentz وكيل المعهد الفرنسى للآثار فى مصر أنه قد عثر على لوحة حجرية فى إدفو نقشت عليها كتابة موجهة إلى حوريس من شخص يسمى أمحب، وهو خادم لممثل متنقل يُدعى «الفرخ العزيز»[١].

وتقول الكتابة: «كنت أرافق سيدى فى تنقلاته وفى أناشيده من غير أن يعترينى تعب. وكنت أتولى الرد عليه فى جميع أناشيده فإن كان إلهًا كنت ملكًا. وإن كان عليه أن يقتل كان عليّ أن أُحيي». ويتضح إذن أنهما كانا ممثلين متنقلين وأن فن التمثيل قد عرفته مصر وأن اليونانيين أخذوه عن مصر[٢].

ولا شك أن مصر كانت مهد الحضارة والعلوم بالعالم القديم، وكانت مدارسها وجامعاتها مفتوحة لكل الوافدين من بابل وسومر وآشور واليونان لينهلوا من العلوم الفرعونية وكانت لهم مدنهم الجامعية يقيمون فيها. فتعلم فيها ديوسقوريدس وجالينوس وأبُقراط ونقلوا علوم الفراعنة لبلادهم.

وكانت جزيرة كريت أول محطة ثقافية وصلت إليها هذه العلوم من مصر، عندما نقل التجار الإغريق الكتب الفرعونية من القرن الثانى عشر ق.م. ولقد سمحت السلطات الفرعونية لهؤلاء التجار والطلبة سكنى مدينة نوقراطيس بغرب الدلتا (قُرب الإسكندرية) الآن[٣].

وقد قام الإغريق بنقل العلوم المصرية من جامعة المعارف الفرعونية وترجموها إلى لغتهم وقام الطلبة الإغريق أيضًا بنقل الثقافة الفرعونية إلى جزر اليونان، ولمّا غزا الرومان بلاد الإغريق عام ١٦٠ ق.م. نقلوا العلوم المصرية لروما عاصمتهم حيث انتشرت بكل أنحاء روما وأوروبا، وروما نفسها مدينة بالكثير لمصر، فى أول قانون سنّته حين نشوء مدينتها ثم فى قانونها الذى سُمى قانون الألواح الاثنى عشر، ثم فى قانونها الإمبراطورى

(١) المرجع السابق، ص٥٦٤.

(٢) عبد القادر حمزة: على هامش التاريخ المصرى. ص١٧.

(٣) د. أحمد محمد عوف: عبقرية الحضارة المصرية القديمة، ص٩٦.

الذى سُمى «القانون الروماني» والذى اقتبست أوروبا منه قوانينها الحديثة، وقد أخذ الأباطرة الرومانيون نظام مصر الملكى. بما فيه عبادة الملك وحوَّروه على طريقتهم[١].

ورغم ذلك ظلت جامعة المعارف الفرعونية عدة قرون تؤدى رسالتها التعليمية حتى فى عصر الإغريق عندما احتلوا مصر. لأنها كانت بجنوب طيبة بعيدة عن سيطرة وسلطة الحكومة الإغريقية بالإسكندرية، حيث كانت جامعاتها مقصورة فقط على الإغريق. وبهذا استطاع المصريون الحفاظ على تراثهم العلمى والعقائدى الدينى فظلوا يتبعون المناهج العلمية والنظم التعليمية بصعيد مصر[٢].

وظلت مصر بعطائها الزاخر تمنح كل من يلجأ إليها طالبًا العلم والمعرفة والحكمة والفلسفة، ولكن نهب المفكرون اليونانيون مصر[٣] مثلما فعل فيثاغورث، ووضع نظريته فى تناسخ الأرواح واقتباسها من مصر.

وأفلاطون أيضًا أخذ كثيرًا من مصر، فنظريته التى موضوعها «النظر إلى الأشياء الواقعة نظرًا قوامه المُثل العليا» أخذها من نظرية المصريين عن الإنسان وروحه الشبيه به[٤]،[٥].

زوار مصر من الفلاسفة والعلماء:

من هؤلاء الذين زاروا مصر وتلقوا علومهم فيها:

١ - أورفيوس: ذكر ديودور الصقلى (٩٥-٢١ق.م.) أن أورفيوس أول من زار مصر من علماء الإغريق، وتعرّف إلى كثير من أهل المعرفة من الكهنة، وأشاد بغزارة علومهم ومعرفتهم بأسرار الوجود. (ديودور١/ ٢٢).

---

(١) عبد القادر حمزة: على هامش التاريخ المصرى. ص٢٥.

(٢) د. أحمد محمد عوف: عبقرية الحضارة المصرية، ص٢٣.

(٣) تنقل هذه الجملة باللغة الفرنسية:
"A cote des hommos d'action, Les penseurs grecs ont pi lle' L'Egypte".

(٤) كانت آراء قدماء المصريين أن لكل إنسان شبيهًا له يُولد معه ولا يُرى ويسمى (كا) ويبقى لابسًا جسده ما دام حيًا فإذا فارقه مات.

(٥) عبد القادر حمزة: على هامش التاريخ المصرى. ص٢٥.

٢ - هوميروس (٧٥٠ ق.م.): كان ديودور الصقلى أول من وصف الرحلة التى قام بها هوميروس فى مصر فى (كتابه الأول ١/ ٦٩).

٣ - سولون (٦٤٠-٥٥٨ ق.م.): أقدم من زار مصر من مؤرخى الإغريق، فهو الجد الرابع لأفلاطون وهو الحكيم والفيلسوف والسياسى. زار مصر وقضى بها ثلاث سنوات ونصفًا، ونتيجة صداقته الوطيدة للملك أحمس الثانى (الأسرة ٢٦) واعتناقه العقيدة المصرية، جعلته يتلقى درس التشريع والعقيدة والفلسفة فى معبد زايس. وكان سولون أول من نقل قصة الأطلنطيس وتُعد وثائقه ومؤلفاته عن مصر القديمة من أهم ما جمعه سقراط ومن بعده أفلاطون، والتى عملت على تشجيع العلماء والكتاب على زيارة مصر وتلقى العلوم والمعرفة فى جامعاتها.

٤ - هيكاتى (٥٨٠ - ٩١٥ ق.م.) يُعد هيكاتى مليتى ثانى من زار مصر من مؤرخى الإغريق بعد سولون وقضى بها ثلاث سنوات، وكتب تاريخ مصر قبل هيرودوت بمائة عام. وسجّل هيكاتى انطباعاته عن أون هليوبوليس وتتلخص فى أن العقيدة هى شعلة العلوم، فهى هبة السماء إلى الأرض والمعرفة فى جميع نواحيها إلا معرفة أسرار الوجود، فهى لا تُستمد إلا بالعقيدة والإيمان بوجود الخالق»، ودوّن تاريخ مصر فى الكتاب الثانى لموسوعته الشهيرة «رحلة حول العالم» قال فيها: «إن عظمة مصر تتمثل فى ماضيها الذى يعيش فى حاضرها بعمقه وعراقته وجذور المعرفة والحكمة التى تمتد إلى عهد الخليقة».

٥ - هيلانيكوس: مؤرخ إغريقى زار مصر تقريبًا أثناء زيارة هيكاتى لها. وعاش فى مصر سنتين، واهتم بعلاقة الإغريق بمصر، وأول من وصف زيارة سولون لمصر ودورها فى تكوين شخصيته كسياسى وحكيم ومشرّع.

٦ - طاليس (٥٨٥-٥٤٥ ق.م.): عاش فى مصر خمس سنوات، ونقل إلى بلاده أفكار المصريين فى الرياضيات والحساب والهندسة، وقال «إن أصل الأشياء هو الماء». وهى النظرية التى أخذها مباشرة من جامعة أون هليوبوليس التى تقول: «إن إله الخلق رع خرج من الماء الأزلى نون» ونقل أيضًا علم الفلك واللاهوت.

٧ - فيثاغورث (٥٨٠-٥٠٠ ق.م.): عاش فى مصر أكثر من عشرين عامًا متواصلة فى البحث والدراسة، واتصل بكهنة معبد هليوبوليس فى طيبة، واعتنق الديانة المصرية لتقرّبه من كهنة المعبد، وفُتحت له أبواب أسرار علوم الهندسة والفلك، وقام بنقلها إلى بلاد الإغريق والعالم.

٨ - إنيوبيدس: من العلماء الذين عاصروا فيثاغورث وعاش فى مصر أربع سنوات، وهو من علماء الفلك الإغريق وأثبت أن دورة الشمس منحرفة، ونقل عن كهنة عين شمس كروية الأرض وعلاقتها بالكواكب السيّارة. (ديودور ١/ ٩٨).

٩ - إنكسيمندريس (٥٥٠-٤٨٠ ق.م.): تلميذ طاليس، زار مصر لمدة أربع سنوات بين زايس ومنف، ونقل إلى بلاد الإغريق الساعة الشمسية (المزولة) ووضع نظرية الدورة اللانهائية التى لا تفنى وتأخذ منها كل المخلوقات ماديتها.

١٠ - إنكسا جوراس (٥٠٠-٤٢٨ ق.م.): وصف المؤرخ جاميلينوس زيارة إنكسا جوراس لمصر والتى استمرت ثلاث سنوات، والتى اهتم من خلالها بدراسة مشروعات الزراعة والرى. ونقل تلك المشروعات إلى بلاد الإغريق، وهى النظريات الأولى التى انتقلت من بلاد الإغريق لسائر الدول الأوروبية.

١١ - سقراط (٤٧٠ - ٣٩٩ق.م.): زار مصر وتحاور مع كهنة معبد زايس مما أثّر ذلك فى تكوين شخصيته وفلسفته، وقد تعلّم طريقة الحوار من مصر. وآمن بنظرية خلود النفس المصرية، وأن الكون يسيِّره إله واحد[١]. وقد سما سقراط بتعاليمه فى الأخلاق، والتى لا تختلف عن تعاليم ماعت الفرعونية: الحق والعدالة، وكانت تلك الفلسفة وتعاليمها تتعارض مع فلسفات العقائد الإغريقية.

١٢ - أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م.): ذهب إلى مصر بعد موت أستاذه سقراط فعبر البحر الأبيض إلى مصر وقضى بها اثنتى عشرة سنة متنقلًا بين معابدها، وتمكّن عن طريق الملك نختا نبو أن يلتحق بمعبد أون هليوبوليس واعتنق الديانة المصرية

(١) بالطبع الذى قال بوجود إله واحد للكون هو (إخناتون) وهذا يدل على تأثير أفكار (إخناتون) على الفلاسفة والعلماء الذين زاروا مصر.

على يد كهنة المعبد أون. وذكر ديودور الصقلى ما قاله كاهن معبد أون لأفلاطون فى حوار معه عن رأيه فى الإغريق بقوله: «إن المعرفة كالماء، تهبط عندكم من أعلى إلى أسفل، كمياه الأمطار على فترات لا ارتباط بينها، تظهر على السطح وسرعان ما تجف وليس لها استمرار، أما عندنا نحن المصريين فتخرج من أسفل إلى أعلى من الآبار والينابيع ونهر النيل الدائم الجريان، مستمرة ومتصلة كلها قدمها وأصالتها وجذورها. المعرفة عندكم تُلقّن أما عندنا فهى متوارثة، وعمر العالم عندنا يُقدّر بأجيال وراثية للمعرفة».

وسجّل أفلاطون بحوثه فى كتاب الطيماوس وعند عودته إلى أثينا استخدم طريقة الحوار التى أخذها هو أيضًا عن المصريين القدماء[1].

ولكننا نجد أن هناك من يشكك فى مؤلفات أفلاطون وانتسابها إليه، مثل الجمهورية التى كُتبت من ٣٨٠، ٣٧٠ ق.م. أى بعد خطاب بوزيريس الذى كتبه للحاكم المصرى المتعصب ليستميل به الملك، وجاء هذا الخطاب قرابة ٣٩٠ق.م.، وهناك اعتقاد سائد بأن هذا الخطاب كانت له مسوّدات سابقة، وعلى أى الأحوال أن خطاب بوزيريس هو الأقدم زمنيًا، ونجد أن هناك تشابهًا كبيرًا بين الخطاب ودولة أفلاطون [الجمهورية] فقد كان فى الفترة الأخيرة نظام لتقسيم العمل يقوم على أساس طبقى يحكمه مجموعة من الأوصياء، يتولون مهامهم نتيجة لاختبار دقيق للغاية بعد فترة تعليمية شاقة، وكان أفلاطون على عداء كبير مع فوضى النظام الديمقراطى فى أثينا.

كذلك نجد أن أوجه التشابه تتلخص فى أن مصر التى قضى فيها أفلاطون وقتًا طويلًا قرابة ٣٩٠ ق.م. تقريبًا، شكّلت نقطة اهتمام رئيسة فى أعماله المتأخرة ففى محاورة فايدروس يُعلن أفلاطون على لسان سقراط أنه هو تحوت إله الحكمة المصرى الذى اخترع الحساب والهندسة والأدب. ويتحدث كذلك عن تحوت بإسهاب فى محاورتيه فيليوس وإبينوميس بوصفه مخترع الكتابة بل ومبدع اللغة وكل العلوم.

ويُثنى كذلك أفلاطون على الفن المصرى. والموسيقى ويحاول أن يُثبت أن بلاده أخذتها عن مصر، وكتب كرنتور أقدم المعلقين على أعمال أفلاطون قائلًا: «لقد سَخِر

(١) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص٢٩٠-٢٩٣.

معاصرو أفلاطون منه»، قائلين: «إنه لم يكن مبدع الأفكار التى تناولها فى الجمهورية Δημοκρατία وإنما نقلها عن النظم المصرية».

وقد بلغ اهتمامه بما قاله أولئك الذين نسبوا إلى المصريين قصة الآثينيين وأهل الأطلنطيس، ليجعلهم يقولون إن الآثينيين قد عاشوا فعلًا فى ظل هذا النظام فى فترة معينة فى الماضى.

وفى وجود هذه الأدلة التى تؤيد اشتقاق الجمهورية من أصول مصرية، ربط العلماء المعاصرون بين أفلاطون ومصر وذكر مارس قائلًا: «إن دولة أفلاطون فيما يتعلق بتقسيم العمل أساسًا تكوينيًا للدول هو مجرد معالجة مثالية لنظام التقسيم الطبقى فى مصر»[1].

وقد أشار أفلاطون فى محاورتيه طيماوس وكريتياس إلى عجائب حضارة الأطلنطيس وإلى انهيارها، والتى توضح أن سولون عندما ذهب لمقابلة الكهنة هناك قوبل بترحاب شديد وحاول أن يُلقى بعض الأسئلة والاستفسارات الخاصة بعدد من الموضوعات التى كان الكهنة قد بلغوا حد الكمال والروعة فى تفسيرها لمعرفتهم بأمور كل ما يتعلق بالأشياء القديمة، بالإضافة إلى أنهم حققوا العديد من الاكتشافات التى لم يكن مقدرًا لأى أحد من الآثينيين أو غيرهم أن يدركوها.

غير أن سولون حاول جاهدًا استدراجهم فى نقاش يعود عليه بالنفع، لإدراك كل ما يريد معرفته عن القديم، وبدأ يتحدث معهم عن أقصى الأشياء قدمًا على وجه الأرض أو العالم ومن أهمها الفرعون الأول أو أول رجل وعن فترة ما بعد الطوفان وما خلّفه بعد ذلك، ثم تابع بعد ذلك سلسلة النسب لأجدادهم السابقين، وقام بتحديد التواريخ لها، محاولًا باجتهاد أن يحدد عدد السنوات التى مضت واستغرقت تلك الأحداث، ثم أجابه أحد الكهنة وكان فى سن هَرِمة جدًا: يا سولون أنتم أيها الآثينيون لستم بشيء يذكر، وما أنتم إلا أطفال صغار وليس بينكم رجل واحد مُسن ذو هِرَم. ثم عاد سولون سائلًا إياه عن مقصده من ذلك فرد قائلًا: «إننى بغيت وتمنيت أن أقول إنكم فى جانب

(١) مارتن برنال: آثينـه السوداء، ص٢١٤.

العقل ما زلتم حِداث العهد، وأنكم لا تملكون رأيا عتيقًا يمكن أن يصل من العهد القديم إلى عصركم هذا، وإن جهلكم بماضيكم يرجع إلى تدمير ثقافة الإغريق دائمًا بسبب كوارث النار والماء، مما أدى ذلك إلى عدم تخليد ذكرى لبلادكم أبد الدهر، أما فى مصر فقد بقيت نظمها وفكرها وعلمها وفلسفتها بفضل الموقع المتميز للبلاد»[١].

١٣ - أويكسودس (٤٣٠-٣٤٥ ق.م.): ارتبط اسمه باسم أفلاطون أثناء إقامتهما معًا فى مصر، ودرس مع أفلاطون علوم الفلك والرياضيات واعتنق الديانة المصرية مع أفلاطون ليتمكن من الالتحاق بمعاهد المعبد وقضى فى مصر اثنتى عشر سنة، وأول من نقل التقويم الشمسى الفرعونى لبلاد الإغريق. وحاول تقسيم الزمن إلى ساعات ودقائق وثوانٍ كما كان فى مصر ولكنه لم ينجح فى ذلك.

١٤ - ديوچين (٤١٢-٣٢٧ ق.م.): لم يُعرف عن رحلة ديوچين إلى مصر إلا عن طريق أقوال المؤرخ جاميلتوس عندما غادر بلاد الإغريق عبر البحر الأبيض ليبحث عن الحقيقة التى وجدها فى مصر.. وجدها فى «علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة نفسه بعالم السماء مصدر الحقيقة، وعلاقة عالم السماء بعالم الأرض، والتى تضيع فيها الحقيقة وعاد إلى بلاد الإغريق يحمل مصباحه ليبحث عن الحقيقة فى ظلمات المجتمع الإغريقي».

١٥ - أرسطو (٣٨٤-٤٢٢ ق.م.): يُلقب بالمعلم الأول وكان لآرائه الفلسفية تأثير كبير فى فلسفة الشرق والغرب. وقام بعدة رحلات إلى مصر وزار معابدها، وتتلمذ على يد كهنتها وأصبح مُعلّم الإسكندر الأكبر.

١٦ - أويكفليد (٣٣٥-٢٧٥ ق.م.): عاش فى مصر فى عهد بطليموس الأول ودرس فى جامعة الإسكندرية الفلك والرياضيات، وقضى فى مصر سبع سنوات وعند عودته إلى أثينا ألّف كتابه متضمنًا عدة نظريات تُعد أساس علم الحساب والتى نقل معظمها عن الفراعنة. هؤلاء هم الخالدون الذين زاروا مصر ونهلوا من

(١) Plato "Timaeus" Translated- out of the Greece By: Benyamin، Jowett, New York. The Heritage Press, 1994، p.7-8.

علمها، ودور كل منهم فى بناء حضارة الغرب التى اعترف بها العلماء والكتّاب فى العصر الحديث، وعند دراسة حياة كل منهم نجد أن معظمهم ذهب إلى مصر ليدرس ناحية معينة من نواحى المعرفة، وعند عودته نجده تخصص فى شيء آخر نتيجة اتصاله بمعاهد مصر ومعابدها واقتناعه بسطحية ما جاء به من معرفة من بلاده[1].

ومما سبق يتضح لنا أن الإغريق بعد القرن الخامس ق.م.، وهى الفترة التى نعرف من خلالها أى معلومات عنهم، لم ينظروا إلى نظمهم السياسية وإلى ما كان لديهم من علم ودين وفلسفة على أنها متأصلة عندهم، وإنما رأوا أنهم اقتبسوها من مصر. وذلك من خلال الموجات الاستعمارية المتكررة أو عن طريق تلقى العلم هناك على يد الكهنة المصريين. وبالرغم من أن دور الحضارة المصرية كان واضحًا فى بناء سائر الحضارات الأخرى فإنَّ هذا يُعد ردًا مقنعًا على من أشاعوا أن الحضارة الإغريقية هى أمّ الحضارات الغربية وأنها لم تكن فى حاجة لغيرها من الحضارات التى سبقتها، فهذه الفكرة كما وصفها الراحل الدكتور سليم حسن فى موسوعة مصر القديمة فكرة خاطئة، فبلاد الإغريق كغيرها من البلاد الأخرى كانت من حيث أصول الفلسفة بوجه خاص، والبحث العلمى بصفة عامة مدينة لمصر الفرعونية بدرجة كبيرة جدًا، فالحضارة الإغريقية لم ترَ النور إلا فى أوائل القرن العاشر قبل الميلاد، عندما كانت الحضارة المصرية فى أوْج عصرها الذهبى. وقد دلت البحوث العلمية الحديثة والكشوف الأثرية على أن الشعب الإغريقى قد استقى علومه ومعارفه من مصر.

وكثير من المؤرخين قد حدد بدء الحضارة الإغريقية بين عامى (٧٥٠، ٦٥٠ق.م.)، وقد سجّل مؤرخو الإغريق الذين زاروا مصر قبل الثورة الإيرانية انطباعاتهم وما تركته الثقافة المصرية فى نفوسهم ومدى تفوق المصريين عليهم فى المعرفة والعلوم، ولم يستطع أحد منهم أن يُخفى فضل مصر على حضارات البحر الأبيض بصفة عامة وحضارة الإغريق بصفة خاصة.

---

(١) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية القديمة، ص٣٩٤-٣٩٥.

ووصفوها كما ذكر ساورنيون فى كتابه المعرفة المقدسة:

««إن مصر هى مهد الحكمة ومنبع المعرفة، كما وصفها بأنها القلعة الحقيقية للعلوم المقدسة، وجامعة العقيدة التى حملت شعلة الفلسفات والتشاريع، فكانت مصنعًا لأنبل التقاليد الإنسانية».

كما أجمع المؤرخون على أن كبار فلاسفة اليونان وعلماءهم عبروا البحر ليتلقَّوا الحكمة والمعرفة على أيدى كهنة الفراعنة من أهل المعرفة المقدسة، ويكتسبوا منهم الكثير من أسرار العلوم، وعادوا إلى بلادهم ليخلّدوا أسماءهم. كما ذكر ديودور الصقلى. أن علماء الإغريق وفلاسفتهم كانوا يعتبرون رحلتهم عبر البحر المتوسط من الرحلات التقليدية لكشف أسرار الحكمة والمعرفة المقدسة التى يحتفظ بها الكهنة فى مكتبات ومعاهد الجامعات[1].

(١) المرجع السابق، ص٣٨٨-٣٨٩.

الباب الثاني

مقارنة بين إخناتون وأفلاطون

• الفصـل الأول

إخناتون



إخنـــاتون

(القرن الرابع عشر ق.م.) (١٣٧٩-١٣٦٢)[١]

نشـأته الدينيـة والفـكرية:

إن خالق الكون قد أجبر مخلوقه الإنسانى بما ركّبه فيه من غرائز اجتماعية وطبائع عمرانية: حربية وسلمية على أن يعمل على إبقاء نوعه، فأرسل له شيخ القبيلة وكاهنها ورئيسها ليقود أبناءها نحو العيش مع بعضهم فى سلام، كما أرسل الله خالق هذا الكون الحكماء والفلاسفة ليقودوا الشعوب نحو الخير والعدل والعمران، ومن أولئك الحكام والفلاسفة نذكر الفيلسوف العظـيم إخناتون[٢] الذى كان آخر نتاج لسلسلة من الزيجات داخل نفس الأسرة، فقد كان هذا الطفل الجميل للإله آتون أغرب شخصية فى التاريخ المصرى القديم. فكان ضعيف البنية، نحيل القوام، بارز الوجنتين، متدلى الفك، يوحى وجهه بحزن شديد، أما روحه فيتملّكها إلهام مقدس حسّاس بالطبيعة، ولا شك أنه يُعد من أعظم المتصوفين

---

(1) Webster.s New biographical Dictionary Macmillan, publishers. Spring field 1983. p.17.

(٢) حقيقة نطق اسم (إخناتون) هى (آخن آتن) و«آخن» معناه مبعوث أو مكرّس، و«آتن» صفة من صفات الإله، كما وردت فى (كتاب أوزيريس) ومعناها (القوى الإلهية) التى تهب الحياة وتحرك الكون، أى أن اسم (إخناتون) أو (آخن آتن) معناه (مبعوث العناية الإلهية).

د. سيد كريم: إخناتون، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧، ص٧٩.

فى التاريخ[1]. فقد ولد إخناتون من أبوين مصريين، هما أمنحوتب الثالث (١٣٩٧-١٣٦٠ق.م.) ابن تحوتمس الرابع (١٤١١-١٣٩٧ق.م.) والملكة تى. وعاش إخناتون فى جو ملكى يتصف بالترف. وأرسل إخناتون الطفل المدلل ليتلقى تعاليم الإله رع فى أون (هليوبوليس) معبد أجداده من عصر الأهرام الذين حمل منهم اسم رع لا اسم آمون وكان آخرهم جده تحوتمس الرابع.

ويصـف التاريخ (إخناتون) الشاب بأنه كان مرهف الحس شديد الذكاء، وفيسلوفًا سديد الرأى. ذا عقل راجح ونفس صافية.

ويظل إخناتون يحكم بلاده لمدة سبعة عشر عامًا، وكانت بداية حكمه بداية تتصف بالهدوء وبُعده عن مشكلات الحكم المبالغ فيها، فقد كان شاعرًا مبدعًا وفيلسوفًا قديرًا ومصلحًا دينيًا فذًا، وكان يقضى معظم وقته فى مناقشات فلسفية مع أمه الملكة تى وزوجته نفرتيتى كما كان يتحلى بالصدق والبساطة وعدم الميل إلى التصنع والمبالغة.

وكان إخناتون يكنّ بعض الكراهية لكهـنة آمـون وتضخّم بينهما العداء، مما اضطر إخناتون إلى أن يشن حربًا ضارية ضد آمون وكهنته. وبدأت ثورة إخناتون الدينية.

ونجد أن مصر قد عرفت عبادة الشمس منذ أقدم الأزمنة، وكانت للشمس مظاهر متعددة عُبدت فى شكل رع وآتوم وخبرى وحور آختي[2].

بينما نجد إخناتون قد شُغل طول حياته بالسعى وراء التوحيد وتوحيد الديانات المختلفة والآلهة المتعددة حول إله واحد لا شريك له، وكان يرى خطأ تعدد الآلهة، ويعتقد ويؤمن بوجود إله واحد ومعبود واحد مسيطر ومتحكم فى مصائر البشر[3].

وقال المؤرخـون إن إخناتون ادّعى أنه نبى من قِبَل آتون وأنه وحده الذى يملك وضع الطقوس والأناشيد الدينية للإله، ولذا فهو يدعو جميع المصريين، بل جميع من هم

---

(١) چان يويوت: مصر الفرعونية، ترجمة: سعد زهران، الألف كتاب (٦٠١)، سلسلة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ١٩٦٦، ص١٢٨.

(٢) د. عبد العزيز صالح وآخرون: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر القديمة)، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٧، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) د. رءوف شلبى: الأديان القديمة فى الشرق، ص٢٤.
انظر: محمد فخر الدين: تاريخ الفراعنة، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، ص٤٦.

فى أنحاء الأرض أن يؤمنوا بهذا الإله الواحد العام الذى خلق العالم والكون كله والذى لم يعد خاصًا بوادى النيل فقط بل العالم ككل.

وعندما زاد العداء بين إخناتون وكهنة آمون؛ وخاصة بعد ما قام به إخناتون من تحطيم تماثيل آمون وطمس كل ما يتعلق بتعدد الآلهة وتشويه كل ما يمتُّ بصلة إلى الإله آمون، بما فى ذلك اسم أبيه أمنحوتب الثالث، مما كان له أثر سيِّئ فى نفوس الموجودين بالقصر وعامة الشعب.

فاضطر إخناتون إلى أن يترك العاصمة طيبة ويهجر كل ما فيها لمكان آخر أعدّه لإلهه الجديد آتون وأسماها «مدينة آخيتاتون» فى تل العمارنة[1] على الضفة الشرقية للنيل، والتى تنسب إلى بنى عمران الذين حطوا رحالهم هناك منذ قرنين من الزمان.

الطبيعة وأثرها على فكر وفلسفة إخناتون:

لقد شُغف إخناتون بالطبيعة[2] وكان كثير التأمل فيما حوله من مخلوقات متعددة معتمدًا فى ذلك على عقله، مما أدى به إلى محو طائفة كبيرة من الأساطير والتقاليد التى كانت محترمة والتى كانت تقول بأن النيل هو الإله أوزيريس عدة أزمان. ثم نُسب الفيضان فى الحال إلى قوى طبيعية يسيطر عليها ذلك الإله الذى يعبده وهو الذى خلق - بمثل ذلك الاهتمام - للبلاد الأخرى نيلًا آخر فى السماء. ولقد تجاهل إخناتون الإله أوزيريس كلية ولم يُذكر قط فى كل الوثائق الإخناتونية، بل ولا فى أى قبر من قبور تل العمارنة.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٦٣.

انظر: د. محمد عوض الله: نشأة الكون ووحدة الخلق، العدد (٤٨٦)، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص٢٢.

(٢) لفظ «الطبيعة» هو لفظ مشترك مع لفظ «الكون» فى أحد مدلولاته، وللفظ الطبيعة مدلول عام هو «جملة الموجودات المادية بقوانينها»، فالطبيعة صنع عقل حكيم، وأن لكل موجود طبيعته، وأن للطبائع وأفعالها نظامًا وحكمة وأن «لا شيء معطل فى الطبيعة». بحيث لو صادفنا مذهبًا فلسفيًا يعتمد على الاتفاق أو المصادفة، حكمنا فورًا ببطلانه لمخالفته لذلك المعنى العام للطبيعة الذى يتبدى للعقل بداهة ويتبدى لكل عقل.

د. يوسف كرم: الطبيعة وما بعد الطبيعة، دار المعارف، ١٩٦٦، ص٨، ١٠.

وبهذا ينتقل تفكير إخناتون إلى ما وراء الإدراك المادى المحض لنشاط الشمس فوق الأرض ويُقدّر مبلغ اهتمام آتون الأبوى بجميع المخلوقات.

وهذا التفكير هو الذى يرفع من شأن الحركة التى قام بها إخناتون إلى حدٍّ بعيد فوق كل ما كانت قد وصلت إليه ديانة قدماء المصريين أو ديانات الشرق بأجمعه قبل ذلك[1]. فقد كان تفكير قدماء المصريين عن نشأة الكون والله والإنسان مختلفة تمامًا عما جاء به إخناتون، فنجدهم يقررون أن الإله قد وعى نفسه فى الماء وكان قبل ذلك ماء، ثم استكمل خلق ذاته وبدأ فى خلق العالم !! فأين الله فى هذه الأشياء، والطاقة الكامنة والمحرّكة لها. هذا نجده واضحًا بالنسبة لتعاليم إخناتون.

ونجد فى متون البرديات القديمة أن قصة الخلق تبدأ هكذا: «فى البدء كان الظلام والعماء والسكون ولا شيء سوى المحيط الأزلى (نون)، ومن باطن هذا المحيط المظلم خلق الله نفسه بنفسه وخرج ليفيض النور والحركة على الوجود. وكان أول ما خلق ملائكة التكوين الثمانية.. خلقهم من أنفاسه ليكونوا حملة عرشه فوق الماء»[2].

ويأتى وصف الخالق فى برديات تحوت وأقوال كل من آنى وحونفر وكاجمنى وخيتى وإخناتون فى برديات متون العقيدة وكتاب الموتى بقولهم:

«فى البدء كانت الكلمة والكلمة مصدرها الإله، إله واحد هو كل شيء كان، وكل شيء كائن وكل شيء سيكون، محال على من يفنى أن يكشف النقاب عن سر ما لا يفنى».

وتصف برديات الخلق فى عقيدة التوحيد نظرية كيان الوجود الإنسانى بقولها: «أمر الإله الخالق المعبود (خونوم) ليشكِّل الإنسان من طين الأرض. قال له: خذ حفنة من تراب الأرض من أركانها الأربعة الأبيض والأصفر والأحمر والأسود واعجنه بمياه الحياة الأربعة ماء السماء (الأمطار) وماء البحار (المالحة) ومياه الأنهار العذبة ومياه

(١) چيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٣١٤.
انظر: د. سليم حسن، مصر القديمة، الجزء الخامس، ص٣١٥.
(٢) والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. ص٢٠٣، ٢١٢.

باطن الأرض (العيون) فمن ألوان التراب تختلف ألوان الناس ومن طبيعة المياه تختلف طبائعهم.. ومن الصلصال الناتج من خلط التراب بالماء شكّل منه الإنسان على رحاية التكوين.. فانفخ فيه من روحى لتدّب فيه الحيـــاة».

وتتمثل لنا صورة البعث بالشمس عندما تشرق من قلب الظلام، فيعم نور الإله الكون كله وتتحرك الكائنات وهى تتابع حركة الشمس وتعبر قبتها وتدور دورتها حتى تختفى فى أفق الغروب فيخيم الظلام على الكون كله.. وتعود الشمس إلى الشروق مرة أخرى، وهذا هو سر الوجود.

ويقول إخناتون: «إن الإله قد خلق الحياة من الجماد فأخرج الكتكوت من البيضة وخلق الأرض وهى الجماد على شكل البيضة ومن بطنها خرجت الحياة»[1].

لقد صوّر إخناتون إلهه بإله واحد أعظم، تطل سماؤه حانية من عَلٍ فوق جسم الأرض «ومن هذا العناق المقدس تُخلق كل الأشياء بجسم يتكون من طين أرضى وروح أساسها نار سماوية». وقد أعلن إخناتون أن هذه النار التى لا تنطفئ لا تحل فى المخلوقات البشرية فحسب، بل فى كل المخلوقات[2]، فقد خلق الله الأرض تبعًا لمشيئته وإذا أراد للشيء أن يكون قال له كن فيكون. فالإله الواحد عند إخناتون خلق الناس والكائنات لنفسه، وأنه موجود فى السماء بينما قدرته ومشيئته تنفذ حتى إلى أعماق البحار.

ويؤمن إخناتون بأن الأشياء خُلقت من الإله الواحد ومن أجله وأنه هو الذى منحها الحياة، والكل يحيا به.

وفكرة وجود الإله فى كل شيء تجعل فلسفة إخناتون أقرب نـوعًا ما إلى المذهب الحلولى «ألوهية الكون» منها إلى مذهب التوحيد. وهكذا يمكن أن يُعد إخناتون المصدر الأصلى لفلسفة سبينوزا الحلولية[3].

---

(١) د. سيد كريم: الحِكَم والأمثال فى الأدب الفرعونى. الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص٨١-٩٢.
(٢) هنرى توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة مترى أمين، دار النهضة العربية، ١٩٦٤، ص١٢.
(٣) المرجع السابق، ص١٢، ١٣.

وكان العالم الحيّ فى نظر روح إخناتون الحساسة تؤكد له وجود آتون فى كل شيء فى الطبيعة، فمستنقعات السوسن بأزهارها النشوانة التى تينع بأشعة آتون، وطيورها التى تنشر أجنحتها تعبدًا لآتون الحى. والماشية التى تقفز فرحة فى ضوء الشمس، والسمك الذى يثب فى النهر مرحًا بالنور العالمى الذى تنفذ أشعته حتى فى وسط البحر الأخضر العظيم، كل أولئك يكشف لنا عن مدى إدراك إخناتون لذلك الوجود العالمى (للإله وسيطرته على الطبيعة وعن إدراك باطنى لذلك الوجود عند كل المخلوقات)[1].

ولتقدير إخناتون البالغ لآتون فقد انقاد عقله بحساسية وإدراك مدهشين إلى ما حولـه من المظاهر المرئية الدالة على وجود الإله الواحد، فقد كان مأخوذًا بجمال النور الأبدى الذى يغمر الدنيا كلها، فهو ليس إله مصر وحدها بل إله كل أرض يسطع نوره عليها[2].

فلسفة إخناتون الإلهـية:

يُعد إخناتون امتدادًا لتعاليم عين شمس التى تقوم على قوانين طبيعية ومحاولة تفسير نشأة الكون من خلال هذه القوانين، إلا أنها لم تتجاهل ولم تضرب بها عُرْض الحائط ولم تعطها ظهرها كما فعل الإغريق للقوى المسئولة عن وجود قوانين طبيعية أساسًا، فبالنسبة لبدء الخلق عند كهنة عين شمس «أن الإله وعى نفسه فى الماء وكان قبل ذلك ماء، ثم استكمل خلق ذاته وبدأ فى خلق العالم» فأين الإله فى هذه الأشياء والطاقة الكامنة والمحرّكة لها، هذا نجده واضحًا جدًا بالنسبة لأناشيد إخناتون، والتى تُعد شكلًا مُكملًا لما يقال فى تعاليم عين شمس.

فصفات الإله عند إخناتون هى أنه واحد لا شريك له، وأنه الخالق والمدبِّر- الوهاب - الملهم - الجميل - الحى - المُبدئ - المشرق - العظيم - المستكن - المضيء - المانح - المُحيى - المجيد - الجليل - الصمد - الرزاق- المالك - الرائى.

وتوجد صفات أخرى كثيرة متضمنة فى أنشودته الآتونية الشهيرة والتى نستطيع أن نستخرج منها تلك الصفات والتى لها دِلالات عديدة، فقد أكد إخناتون أن عُمْر

(١) چيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٣١٥.

(٢) د. سيد كريم: إخناتون، ص٨٤.

الإنسان محدد وللإله الواحد المشيئة، فقد خلق الأرض تبعًا لمشيئته وإذا أراد للشيء أن يكون قال له كُن.

وأسباب خلق الناس عند إخناتون أن الإله الواحد خلقهم لنفسه وأن النباتات تحيا وتنمو من أجل الإله، وأن ذلك الإله الواحد فى السماء ولكن قدرته ومشيئته وقوته تنفذ حتى فى أعماق البحار. فالكائنات خُلقت من الإله الواحد وأن الإله الواحد قد حدد لتلك الكائنات أقدارًا.

فالإله الواحد قد وضع فى الكائنات القدرة على الحياة، بل أعطاها الحياة وهى خُلقت منه وتحيا من أجله وكفل لها الرزق، فإنه هو الحياة بعينها والكل يحيا به. ونستنتج إذن أن «الإله الواحد هو الحياة فى الأشياء أى أن إخناتون يؤمن بحلول الإله الواحد فى الأشياء من حيث حلول الحياة، حيث إن الأشياء خُلقت منه ومن أجله وهو مانحها الحياة»، ومن ثَمّ ففكرة الحلول قديمة العهد من خلال وحدة الفكر الدينى التى أيقظها إخناتون من خلال مبادئه وأفكاره الفلسفية والدينية، تلك الأفكار التى لم تولد فى عقل فيلسوف إلا عقل إخناتون، والتى عملت على وجود التسلسل المنطقى للرد على أى سؤال يمكن أن يطرحه أى عقل بشرى. فمثلا إذا تساءلنا بأنه لا يخفى علينا أن الإله الواحد قد خلق الكائنات، ولكن مَنْ خلق الإله الواحد؟ فنجد إخناتون يقول: «هو ذلك منذ البداية» فكان من الممكن لإخناتون أن يقول بشكل أسطورى «إنه موجود» دون أى تعقيب أو توضيح، فمدرسة عين شمس تؤكد أن الإله قد خلق نفسه بنفسه، حيث لا يُعقل أن يخلقهم الإله من العدم، فالإله قد خلقهم من ذاته وكانوا نتاجًا من العناصر الموجودة فى الأرض وهى الماء والتراب، ولم يقل النار، فهو يناقش ويرد على الأسئلة بإجابات ويقول: «إن الله هو جزء منه» ولذلك فنحن نجد فى أناشيد إخناتون مبادئ عديدة وتتضمن وجود منهج واضح، أى أن هذا مؤشر لمنهج موجود خاص بتفكير المصرى القديم، وهذا مؤداه أن المصريين وضعوا طرقًا للبحث بشكل مباشر، لماذا ؟ لأن المصريين كانوا عمليين، بمعنى أنهم كانوا يجمعون معلومات عن بعض الموضوعات، ويضعون لها أسسًا وقواعد بطريقة علمية دقيقة ومحسوبة، ولكن اليونانى كان يتوصل إلى المعلومة وهو فى مكانه بالتفكير النظرى. دون أى إجهاد، حيث إنهم كانوا يُحقّرون العمل اليدوى. بينما نجد المصرى باحثًا عمليًا، يخرج ويعتمد على التجربة العملية، ولكنه للأسف الشديد لم يقمْ بتسجيل هذه الطريقة الخاصة بالبحث لديهم،

لأنها لم تكن محل خلاف أو صراع، فهى مسألة تُلقّن شفويًا ولذلك لم نحصل عليها مكتوبة، ولكنها تُستنتج من خلال الإنتاج الأدبى المصرى. ومن ثَمَّ لم يُكتب لتلك الأفكار الفلسفية المصرية أن ترى النور وتنتشر بين الأمم المختلفة، بسبب إنها لم تُدّون ولكنها كانت تُلقّن شفويًا.

وهذا ما حدث بالنسبة لأفكار الفيلسوف العظيم إخناتون باستثناء «النشيد الآتوني» الذى تركه لنا والذى تغنَّى به للإله آتون الذى استحوذ على قلب وعقل وحواس إخناتون.

لقد كان آتون قرص الشمس المستدير، مصدر الحياة والذى يمدها بالوجود فى العالم كله سواء فى الإنسان أو الحيوان أو النبات. ولم يكن لآتون شكل آخر كإله، بالرغم من أن أشعته كانت تُرسم على هيئة أذرع تحمل الحياة لعابديه. ومع ذلك، فقد كان فى تأكيدهم أن فرعون هو ابن آتون احتفاظًا للعقائد القديمة. كان إخناتون ابن آتون «الذى خرج من جسده» تمامًا كما كان الملوك السابقون أبناء للإله رع، كانوا يعتبرون آتون حاكمًا، وكانوا يضعون اسمه الرسمى الدال على عقيدته فى خانة ملكية مثل أسماء الملوك[1].

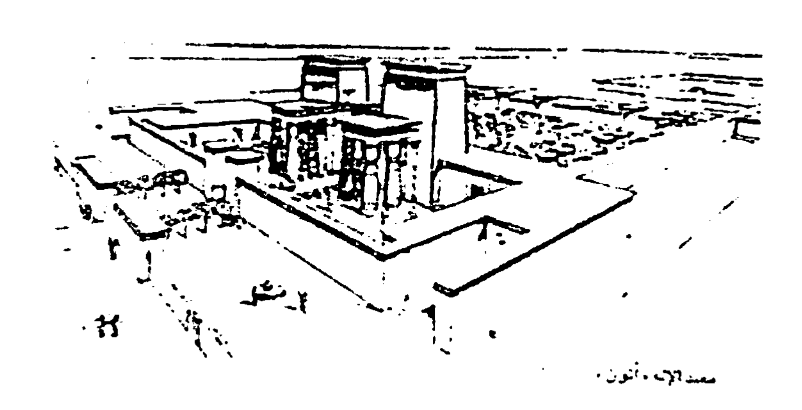
وبذلك نجد أن آتون قد تربع على العرش بجوار إخناتون المُلهم، العبقرى الفذ، ومع العبقرية كانت الحكمة والقوة، فهاجم كهنة آمون وجهر بعبادة آتون وانتقل إلى مدينة آخيتاتون التى وهبها لربه فى السماء[2].

وكانت المعابد المقامة لآتون فى مدينته الجديدة تُبنى على طراز معابد الشمس فى هليوبوليس، أى مفتوحة إلى السماء غير مسقوفة ولم تتبع فى الإضاءة طريقة نقل الضوء من الخارج إلى الداخل، أى مبتدئًا بالضوء الطبيعى فى الفناء الخارجى ثم إلى الأبهاء الداخلية حيث تقل الإضاءة تبعًا لذلك ثم إلى قدس الأقداس الذى يقع فى أقصى الداخل وهو أكثرها ظلامًا. بل اتبعت طريقة الإضاءة المفتوحة حيث كل شيء مُعرّض للهواء. فكان الكهنة يمشون فى الساحات المكشوفة إلى المذابح المكشوفة أيضًا والمعرّضة للضوء الطبيعى الحى الذى يبعثه آتون وفى هذا المكان يشمخ حجر البنبن Benben على قاعدته المرتفعة. إلا أنه فى العمارة لم يتخذ شكل هرم هليوبوليس الحجرى؛ ولكنه اتخذ شكل

(١) چون ويلسون: الحضارة المصرية، ص٣٥٩.

(٢) د. محمد عوض الله: نشأة الكون ووحدة الخلق، ص٢٢.

اللوح ذى القمة المدوَّرة وعليه صورة العائلة الملكية وهى منهمكة فى العبادة[1].



معبد الإله «آتون»

اهتم إخناتون اهتمامًا كبيرًا بمعبد الإله آتون، فحرص على أن تكون أبهاؤه مكشوفة للسماء حتى يتيسر لأشعة الشمس أن تضيء فيها بغير عائق، ولن يكون هناك قدس أقداس داخلى ليدخله الكهنة بمفردهم ليخدموا تمثال الإله فى بيت النار، حيث إنه لا يوجد تمثال لآتون فلا ظلام ولا غموض ولا شيء يحجز الناس عن إلههم، فآتون يُشرق على الجميع بينما الرسوم الموجودة على الجدران فهى تُمثل قرص الشمس منتهيًا بأشعة لها أيدٍ تُبارك العالم، إنها مجرد دلالات تصويرية لفكرة مبهمة[2].

ولم تكن توجد مراكب تخدم الإله الجديد آتون مثلما كان يفعل كهنة آمون، وأُلغيت التماثيل والصور، وإنما أحيانًا كان الملك بمفرده وهو النسخة الصادقة لأبيه آتون يقدِّم نفسه لشعبه الذى كان يستطيع على هذا النحو أن يتمثل فيه بطريقة ما، الإله الذى يتجلى فقط فى قرص النهار الإلهي[3].

---

(١) سيريل ألدريد: إخناتون، ترجمة: أحمد زهير أمين، راجعه: د. محمود ماهر طه، الألف كتاب الثانى. العدد المئوى. الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢، ص١٨٩.

(٢) ونفرد هولمز: كانت ملكة على مصر، ترجمة: سعد أحمد حسين، راجعه: د. أحمد فخرى. الهيئة المصرية للكتاب، سلسلة الألف كتاب، ١٩٩٨، ص٩١، ٩٢.

(٣) فرانسوا دوماس: آلهـة مصـر، ترجمة زكى سوس، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦، ص١٢٢.

انظر: إيمانويل فليكوفسكى: أوديب وإخناتون، ترجمة: فاروق فريد، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر،

وكانت الهبات تُعرض على معبد آتون بالعمارنة بسخاء كبير، وفى السنة التاسعة لحكم إخناتون بُنيت أبنية عديدة تحتوى على مذبح من الطوب اللِبن تُملأ يوميًا بأكداس من الهبات الجديدة يرفعها أموات وأحياء، ولا شك أن هذه القرابين الجديدة جاءت على حساب العبادات الأخرى[١].

وكانت مملكة تل العمارنة مُظللة بالسعادة وتُباركها أشعة الشمس ومعابدها ملأى بالأنغام والمرح والإيمان الذى لا يعرف إلا الصلوات لشكر الخالق المملوء طيبة وخيرًا ولا يعرف إلا العدل نحو الغير، وكان هذا شيئًا عجيبًا ونادرًا فى العالم وهذا الثناء لم يعهده العالم من قبل فى أى بقعة من بقاع الأرض[٢].

وكان إخناتون ونفرتيتى يستيقظان كل يوم على أنشودة من المديح تُرتل فى هدوء حتى يكون استيقاظهما رقيقًا، ثم يفترقان بعد ذلك ويذهب كل منهما للاغتسال والتطيب والتزين، وبعد ذلك يتناولان الإفطار، وكانت المربيات يأتين بالأطفال ليدللهم ويلاعبهم ويتمتع بهم والداهما العطوفان. وبعد ذلك يأتى دور ظهورهما أمام الشعب من نافذة خاصة حيث كانت الشمس تضيء فى بهاء وتجعل حُليهم الذهبية تتلألأ. ويرمى إخناتون بالأزهار والعقود الذهبية إلى أتباعه الأوفياء الواقفين تحت النافذة.

ثم يذهبان بعد ذلك لزيارة المعبد الخاص بآتون ويقومان بتقديم قرابينهما اليومية من الطعام والفاكهة والأزهار على المذبح المرتفع المكشوف؛ حتى يستطيع الإله أن يرسل ضوءه إليه ويتمتع بما يُقدم إليه.

ويخرج الكاهن الأعظم لمقابلة الفرعون ويغنون للفرعون النشيد الكبير الذى ألَّفه إخناتون[٣]. ويقوم إخناتون ونفرتيتى بإقامة الصلاة للإله آتون وتقديم الأضاحى له بمساعدة الكاهن الأول لآتون ويدعى مرى رع[٤].

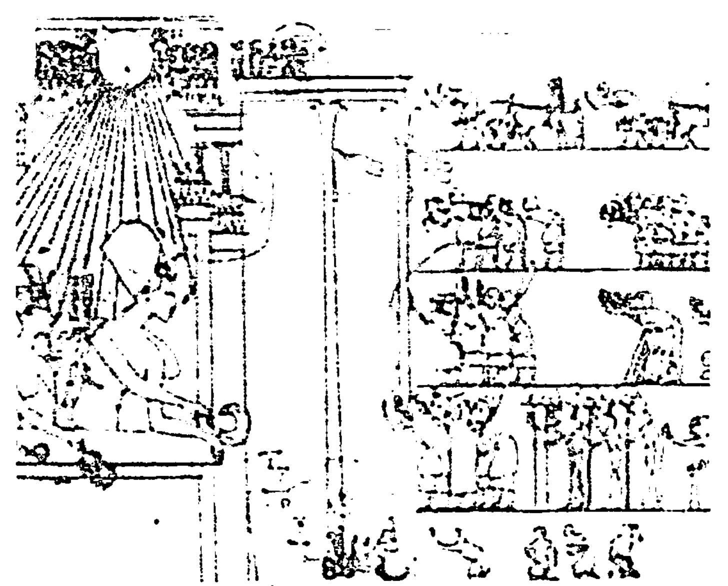
القاهرة، د.ت، ص٧١.

(١) سيريل ألدريد: إخناتون، ص١٥٨.

(٢) أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ص١٤٤.

(٣) ونفرد هولمز: كانت ملكة على مصر، ص١٠٤-١٠٦.

(٤) د. سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الخامس، ص٤٠٤.



«إخناتون ونفرتيتى، وبناتها الثلاث ينعمون بالعطايا على أتباع الدين الجديد من شرفة القصر».

المغزى الفلسفى لأناشيد إخناتون:

نجد أن مذهب إخناتون الجديد قد نُقشت تعاليمه على جدران مقابر ذلك العصر. وقد عُثر بمقابر سُراة القوم على أنشودتين وضعهما إخناتون لآتون لتلاوتهما فى المعابد أثناء أداء الطقوس الدينية والتوسل بهما فى خلوته. وتُعد هاتان الأنشودتان أهم ما خلّفه لنا التاريخ من تلك العصور، لأنهما توضحان لنا قيمة مذهب ذلك الملك الفيلسوف الذى ضحى بكثير لأجله. وقد لُقِّبت هاتان الأنشودتان «بدعاء إخناتون والملكة نفر نفرو آتون للمعبود آتون» وهما تختلفان فى الأسلوب والمقدار. فالأنشودة الطويلة هى أجمل ذوقًا وأعذب كلامًا وأجدر أن تُحفظ ضمن آداب عصرنا هذا.

ونقدم ترجمة هذه الأنشودة مع مقارنة بالمزمور الرابع والمائة من مزامير داود لمعرفة مدى التشابه الشديد من حيث الآراء وتسلسل المعانى.

بهـاء آتـون

بزوغك جليل فى أفق السماء (يا آتون) يا حى يا مبدئ الحياة

إذا ما صعدت فى أفق السماء الشرقى أفضت على الأراضى جمالك
ما ذلك إلا لأنك جميل عظيم. نيّر فى السماء العليا تسطع على الأرض
وعلى جميع مخلوقاتك بأشعتك
أنت (رع) أنت الذى أسَرْتهم وقيدتهم بحـــبك
أنت بعيد عن الأرض لكنك على اتصال معها بأشعتك
أنت عالٍ لكـن آثارك واضحة فى ضوء النهار[1].

الليـــــل

حينما تغيب فى أفق السماء الغربي
فإن الأرض تظلم كالموت
فيناموت فى حجراتهم ورءوسهم ملفوفة
ومعاطسهم مسدودة، ولا يرى إنسان الآخر
فى حين أن أمتعتهم تُسرق، وهى تحت رءوسهم
وهم لا يشعرون بذلك.

الأنشـــودة	المزامـــير
	تجعل ظلمة فيكون ليل فيه يدب كل حيوان وعر.
	(المزمور ١٠٤- الآية ٢٠).
الليل والحيوان	الأشبال تزمجـر
وكل أسد يخرج من عرينه وكل	لتخطف ولتلتمس
الثعابين تنساب لتـلدغ	من الله طعامها
والظلام يخيّم، والعالم يكون فى صمت	(المزمور ١٠٤- الآية ٢١).

(١) جيمس هنرى برستيد: تاريخ مصر من أقدم العصور حتى العصر الفارسى. ص٣٠٣.

النهـار والإنسان

والأرض زاهية حينما تشرق فـى
الأفق، وعندما تضيء بالنهـار
مثل (آتـون)
فإنك تقصى الظلمة بعـيدًا
وحينما ترسل أشعـتك
تصير الأرض فى عيد والناس
يستيقظون ويقفون على أقدامهم
وبعد غسلهم أجسادهم يلبسون
ثيابهم ثم يرفعون أذرعهـم
تعبدًا لطلعتك، ثم بعد ذلك
يقومون إلى أعمالهم فى كل العالم.

تشرق الشمس فتجتمع
وفى مآويها تربـض
الإنسان يخرج إلى عمله
وإلى شغله فى المسـاء
(المزمور ١٠٤- الآية ٢٢، ٢٣).

النهـار والميـاه

والسفن تُقْلع فى النهار صاعدة فيه
عـلى الـسـواء وكـل فـج مفتوح لشروقك
والسمك يسبح فى النهر أمامك وأشعتك
تنفذ إلى أعـماق البحر الأخضر العظيم

هذا البحر الكبير الواسع الأطراف.
هناك دبابات بلا عدد صغار حيوان
مع كبار هناك يجرى السفن
لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه[1].
(المزمور ١٠٤- الآية ٢٥: ٢٦).

(1) Eliade, m.: a History of Religious. Ideas, Vol. I. Chicago. 1978. p. 108.

* السيطرة العالمية *

أنت خلقت السموات العُلَى لتشرق فيها

ولتشاهد كل ما صنعت حينما كنت لا تزال وحيدًا

مضيئًا فى صورتك مثل (آتون) الحي

وأنت تخلق آلاف الآلاف من الصور منفردًا بنفسك

والمدن والقرى والحقول والطرق العامة والأنهـار

وجميع العيون تراك تجاهها

لأنك «آتون» شمس النهار فوق الأرض

وحينما تغيب وجميع الناس الذين سويت

وجوههم لأجل ألا ترى نفسك بعد وحيدًا

يغشاهم النعاس حتى لا يرى واحد منهم ما

قد خلقته ومع ذلك لا تزال فى قلبى.

* وحى المـلك *

ليس هناك واحد آخر يعرفك إلا ابنك (إخناتون)

قد جعلته عليمًا بمقاصدك وبقوتك.

* الوقايـة العالمية *

العالم يعيش بصنيع يدك

فيحيا حينما تشرق ويموت حينما تغيب

لأن حياتك طول مدى نفسك

والناس يعيشون بواسطتك

وأعين الناس لا ترى إلا جمالك حتى تغيب

منذ أن خلقت العالم وأوجدتهم لابنك

الذى ولد من لحمك[1].

وعندما يعود شروقك فى الصباح فى أفق السماء الشرقي

وعندئذ يرفعون أذرعهم إليك تعبدًا

وتجعل قلوب البشر تحيا بجمالك

لأن الناس تحيا عندما ترسل أشعتك

ويكون جميع الكون فى عيـد

فالغناء والموسيقى وتهليل الفرح

تكون فى قاعة بيت (بنبن)[2]

وفى معبدك فى (آخيتاتون) ومكان الصدق (ماعت)

حيث تكون فيه مسرورًا، ويقدم لك فيه الطعام

ويؤدى لك ابنك الطاهر احتفالاتك السارة

(يا آتون) الحى فى مواكبه البهجة

كل ما خلقته يطرب أمامك

ويفرح ابنك الجليل وقلبه فى حبور

---

(١) د. سليم حسن: الأدب المصرى القديم (أدب الفراعنة)، الجزء الثانى. العدد ٣، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٢١، ١٢٢.

انظر: نيقولا جريمال: تاريخ مصر الفرعونية، ص٢٩٠، ٢٩١.

(٢) كان الـ «بنبن» حجرًا هرمى الشكل مثل الهرم الصغير الذى يتوج المسلة. وقد كان هذا الحجر يُعد غاية فى القداسة، وكان فى الأصل يحتل مكانة عالية فى المعبد أو بيت معبد الشمس الذى فى هليوبوليس. وهذا البيت يدل على أن (إخناتون) قد أدخل فى معبد تل العمارنة بنبن.

د. سليم حسن: الأدب المصرى القديم، الجزء الثانى. ص١٢٤.

آه (يا آتون) الحى المولود كل يوم فى السماء

إنه يلد ابنه الجليل وان (رع) (إخناتون)

مثّل نفسه دائمًا ابن الشمس (نفر خبرو - رع وان رع) (إخناتون)

وحتى أنا ابنك الذى تُسر به والذى يحمل اسمك

قوتك وبطشك يسكنان فى قلبي

وحتى أنت يا (آتون) العائش الأبدى...

لقد خلقت السماء العليا لتشرق فيها

لأجل أن تشاهد كل ما صنعته[1].

ملك الوجه القبلى والبحرى (الشمال والجنوب)

العائش فى الصدق رب الأرضين

(نفرو) - (خبرو) - (رع) - (وان رع) «إخناتون»

ابن (رع) العائش فى الصدق رب التيجان

(إخناتون) ذو الحياة الطويلة

ولأجل كبرى الزوجات الملكية محبوبته

سيدة الأرضين (نفر) - (نفرو) - (آتون) «نفرتيتي»

عاشت وازدهرت أبد الآبدين[2].

ومما سبق يتضح لنا أن واضع هذا النشيد يتسم بالشفافية المطلقة والوداعة والشاعرية المفعمة التى تملأ نفسه، فإخناتون كان واسع الاطلاع عالمًا بالأمور الاجتماعية العالمية

(1) Budge, Wallis E. A.: From Fetish to God in Ancient Egypt. New York, p.402-405.

(2) Budge. Wallis E. A.: The Gods of the Egyptian Mythology. Vol.2. New York. p.75.

انظر: د. سليم حسن: مصر القديمة. الجزء الخامس، ص٣٠٨، ٣٠٩.

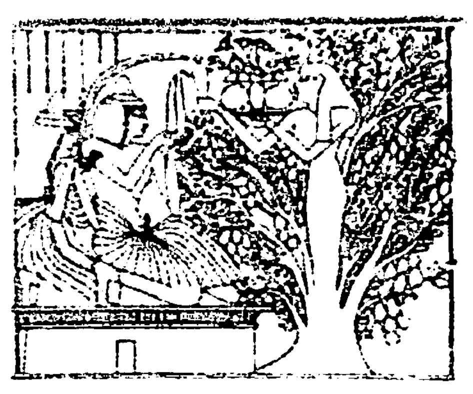
من شلالات النوبة إلى أقصى حدود سوريا فى آسيا، معتبرًا هذه الأقاليم وحدة لا تتجزأ، الشيء الذى لم يعتد المؤرخون نسبته إلى أهالى القرن الرابع عشر ق.م وبدهى أن مثل هذا التغير نتيجة ظهور روح جديدة فى مصر بدلًا من الروح الرجعية العتيقة، والفضل فى ذلك يرجع إلى إخناتون من خلال قصيدته المشهورة التى تشهد له بسموٍّ الذاكرة فى ذلك العهد السحيق. وقد توصل ذلك الملك الفيلسوف بثاقب فكره إلى معرفة إله العالم خالق الكون، وإلى الإيمان برحمته ورأفته بمخلوقاته حتى الحقير منها. فقد أبصر فى رفرفة أجنحة الطيور بين سيقان اللعلع بالمستنقعات المصرية نوعًا من التسبيح لخالقها.

كما تصوّر قفز السمك فى الغدير حمدًا لبارئها، واعتقد إخناتون إن الإله الأحد هو الذى يناجى النبات ويُغذّى الفرخ الصغير ويُشرف على فيضان النيل الشديد وقد سماه «أب وأم جميع مخلوقاته»، ومنه يتضح لنا أن الملك إخناتون عرف لطف الإله العالمى وحِلْمَه[1].

علاقة الإله بالإنسان عند (إخناتون):

لقد تعددت الآلهة فى مصر القديمة، وأخذت أشكالًا ورموزًا مختلفة، ولكننا نجد فى غرفة دفن تحوتمس الثالث على أحد العمودين صورة مرسومة غير مألوفة لشجرة رمزية تقدم ثديها للفرعون مع عبارة تقول: «إنه يرضع من (ثدي) أمه (إيزيس). ولمّا كانت الأم الحقيقية (لتحوتمس) هى (الأم الملكية إيزيس) التى تُرى وهى تجتاز حقول العالم الآخر فى قارب بردى على نفس العمود، فإن ما يتداعى إلى الذهن أن هذا الرسم للملك والشجرة مقصود به تبيان أن الفرعون المتوفى يعود إلى أمه التى ترضعه مرة أخرى كطفل صغير دلالة على تجديد الحياة فى القبر».

(١) جيمس هنرى برستيد: تاريخ مصر من أقدم العصور حتى العصر الفارسى. ص٣٠٧.



الربة الشجرة تقدم الخبز والماء البارد إلى المتوفى وزوجته ، زهور اللوتس المتفتحة فوق العصبة التي تحملها تعني الرغبة في تجديد الحياة . والعطر على رأس المتوفى وزوجته يعطي رائحة طيبة مستمرة - من مقبرة سن نجم في دير المدينة

وكانت نوت أو حتحور تظهر فى كثير من المقابر الخاصة فى شكل أنثوى يبرز من شجرة وهى تقدم للمتوفى وروحه (البا) الماء البارد والطعام لتصوير العلاقة بين الإنسان والآلهة، باعتبارها الثقة فى قوى الآلهة، فالشجرة توفر الظل والرطوبة والطعام، وفيها تجد الروح البشرية التى هى على شكل الطائر كل ما تتطلبه. ومن ثَمَّ فإن الرّبة الشجرة تقدم جدولًا من الحياة لا ينقطع فى العالم الآخر، هذا الرسم الفريد لا يوجد إلا فى مقبرة تحوتمس الثالث[1].

وباختلاف العصور تغيرت بعض المفاهيم الدينية الخاصة بتعدد الآلهة وعلاقتها بالإنسان، وظهور مفاهيم جديدة أخذت طابعًا فريدًا عملت على توحيد الآلهة فى إله واحد له السيادة العالمية للكون والبشر جميعًا. وذلك من خلال تعاليم إخناتون الدينية.

---

(١) إريك هورنونج: وادى الملوك أفق الأبدية (العالم الآخر لدى قدماء المصريين)، ص٨٥.

وأشار إخناتون إلى أن سيادة الإله التامة على كل الشعوب كلها مصحوبة بعطف وحنوّ أبوى بدون تمييز بين القومية والعنصر. وأظهر الملك للمصرى المتغطرس رأفة الخالق لشعوبه كلها، فذكر سوريا وبلاد النوبة قبل مصر فى تعداد تلك الشعوب.

ولا شك أن هذه العقلية الفذّة هى التى جعلت المؤرخين يعدُّون إخناتون أقدم رسول معروف فى تاريخ البشر.

وتصدُق هذه الآراء لأن الملوك القدماء كانوا يعتقدون أن الإله الأعظم هو الذى يهب النصر ويسحق الأهالى ويسوقهم حاملين الجزية أمام عجلة الفرعون.

أما إخناتون فقد رأى فى الإله رأفة ورحمة لخلقه جميعًا على السواء. ويُعدُّ هذا المذهب أقدم ما عُرف من علم التوحيد فى التاريخ، وتعاليم هذه القصيدة اعتراف صحيح بوحدانية الله ورأفته ووجود سره المكنون فى كل مخلوقاته.

وقد ذكر إخناتون عبارة شهيرة اشتهر بها وهى «العائش على الحقيقة» وتدل على شدة تعلقه بالحق وهو أمر ثابت من أخبار معيشته اليومية.

فكان يعتقد أن الحياة البسيطة البعيدة عن التكلّف هى أقرب الأمور للحق والصواب وأن كل ما أوجدته الطبيعة هو صواب لا خطأ فيه، لذلك كان يُرى هو وأسرته دون تكلّف ويظهر فى كل الاحتفالات كأنه كاتب بسيط فى معبد آتـون[1].

ومن الواضح أن إخناتون كان يُبرز بذلك دينًا عالميًا يحاول أن يحلّ محل القومية المصرية التى سبقته وسارت عليها البلاد خلال عشرين قرنًا مضت، أضف إلى ذلك تأثره الشديد بأزلية إلهه. وكان إخناتون نفسه يتقبل فكرة فناء نفسه بكل سكينة واطمئنان، فنراه يُسجل فى تل العمارنة تعليماته الدقيقة الخاصة بدفنه بعد الموت. ومع ذلك كان يعتمد على علاقته الوثيقة بآتون حتى يضمن له شيئًا من خلود إله الشمس؛ ولذلك كان يحتوى لقبه الرسمى دائمًا بعد ذكر اسمه على النعت الآتى «الذى مدة حياته طويلًا»[2]. أو الذى تخلّف لكى يعيش طويلًا.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٨.

(٢) د. سليم حسن: الأدب المصرى القديم، الجزء الثانى. ص١٢٦.

ونذكر أيضًا تلك الجملة التى تصف إخناتون «بأنه ذلك الذى يعيش فى الحقيقـة»، فأينما ذُكرت نفهم أن المشار إليه هو إخناتون نفسه حتى ولو كان اسمه قد أزيل من أى نقش وُجد.

فلا شك أن هناك روحًا جديدة فى هذه العلاقة الشخصية بين الإله والإنسان، وهى روح لم يعهدها الناس من قبل فى دين مصر أو على الأقل لم تُسجّل من قبل فى ترانيم أو صلوات أو أناشيد سابقة كانت أم لاحقة. ومن المُحال ألا نفطن إلى أن إخناتون قد اعتبر ذاته قمة الوجود، فهو وحده الذى يعلم الخالق ويعرفه وكل البشر يعيشون من أجل ابنك إخناتون[1].

إخناتون وفكره السياسـى:

احتلت الديانة المصرية القديمة مكان الصدارة فى عقول وقلوب المصريين القدماء، وكانت معتقداتهم الدينية تأخذ فى السمو كلما نسبوا القوة المطلقة إلى إله معين، أو بعبارة أخرى، كلما اقتربوا من فكرة الإله الواحد، ومن الواضح أنه إذا سما إله معين إلى مقام أرفع بكثير مما يتمتع به سائر الآلهة الأخرى، وإذا نُسِبَتْ إليه القدرة فى خلق الكون والبشر وسائر المخلوقات، فليس على المرء سوى أن يتقرب إليه بكل تواضع وتبجيل لهذا الإله[2].

وأكثر هذه الآلهة شهرة والتى نشأت من العقيدة الشمسية هى عقيدة إخناتون الدينية، والتى كان يبغى من ورائها التوصل «لإيجاد اتحاد سياسى عالمى يجمع بين مصر وجميع الممالك الأخرى» وهذا لم يكن الهدف الوحيد من دينه الجديد، بل كان يريد أيضًا رفع معبوده آتون فوق جميع الآلهة والمعبودات الأخرى، وأنه هو وحده الذى سيصل بالشعوب إلى أعظم ما يتمناه الإنسان من الكمال والحرية والاستقرار.

واتخذ إخناتون اسم آتون لأنه لم ينظر فى عبادته إلى غير «الحقيقة الظاهرة التى يراها الناس فى هذا الكوكب منذ طلعته فى شرق الكون إلى غيبته فى غربه». فعبادة الشمس فى

---

(١) إيمانويل فليكوفسكى: أوديب وإخناتون، ص٥٩.

(٢) محمد عبد القادر محمد: الديانة فى مصر الفرعونية، دار المعارف، د.ت، ص١٣٤.

مصر عريقة يرجع تاريخها إلى أيام انتظام وسائل الحياة الإنسانية فى هذا الوادى. فنظر المصريون فيها وعاينوا ما لها من أثر واضح فى حياة الكائنات فقدّروها ورصدوا سيرها فى عالم السماء، ثم عبدوها، وجعلوا لها صورًا مختلفة، ورسموا لها أشكالًا متعددة، ولم يفتر أنصارها- رغم أحداث السياسة وتطوراتها فى سبيل الدعوة إليها والعمل على بعث مذهبها ونشره على الملأ.

ويُعد آتوم من أقدم وأشهر الأسماء التى أُطلقت على إله الشمس والذى كان يُمثّل على هيئة إنسان شيخ يحمل فوق رأسه تاج الملك ويتربع على عرش الوادى. ثم يرمزون به إلى الشمس فى آخر مرحلة من مراحل جريها فى النهار. فهم يعرفون الشمس منذ القدم ويجعلون آخر مظهر لها من رحلة النهار بمثابة نهاية النهايات من تمام الخلق فى هذا الكون[١].

ولأنهم يرون فى صورة البشر أتم وأكمل ما برأ الله فى هذا الوجود من خلق، فيصوّرون الشمس فى صورته ويدعونها آتوم ويزعمون أنه خالق الخلق وبارئه وأنه أصل البشر جميعًا، فكان آتوم يُمثل النضج والاستواء والكمال والكهولة الموقّرة عند آل فرعون.

بينما نجد أن الإله آتون هو إله إخناتون، الذى يمثّل عقيدته الجديدة، وحمل إخناتون على نفسه رسالة هذا المذهب وإعلانه على الملأ منذ عامه الخامس بأنه «يعيش على الحق» لأنه آمن بالشمس واعتقد أنها مصدر الحياة فى هذا الكون، وأنه من أجل ذلك قد كان السبيل إلى «الحقيقة والحياة».

وزعم إخناتون أنه أول من بشّر باسم آتون أو أنه رسول آتون للناس كافة، جاء ليظهرهم على جماله ويعظم اسمه بين العالمين ويجعلهم يشعرون بقوة خالقهم، وأن آتون قد اصطفى ذلك الرسول واجتباه وعلمه وأظهره على قوته، وأطلعه على إرادته[٢].

---

(١) د. أحمد بدوى: فى موكب الشمس، الجزء الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص٥٨١.

(٢) المرجع السابق، ص٥٨٠.

وقصد إخناتون من العقيدة الآتونية تقريب الشعوب والأفراد من بعضهم البعض دون تفرقة بين أصولهم وأجناسهم وألسنتهم ليؤكد لهم أن إلههم هو الإله الواحد الذى لا شريك له، وهو الذى يشرق بنوره على الكون كله[1].

وفى الفترة بين عامى ١٣٧٧، ١٣٧٥ق.م. تقريبًا، مات أمنحوتب الثالث والد إخناتون وأصبح هو المسئول عن حكم البلاد بل الإمبراطورية المصرية كلها.

كان يعيش إخناتون فى طيبة عاصمة البلاد آنذاك، ولم يتميز حكمه حتى ذلك الوقت إلا بتغيرات طفيفة فى العادات والمظاهر فقط، وبدأ فى هجومه على كهنة آمون، ومن ثَمَّ تجمعت لديه جميع عناصر ثورة اجتماعية ودينية وسياسية وأصبحت ناضجة لحين إعلانها.

وبدأ يدعو إخناتون لعبادة الإله الواحد آتون، ويقال أنه قرابة السنة السادسة من حكمه احتفل الملك الشاب بعيده وعيد آتون وهذا يعنى أنه أراد أن يقول إن كليهما هو وإلهه، كانا يحكمان معًا طيلة هذا الزمن.

وكانت العادة أن تُقام هذه الأعياد الملكية - باستثناء بعض الحالات - بعد مُضىّ ثلاثين عامًا من الجلوس على العرش.

فلو كان للثلاثين عامًا أى معنى فى هذه الحالة فإنه يكون قد مضى على إدخال عبادة آتون بصفة رسمية ثلاثون عامًا، أو ربما كان معنى ذلك أن الملك إخناتون قد وُلد فى العام نفسه. والنتيجة الوحيدة التى يمكننا أن نصل إليها هى أن إخناتون يؤكد الصلة بينه وبين الإله آتون فى الحُكم، وذلك باعتبار الاثنين معاصرين لبعضهما فى الزمن[2].

ونجد أن المؤرخ فرنراكشناين فى (ضمير الشعوب) ينسب إلى إخناتون مسئولية ضياع الإمبراطورية المصرية بمحاولة إدخال الدين فى السياسة، ووصفه بأنه أول الفراعنة المسالمين والذى أظهر الميل إلى تأسيس دولة عالمية لا تستلزم استخدام القوة

---

(١) د. سيد كريم: إخناتون، ص٤٥.

انظر: إيفار ليستار: الماضى الحى (حضارة تمتد سبعة آلاف سنة)، ترجمة: شاكر إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨١، ص٦٨.

(٢) جون ويلسون: الحضارة المصرية، ص٣٤٥-٣٤٦.

لإخضاع الغير؛ بل تستخدم الوسائل السلمية تدرجًا حتى تبلغ الدولة بذاتها حد الكمال اللائق بها بين الشعوب[1].

ووضع إخناتون أساسًا لشرعية الحكم «أى أن الحكم لا يمكن له أن يرتكز على أطراف السيوف» ولكنه يُبنى بناءً راسخًا من خلال العلاقة الطيبة والشفافية المطلقة بين الحاكم والمحكوم، فيكون بذلك الراعى الأول للحقيقة وللبلاد.

ويتضح لنا مدى الوضوح التام فى شخصية إخناتون الدينية والسياسية، فهى شخصية مصرية لحاكم يقف على النقيض من شخصية فرعون موسى (عليه السلام) ذائع الصيت، فى شتى المجالات والجوانب العقائدية، فضلًا عن الجوانب الشخصية الأخرى.

فلا يتسم بالاستبداد والغطرسة، فضلًا عن صفات الوداعة والشاعرية والتواضع الواضح فى شخصيته، ومن ثَمَّ يكون إخناتون عكس فرعون موسى ويضع تعادلًا فى تاريخ الحكام المصريين والحضارة المصرية لصالحهم، فيُمثل إخناتون القطب الموجب، بينما فرعون موسى القطب السالب أو الوجه الأبيض والأسود لحكام مصر القديمة.

وبالنسبة لشرعية الحُكم لم يستند إخناتون إلى الطبقات الأرستقراطية ومجموعة الكُهّان، بل استند إلى المؤمنين بعقيدته الدينية الجديدة، حتى ولو كانوا مروِّضى خيول.

ففلسفة الحكم عند إخناتون تقوم على «مبدأ المساواة بين أفراد الشعب» واعتبر المساواة جزءًا لا يتجزأ من الحقيقة، لأنه بدون المساواة ينعدم وجود العدل بين الناس والذى يعمل على إيقاظ الضمير الإنسانى الذى كثيرًا ما يحذِّر الإنسان من فعل الخطأ والابتعاد عنه إذا ما دخل فى تجربة ما، على أنه لا شيء فى حياة الإنسان أهم من إصغائه لصوت ضميره، لأن عدم الإصغاء له يعقِّب خرابًا وشقاءً[2].

---

(١) د. سيد كريم: إخناتون، ص٤٧.
انظر: چان يويوت: مصر الفرعونية، ص١٣٠-١٣٢.
انظر: د. سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الخامس، ص٣١٣.

(٢) س. س. إيلربت: فلسفة الأخلاق والعلوم، ترجمة: لطف الله لطفى. مطبعة المحيط، القاهرة، د.ت، ص١٦٣.

لقد كان إخناتون يأمل أن يحكم مصر عن طريق فكرة، عن طريق حلم، ولكن أى إمبراطورية مهما تكن إدارتها تحب الخير، لابد أن تدافع عنها وتحميها بالقوة، ولقد نادى بعض المؤرخين بأن إخناتون برغم أنه لم يكن محاربًا مثل تحوتمس الثالث فقد سعى إلى التوسع فى أطماع مصر بإتِّباع وسيلة أكثر دهاءً هى غزو عقول رعاياه، ومن ثَمَّ كانت عقيدة آتون صورة من صور الدعاية وكان قرص الشمس المجنَّح رمزًا أكثر سهولة فى تصديره عن أى شعار مصرى آخــر[1].

ومن ثَمَّ لجأ إخناتون إلى الطرق السلمية فى نشر عقيدته الدينية، محاولًا غرس مفهوم الحقيقة فى عقول رعاياه والبُعد عن الظلام الذى كان يُمثل لدى إخناتون غياب الحقيقة. فلحظة الضوء لديه هى ظهور الحقيقة، ولذا كان يرمز لضوء الشمس الحيّة بآتون الذى يدعو إلى الحقيقة الكاملة للأشياء. وهدف الفلسفة هو الحقيقة، ومن يتأمل أفكار إخناتون يجد بداخلها وبين ثناياها بذور الفكر الفلسفى فى صورته الأولى.

وهذا هو وجه الربط بين الشمس وإله إخناتون الواحد الذى لم يكن هو الشمس بذاتها. ولكنه يتفق مع الشمس فى إظهار الحقيقة وكتمثيل للحقيقة، وكان يُعد غيابها هو الشر المطلق، وهو الظلم فى مواجهة العدل، ويستدل على ذلك بافتراس الضباع لضحاياها عندما تغيب الشمس فى الأفق الغربى وتختفى الحقيقة، كما تنتشر السرقات فى ظلام الليل الدامس عندما تختفى حقيقة الأشياء، ولكن عندما تشرق الشمس فى وضح النهار، وينمحى الخفاء وتنفذ أشعة الشمس إلى أعماق البحار ويظهر ما بداخلها من أسماك تسبح، ولا يُحجب عن عين الرائى شيء، وهنا تكون ملامح الحياة التى تستمد وجودها من سطوع الحقيقة فيزرع الفلاح أرضه ويحصل الصياد على رزقه، وتعج الطرق بالناس، ويقضى كل منهم حاجاته، وتختفى الضباع وتنعدم السرقات، إنها الحقيقة إله الخير المطلق الذى يسطع سطوع الشمس فى كبد السماء.

---

(١) أ. و. ف. توملين: فلاسفة الشرق، ترجمة: عبد الحميد سليم، راجعه: على أدهم، دار المعارف، ١٩٨٠، ص٧٩، ٨٠.

وحينما تغيب فى أفق السماء الغربى فإن

الأرض تظلم كالموت، فينامون فى حجراتهم

فى حين أن أمتعتهم تُسرق

وكل أسد يخرج من عرينه ليفترس

والعالم يكون فى صمت

وعندما تضيء بالنهار مثل (آتون)

وحينما ترسل أشعتك

والسمك يسبح فى النهر أمامك

وأشعتك تنفذ إلى أعماق البحر الأخضر العظيم.

وبذلك يكتب إخناتون سطورًا لدستور مصرى ينظم شئون الحكم فى مصر. وتكون المساواة بين الأفراد فى جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية بما فيها حق أدنى الطبقات للشعب للوصول إلى أعلى المناصب فى الحُكم وهذه هى الفقرة الأولى من الدستور الإخناتونى. وفكر إخناتون فى استكمال وضع باقى فقرات دستوره الإخناتونى العظيم، واهتداء عقله إلى محاولة الاهتمام بتعليم شعبه المؤمن بالإله الجديد (آتون) ونشر المعرفة والعلم فى أرجاء مدينته الجديدة.

العقيدة الآتونية والعلم:

ظهرت جذور المعرفة فى الحضارة المصرية القديمة مع ظهور عقيدة التوحيد، والتى ارتبطت جميع عناصرها بالعقيدة، وكان مصدر نشأتها نفس المعبد الذى خرجت منه رسالة عقيدة التوحيد، وحمل نفس الكهنة رسالة المعرفة التى أطلق عليها فى نفس الوقت المعرفة المقدسة.

فنجد آنى فى الاعتراف السلبي[1] (كتاب الموتى) يقول:

«هلا... يا من منحت المعرفة.. يا من أتيت من (أوتن) إنى لم أسع فى وشـاية»[2].

«هلا... معطى المعرفة»[3].

ويقول أوزيريس آنى:

«نلت السيطرة على حديث فمى.. نلت المعرفة»[4].

وتشير برديات هرمس إلى العلاقة بين العقيدة والمعرفة بقولها:

«عندما آمن المخلوق برب السماء أنعم عليه بنعمة (المعرفة) التى حملها إليه (تحوت) رسول الإله الذى ينقل رسالته إلى البشر. علّمه الحرف والكلمة والنطق والأسماء. أنزل إليه النقش المقدس (الخط الهيروغليفي) ليقرأ به كلمات الإله ليحفظ تعاليمه ويتلقى حكمته. وعندما تطلّع إلى السماء ليرى وجه الإله شاهد عرشه الفسيح (قبة السماء) وراقب دورة حراس الإله التى لا تهدأ (النجوم السيارة) فأنعم عليه الإله بالتقويم وقياس الزمن. عرف علاقة الأفلاك ومكان الأرض منها ودوراتها حول العرش فانكشف له سر الفلك ووضعه بالنسبة لبروج السماء، وأتقن لغة التخاطب معها، وهو التنجيم الذى فتح له نافذة يطل منها على أسرار ما وراء الطبيعة وسر الوجود. عرف معنى الخلود فآمن به وآمن بالخالق وكلما ازداد إيمانًا زاده الإله علمًا وفتح له أبوابًا جديدة من أبواب المعرفة»[5].

---

(١) الاعتراف السلبى هو وقوف المتوفى أمام اثنين وأربعين إلهًا وما هم إلا مساعدون (لأوزيريس) الذى يتصدر قاعة «الإلهتين ماعت» لينفى عن نفسه أمام كل إله خطيئة من الخطايا، والاعتراف أمام كل إله لابد أن يتضمن شيئين: اسم الإله والمكان الذى أتى منه، ثم إعلان البراءة من الخطيئة.
والس بـادج: كتاب الموتى الفرعونى. ص٢٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٠.

(٣) المرجع السـابق، ص١٢٧.

(٤) المرجع السابق، ص٧٣.

(٥) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص٧٠.

وفى أنشودة الخلق التى وردت فى (كتاب الموتى):

«كان الله حكيمًا عندما خلق بقدرته البشر قطيع الإله، صنع لهم الأرض ليعيشوا فوقها والسماء لتغطيهم، وأبعد الظلمات من الهاوية وجعل نسمة قلوبهم حياة وجودهم وأداة كيانهم فجعلهم صورته الخارجة وصعد إلى عرشه فى السماء على رغبتهم بعد أن أمّن معاشهم وصنع لهم من النبات والحيوان والطير والأسماك غذاء وأنزل عليهم المعرفة فعلّمهم الكلمة والنطق والحروف ليقرءوا كلماته ويعملوا بتعاليمه التى ترشدهم إلى الطريق القويم حتى يسترد الأمانات فى محكمة السماء بوابة الخلود»[1].

من خلال تلك الكلمات الرائعة كانت العلوم والمعارف والفنون والآداب التى نسبها الكهنة إلى الإله الأعظم الذى اصطفاهم ليقوموا برسالة نقلها ونشرها بين الناس، والتى اعتبروا فيها أن العلم عبادة والمعرفة من أركان العقيدة، وهى النظرية التى أكدت أن الحضارة الفرعونية ـ كما وصفها كثير من المؤرخين ـ حضارة بُنيت على العقيدة وعلوم المعرفة معًا، أى حضارة جمعت بين العلم والإيمان وهو ما يُمثله مذهب إخناتون الجديد.

ولم يقتصر نشاط إخناتون عند أناشيد آتون الدينية، بل إنه اهتم بنشر العلم بين شعب آتون فى رحاب مدينته الجديدة، التى تقوم على العلم والعمل معًا، حيث إن عقيدة التوحيد عند قدماء المصريين لم تنشأ الفصل بين الإيمان الذى عبّروا عنه بالحكمة والعلم، فلم تقبل معالجة أى فرع من فروع العلم بمعزل عن العقيدة التى هى هدف فى ذاتها ومعنى للوجود نفسه، فكل ما فى الطبيعة كما يذكر «كتاب التوحيد» هو مظهر من مظاهر وجود الإله، فليست معرفة الطبيعة وعلوم معارفها إلا شكلًا من أشكال العبادة المقرّبة إلى الله.

فانطلق العلم فى عقيدة التوحيد المصرية من مبدأ الوحدانية حيث لا مجال للتفريق بين الطبيعة آيات الله وبين مختلف علوم مجالات الحياة من فنون وآداب وعلوم وغير ذلك، بل مختلف الحِرف والصناعات، وامتدادًا إلى السياسة والاقتصاد وإدارة الحكم

---

(١) المرجع السابق، ص٦٩.

والقضاء، وعلاقة كل منها بتشاريع السماء كما هو الحال في جميع الكتب السماوية التي بدأت بالدعوة للعلم لتلقى تشاريع السماء وكلمات الإله.

ولم تغفل العقيدة علاقة العلم بالعمل، فجعلت من العمل وممارسته وإتقانه نوعًا من العبادة التي تقرّب الإنسان من الإله كما يقول إخناتون في إحدى برديات العمارنة: «تعلّموا لتتعلموا كيف تعملون بإتقان، العمل صلاة تقرّبكم من الإله، وعين الإله لا تغفل عما تعملون».

واهتمام إخناتون بالعلم دعاه لإقامة مشروعه العظيم لنشر العلم بين شعبه في آخيتاتون، تلك المدينة أي (معبد الوحي) الذي أقامه للإله لتلقى رسائل التوحيد التسع (تاسوع التوحيد أو وصايا السماء) والتي كشفت حفريات العمارنة عن خمسة من تاسوع تلك الرسائل موزعة بين المتحف البريطاني واللوفر وبرلين وتورين ومن بينها رسالة نشر العلم وهي الرسالة الثالثة لتشاريع العقيدة الآتونية، وكان الفضل في اكتشافها للعالم الكبير الدكتور سليم حسن الذي اكتشف في نفس الوقت صفحات من كتاب العقيدة الإخناتونية مماثلة لصفحات من التوراة، وأيضًا المزامير التي تُعد صورة طبق الأصل من أناشيد إخناتون[1].

وتنص الوثيقة التاريخية أو الرسالة الثالثة من تشاريع إخناتون بأن العلم أول أركان الإيمان، والجهل كفر برب السماء. وتضمنت كذلك وصفًا كاملًا لنشر العلم بمفهومه الحضاري أي محو الجهل بمختلف مقومات حياة الفرد وكيان وجوده ودوره الفعّال والثقافي في بناء الإنسان ودور الإنسان في بناء المجتمع المتحضر ودور المجتمع في بناء حضارة الأمة والتاريخ. وأوضحت الوثيقة مدى الدور الذي يقوم به كل من الشعب وكهنة المعابد ورجال الدين وأهل العلم والمعرفة والعمال في تطهير الشعب ودخوله تحت مظلة التوحيد.

وتحولت المعابد ودُور العبادة والمساكن وساحات المدينة إلى خليّة حيّة لنشر العلم ومصنع للعلم والمعرفة، فأصبح العلم والعمل من طقوس العبادة التي يأمر بها الإله.

---

(١) د. سيد كريم: إخناتون، ص٧٧-٧٩.

وحددت الوثيقة دور كل فرد فى نشر العلم، مثل دور الآباء والأمهات فى تنشئة الطفل وتعليمه قبل خروجه من البيت إلى الحياة، وحددت دور نشر العلم فى علاقته بالثقافة المهنية وتطويرها.

ويبدأ برنامج نشر العلم بتوريث المهن والتخصص فيها بالكاتب، وهى أرقى المهن المرتبطة بتعاليم السماء الخاصة بالمعرفة المقدسة. تبدأ بتعليم ابن الكاتب فى المعبد القراءة والكتابة وفنونها ونقوشها انتقالاً إلى أدب العقيدة والحكمة، ويحمل لقب الحكمة المقدسة عندما يصوّر كتاب العقيدة (كتاب الموتى) كاملًا على لفافة البردى برسومه التصويرية والنقش المقدس (الخط الهيروغليفي) مع احتفاظه بأسرار المعانى التى يعبر عنها بالرموز والطلاسم، ويضاف إلى اسمه لقب حكيم مثل (الحكيم آني).

وتنص وثيقة توريث المهن الإخناتونية على أن يتعلم صاحب أى مهنة من المهن المعروفة بجانب الدروس الدينية أو تعاليم السماء.

وتستمر علاقة الثقافة بتوريث المهن لتحدد برامج نشر العلم لكل مهنة وفئة من فئات الشعب، يتعلم ابن الطبيب القراءة والكتابة والحساب وعلوم الطبيعة وأسرار الطب والعلاج ويتخصص فى نواحى تخصصه ويحافظ على أسرار مهنته المقدسة التى يتلقاها على يد كهنة المعبد. وكذلك اهتمت الرسائل الإخناتونية بتعليم المرأة ووصفتها بأنها «مديرة مدرسة البيت»؛ لأنه فُرض عليها أن تجعل بيتها مدرسة لتُعلّم الأطفال منذ ولادتهم الوعى الاجتماعى السليم[1].

كما اشترطت ثقافة المرأة أن تتعلم أحد الفنون الترفيهية المقدسة مثل الموسيقى والرقص والغناء، ولم تُحرم المرأة من ممارسة بعض المهن بالوراثة كالطب والهندسة والحِرف المنزلية، وقد سجل التاريخ أسماء كثير من النساء ممن تولين أعلى المناصب فى الدولة خلال الدولتين القديمة والحديثة.

وقد حدد إخناتون زمنًا معينًا لتنفيذ مشروع «نشر العلم» طوال العام بدءًا بدورة سفينة عرش الإله دورة كاملة فى قبة السماء، دورة لا تغفل فيها عين الإله عن رؤية

---

(١) المرجع السابق، ص٨١، ٨٢.
انظر: چيمس برستيد: فجر الضمير، ص٣٢١.

البشر ومراقبة أعمالهم. تبدأ الدورة بظهور النجم سبرت (الشعرى اليمانية) الذى يظهر مرة واحدة فى أفق مصر مع شروق الشمس فيعلن بداية العام. وهو النجم الذى اتخذه الفراعنة أساسًا للتقويم الشمسى والمعمول به فى العالم إلى اليوم. أى أن إخناتون قد حدد موعدًا لبرنامج نشر العلم يستمر طوال العام لكن المشروع كله يكتمل خلال ثلاث سنوات.

ولمّا كان الإله قد حمّل إخناتون مسئولية التقصير فى نشر العلم بين الناس فقد أرفق إخناتون بوثيقة نشر العلم عقوبات مختلفة لمن يهمل فى تنفيذ الوثيقة، كذلك سجّل تاريخ الحضارة لإخناتون بأنه تمكّن من نشر العلم بقوة العقيدة وربط العلم بالإيمان فى مصر خلال فترة زمنية قصيرة لا تغفل فيها عين الإله عن مراقبة البشر.

يقول المؤرخ سيرام فى كتابه (ذاكرة التاريخ) إن الملك الفيلسوف إخناتون تمكّن من نشر العلم فى عاصمة مصر خلال ثلاث سنوات، تركزت السنة الأولى على تعليم الكتابة والقراءة وحفظ وصايا السماء التسع وطقوس العبادة، ثم عامان لإتمام نشر العلم أو الجهل بالوجود والانتماء للمهن بالعلم والإيمان تبعًا للبرامج والتعاليم والوصايا التى حددتها الوثيقة[1].

القيَم الأخلاقية عند قدماء المصريين:

أى مجتمع إنسانى يعمل على وجود الروابط الاجتماعية التى تفرض على الإنسان ألا يقتل أو يسرق أو يقترف أى عمل من هذا القبيل، ولقد كان الظلم فى كل العصور فى مصر مرذولًا فى نظر الآلهة، ونجد فى متون الأهرام أن الملاّح السماوى لا يسمح بالعبور لغير الصالحين العادلين، ويُعد إله الشمس بصفة خاصة ممثلًا للعدالة، وكان الصدق أو العدالة كلمة واحدة، تعنى أحد المعنيين تُمثل كأنما هى ابنة له. أليس هو القائل بنفسه للإنسان: «قل الصدق وافعل ما يقتضيه فهو العظيم القوي».. هذه الحقيقة وهذا القانون يتضمنان المثل الأعلى لدى المصريين القدماء، وهذا هو ما يكوّن

---

(١) المرجع السابق، ص٨٣.

دولة متحضرة، ومهما نوغل فى القِدم فإننا ندرك أن المصريين عاشوا كشعب كان النظام يسيطر على علاقاته الاجتماعية.

ونجد أن الأدب المصرى القديم زاخر بالوصايا والتعاليم الأخلاقية التى تحث على التحلى بالفضائل والبُعد عن الرذائل، ويتضح ذلك من خلال تعاليم الحكيم بتاح حتب والحكيم آنى وسوف نتحدث عنهما بشيء من التفصيل فى الصفحات القادمة.

فهناك المفاهيم الأخلاقية كالصدق والعدالة والحقيقة والخير الأقصى الذى عبّرت عنه نظم الأسرار المصرية القديمة بأنه غرض الفضيلة، وأنه خلاص النفس، إذ يحرر النفس من أغلال البدن العشرة، وعملية التحرير هذه هى عملية تطهير تشمل تطهير العقل والبدن معًا[١].

فكم من فضائل هى مجرد أفكار نظرية تجريدية أو مشاعر أخلاقية، بل هى خصال إيجابية تنم عن بسالة وقوة الروح، فالاعتدال يعنى التحكم الكامل فى الطبيعة الانفعالية، والثبات أو الجَلَد يعنى التحلى بهذه الشجاعة على نحو لا يجعل المحنة تجرفنا بعيدًا عن هدفنا، والحكمة تعنى بصيرة عميقة تلائم مَلَكة التنبؤ، والعدالة تعنى استقامة الفكر والعمل دون زيغ أو انحراف[٢].

وقد قام إخناتون بعرض وتأكيد كثير من الفضائل من خلال مذهبه الفلسفى الجديد المتمثل فى أنشودته الآتونية الشهيرة والتى صاغ فى كل حرف من حروفها المبادئ الأخلاقية السامية التى أَمُلَ أن تعتنقها البشرية جمعاء وليسود الحب والسلام بين أبناء الإله آتون، وكان مبدأ المساواة فى الحقوق والواجبات مكفولًا لكل البشر رغم اختلاف ألسنتهم وألوانهم، فإذا أعطى الإله أحدًا نيله، فإنه يعطى الآخر على سبيل التعويض مطرًا من لدنه[٣].

وكان من دعاء إخناتون (بردية تل العمارة بمتحف برلين) ما يدل على مبدأ المساواة فيقول: «انظر إلى يد الإله وهى لا تحمل إلا النعم والعطايا بالخيرات. تُوزِّع نعمه على

---

(١) چورچ چى. إم. چيمس: التراث المسروق، ص٩٤.
(٢) المرجع السابق، ص٤٣.
(٣) أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ص١٣٠.

الجميع، فالجميع أمامه سواء لا فرق بين الحشرة التى تدب فى الأرض، أو الدودة التى تعيش تحت الأرض أو الطائر الذى يعيش فى الغاب، أو الإنسان. كلهم أمامه سواء لأنه لو أراد أن يجعل الحشرة إنسانًا لجعلها، أو الإنسان حيوانًا لجعله، أو السمكة طائرًا لجعلها، فله فى خلق كل كائن حكمة، فيداه تمتدان إليهم جميعًا وتُؤمِّنان حياتهم جميعًا كلٌ بقدر إيمانه به»[1]. حقًا إن الملك الفيلسوف إخناتون هو واضع أسمى إدراك للفكر البشرى. فقد قال بإله واحد وقانون عالمى واحد يحكم البشر، وإذا دققنا النظر بالنسبة لديانة (آتون) فنجد أن النقطة الوحيدة التى يمكن أن تحول دون وصفنا لديانة آتون بأنها ليست إلا عبادة للطبيعة، هى إدراك قيمة الماعت وتأكيد أهميتها فى تلك الديانة، فقد عاش إخناتون على الماعت كطعـام له وكان آتون قانعًا بتقديم ماعت قربانًا له.

فإذا كانت ماعت هى الاستقامة أو العدل فإنها تحمل فى ثناياها معنًى أخلاقيًا. ولكننا نرى فى المناظرة المصوّرة أو النصوص دعوة إلى الوضوح والصراحة فى العلاقات، وإلى الهواء الطلق دون قيد، وإلى عبادة قرص الشمس. لا يمكننا أن نترجم ماعت إلا بكلمة الصدق ونفهمها بأنها عبادة لقوى الطبيعة، تمييزًا لها من عبادة الآلهة القدماء التى كانت بمنأى عنهم، وكانوا محاطين بجو صناعى غير طبيعي[2].

وكانت الماعت أى الحقيقة أو العدل أو الأصول بمعناها المتعارف عليه، أى القواعد التى يجب أن تُتبع هى الأساس الذى ارتكزت عليه مبادئ إخناتون الأخلاقية. فقد طلبت الماعت من الناس أن تجعلها نُصْب أعينهم، وأن يسموا الأشياء بأسمائها بعيدًا عن النفاق مما كان له أثر كبير فى الفن، فتحرر الفنانون من القواعد القديمة وابتعدوا عن الجمود واتجهوا إلى البساطة والتلقائية[3].

---

(١) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص٨٣.

(٢) چون ويلسون: الحضارة المصرية، ص٣٦٥.
انظر:
Eliade، M.: A history of Religious, p.107.

(٣) أحمد فخرى: مصر الفرعونية (مرجز تاريخ مصر من أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق.م.)، الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٨٩، ص٣٢٠.

وكان إخناتون أول مَنْ سجل من فلسفة فى العالم، وازدهرت أفكاره ازدهارًا كبيرًا مما أنتج لنا أعظم ما خلّفه لنا فيلسوف عظيم من الفن والأدب، الذى يُعد النواة الأولى لنشأة الفلسفة بعد ذلك، والذى نهل منه سائر الفلاسفة.

وبالرغم من وضوح الأدب وظهوره فى مصر القديمة منذ الأزل؛ فإننا نجد الكثيرين يجهلون أمره ويعتقدون أن أقدم أدب فى العالم هو الأدب الإغريقى. وعنه أخذت أمم العالم آدابها. وقبله كان تاريخ الأدب صفحة بيضاء، ولكننا نقول ونرد عليهم بأن لمصر أدبًا قوميًا قديمًا وأنه أقدم من الأدب الإغريقى. وإذا كانت كتابات هوميروس هى أول وأرقى ما عُرف عن أدب الإغريق، ولا يعلم شيء عن الأدب الإغريقى قبل ذلك، فإن الأدب المصرى معلوم تاريخه من يوم أن نشأ وحبا إلى أن نما ووصل إلى نهايته.

ولم يقتصر الأدب المصرى على النقوش الدينية وتدوين الحقائق والمقالات العلمية ولكنه يتعدى ذلك إلى مؤلفات لها قيمتها الأدبية، تُثبت أن المصرى القديم كان يقدّر الأدب ويتذوق حلاوته ويسحر ببيانه فى وقت كان الإغريق وغيرهم من أمم العالم القديم يهيمون على وجوههم ويتخبطون فى ظلام الجهـل. فقد وضع المصرى القديم المؤلفات الأدبية منذ أَلْفَيْ سنة قبل الميلاد، لا يريد بها شهرة سياسية أو أدبية أو دينية وإنما يريد الأدب لذاته، يريد غذاء الروح وإشباع النفس الصافية بسموِّ التعبير وعلوّ المعنى[(١)].

نماذج من الأدب المصرى القديم:

من الأدب المصرى نذكر الأدب القصصى الذى برعت فيه مصر فى كل أطوار التاريخ المصرى وخاصة قصة مخاصمة حورس وست التى عُثر عليها حديثًا وأبطالها جميعًا من الآلهة، وقد كان المظنون أن الإغريق وحدهم هم الذين انفردوا بإشراك الآلهة فى تمثيلياتهم حتى ظهرت هذه القصة وغيّرت هذا الـرأي[(٢)].

---

(١) د. سليم حسن: الأدب المصرى القديم (أدب الفراعنة)، الجزء الأول، ص١١، ١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٢، ١٣.

وكان تأثير مصر واضحًا على الكتّاب الإغريق بالنسبة لكتابة القصة اليونانية، فكان الكاتب يلجأ إلى اختلاق الأسباب لدمجها فى القصة اليونانية من خلال مهد الحضارات القديمة مصر، ويبدأ الكاتب وصفًا تفصيليًا لما فى مصر من عجائب تثير شغف القارئ وتُلهب خياله وتُشبع رغبته فى معرفة ما يدور خارج بلاده وخاصة أن مصر كانت تحتل مكانة عظيمة لدى سكان العالم القديم، فما من شاعر أو كاتب أو طبيب أو فيلسوف مشهور فى بلاد اليونان إلا وزار مصر وتتلمذ على أيدى كهنتها أو على أقل تقدير كان يتمنى زيارتها[١].

وقد حاول بعض الدارسين إثبات أن الرواية اليونانية تستمد أصولها من الرواية المصرية القديمة. حيث أنها تشتركان معًا فى إدخال الشخصيات والأحداث التاريخية. ففى القصص المصرى ملوك مثل خوفو وسنفرو وغيرهم أبطالًا للقصة المصرية. وكذلك حاول البعض الآخر البحث عن النواة التى نشأت منها الرواية اليونانية، فمنهم من قال إن الرواية اليونانية ما هى إلا محاكاة للقصة المصرية القديمة[٢].

ونذكر أيضًا نوعًا آخر من الأدب وهو الأدب التعليمى والتأملى وتدل جميع الشواهد على أنه من وحى «مصر»، فالمصريون هم الذين ابتدعوه والدليل على ذلك مؤلفات بتاح حتب فى الحِكَم والأمثال والتى كانت نواة لظهور أمثال سليمان وحِكَمه.

وكان أسلوب الأدب المصرى القديم يتميز بالجمال والعذوبة والسلاسة، فإذا قرأنا قصة الفلاح الفصيح التى كُتبت قبل عام ٢٠٠٠ق.م. وجدنا سلسلة من الأفكار السامية عن العدالة وحقوق الإنسان، صيغت فى أسلوب قوى بليغ، ولذلك كانت مصر أول أمة شُغفت بالثقافة الأدبية وعنها أخذ العالم[٣].

ومن نماذج الأدب المصرى القديم مؤلفات الفيلسوف بتاح حتب التى ظهرت قبل أفلاطون بما يقرب من ألفين وثلاثمائة عام أى قرابة عام ٢٧٠٠ق.م.، وتطل علينا

---

(١) د. محمد محمد حسن وهبة: الرواية اليونانية القديمة، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٨، ص١٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥، ٢٦.

(٣) د. سليم حسن: الأدب المصرى القديم، الجزء الأول، ص١٤.

«مخطوط الحكمة» الذى ألّفه لتكون من نتاج فلسفته، والتى أثرت تأثيرًا كبيرًا على إخناتون وتعاليمه.

وكان بتاح حتب حاكم ممفيس ورئيس وزراء الملك، ولكنه رأى فى نهاية حياته أن يعتزل السياسة ويكرّس كل وقته وجهده لوضع تعاليمه التى تفيد النشء من بعده وبخاصة ابنه، وكان يهدف من وراء ذلك إلى أن يُقلّد الأب الحكيم المحب الذى هو فى السماء باعتباره أبًا على هذه الأرض.

وكان بتاح حتب يؤمن بالعقاب البدنى لأنه يحثّ على الفضيلة، وقال فى ذلك: «إن قانون السماء والأرض هو أن نتعلم عن طريق التألم والمعاناة»، ولكنه يرى أن الطفل يحتاج إلى النصح بجانب العقاب، فعليه أن يتعلم النظرة الفلسفية إلى الحياة منذ الصغر، وقال بتاح حتب فى ذلك: «النظرة الفلسفية هى أحسن ميراث أستطيع أن أتركه لابني».

ويبدأ مخطوطه فى الحِكْمَة بطلب يلتمس فيه إعفاءه من واجباته السياسية: «مليكى ومولاى. لقد اقتربت نهاية الحياة وأخذ الهِرَم يسدل ستائره عليّ، وخور الطفولة يعود إليّ، إن من تُصيبه الشيخوخة تُقعده فى بؤس كل يوم، فقد أظلمت عيناى. وحُرمت أذناى السمع، واضمحلت قواى ولا تجد الراحة سبيلًا إلى قلبى.. ولذا أرجو أن تأذن لخادمك أن يُسلم سلطة الإمارة إلى ولده».

وبعد ذلك يفسر بتاح حتب كيف أن هدفه من مخطوطه هو أن يمكِّن ابنه من أن يصبح رجلًا صالحًا. ويؤكد أنه لم يدّع ابتكارًا جديدًا بالنسبة لمخطوطه، بل لم يفعل شيئًا إلا أن ألبس الحقائق القديمة ثوبًا جديدًا. فقال:

«دعنى أحدّث ولدى بكلمات أولئك الذين أنصتوا إلى حِكْمَة الرجال الذين عاشوا فى قديم الزمن – أولئك الذين استمعوا مرة إلى كلمات الله»[1].

---

(١) د. هنرى توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ص٥، ٦.

وأَتْبَع بتاح حتب هذه المقدمة بمخطوطه عن الحياة الصالحة «لا تَزْهُ بمعرفتك ولا تحسبن نفسك عَالِمًا. تحدّث إلى الجاهل كما تتحدث إلى العَالِمْ على السواء. فعليكم أن تتعلموا الكثير بعضكم من بعض فالمعرفة لا حدود لها، كمَا أنه ليس فى الوجود أى فيلسوف يملك الحكمة الكاملة، والحديث المتسامح الليِّن كذلك الذى يدور بين مَنْ تساووا فى المرتبة، أندر من أحجار الزمرد».

وختم بتاح حتب نصائحه لابنه بعبارة تُحبّب إلى نفسه العدالة إذ يقول فى منتهاها: «تأمل ! إن الولد النجيب الذى يهبه الإله يقوم بأداء أكثر مما يأمره به والده، فهو يُقيم الحق وقلبه يسير على صراطه. وبقدر ما تصل إلى ما وصل إليه الناس، سيكون جسمك سليمًا وسيكون المَلك مرتاحًا لك فى كل ما يجرى. وكذلك ستصل إلى السن التى وصلتُ إليها، والسنين التى عشتها على الأرض وليست بالقليلة، فقد بلغت العاشرة بعد المائة وحبانى الملك بمكافأة تفوق كل مكافآت الأجداد لأنى أقمت العدل للملك حتى ضمنى القبر».

ومما سبق يتضح أن حِكَم بتاح حتب كانت ذات مكانة راجحة فى الجهات العليا من وادى النيل، وبخاصة إذا علمنا أن أحد ألقاب الملك أوسركاف الذى عاش فى عهد هذا الوزير «مقيم العدل» وقد أفاض الوزير فى العدل وفضائله[1].

وكان بتاح حتب كغالبية حكام مصر يؤمن بإله واحد، وليس صحيحًا من الوجهة التاريخية أن العبرانيين قد ابتدعوا فكرة التوحيد. بل هم قد استعاروا هذه الفكرة من المصريين ومن بعض الشعوب الشرقية الأخرى. والإيمان بإله واحد قد نشأ فى أماكن كثيرة نتيجة لعلاقة الأب والابن فى تطور الأسرة المبكرة وكان للفلاسفة السبق فى تعرّف وحدة الأسرة الإنسانية تحت ألوهية واحدة، وكان هذا الإله الذى آمن به بتاح حتب والفلاسفة الأوائل الآخرون فى مصر هو أوزيريس.

وكان بتاح حتب والفلاسفة المصريون الأوائل الآخرون هم أول من سجّل إيمان الإنسان بالبعث، وهذا الإيمان هو الذى حفز المصريين على الاحتفاظ بجثث موتاهم.

(١) د. سليم حسن: الأدب المصرى القديم، الجزء الأول، ص١٩٥، ١٩٦.

وفى مصر القديمة كانت الفلسفة مرتبطة بالدين ارتباطًا وثيقًا، فمن أكثر الرموز المرسومة على جدران المقابر إثارة، صورة الميت وهو ينهض على قدميه وذراعاه ممدودتان على هيئة صليب، وكان لفكرة الصليب هذه التى وُلدت فى مصر منذ ثلاثة آلاف سنة قبل العصر المسيحى. من دِلالة الارتفاع والسمو أكثر مما تتضمن من حزن وبؤس.

وكانت تُمثل الجنس البشرى وهو يصعد إلى أعلى نحو الحياة وليس إلى أسفل نحو الموت[1].

ولا شك أن الإنتاج الأدبى للدولة الحديثة كثير التعدد، خاصة ونحن نشير إلى الرؤية المتعمقة لأدب الحِكْمَة المتمثل فى وصايا الحكيم آنى والذى يوصى المرء بأن تعزف نفسه عن الأجنبيات ويهتم برعاية الأم التى قامت بتربيته.

«تحاشَ المرأة الأجنبية غير المعروفة فى مدينتها ولا تنظر إليها عندما تمر مجرد نظرة ولا تباشرها فى جسدها، لأنها مياه شديدة الغور، لا يعرف المرء أبعـادها»[2].

ويؤسس آنى تطلع المرء إلى أن يكون رحومًا وأن يمد يد المساعدة للآخرين، على ملاحظة الفيض الكونى للأشياء، وما تدخله عجلة القدر من تغيرات شاملة، وهو أمر نادر فى مصر. ولوصف تيار هذا العالم المتغير نذكر كلمات الفيلسوف هيرقليطس (٥٤٠-٤٨٠ق.م.) «لا تأكل خبزًا بينما يقف غيرك هناك، دون أن يمد يده هو الآخر إلى هذا الخبز لنفسه، وسوف يعرف الجميع ذلك وإلى أبد الآبدين، وإن لم يعد الرجل موجودًا. هناك رجل ثرى وآخر فقير. ومَنْ كان ثريًا فى العام الماضى قد يصبح شريدًا هذا العام.. متى تدفق تيار ماء العام المنصرم، فإن تيارًا آخر سيكون هناك فى العام الحالى. إن بحارًا شاسعة تتحول إلى مسطحات قاحلة فى حين أن شطآن الأمس تتحول إلى أغوار عميقة»[3].

---

(١) هنرى توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ٧، ٨.

(٢) كـلير لولانـيت: نصـوص مقدسـة ونصـوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتى. راجعه: د. طاهر عبد الحكيم، الجزء الأول عن الفراعنة والبشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٦، ص٣٤٦.

(٣) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٥٧٥.

كما نذكر بعض الملاحظات حول فكرة الموت من خلال فقرة أخرى والتى تستند إلى فلسفة حقيقية.

«عندما سيحضر إليك رسولك لاصطحابك، سيجدك متأهبًا للرحيل إلى مكان رقدتك الأخيرة، فإذا قلت له آنذاك: «يمكنك الحضور» فسوف يبتعد عنك، ولكن لا تقل له: «إننى ما زلت أصغر من أن تصطحبنى فأنت لا تعرف زمن وفاتك، فإذا حضرت المنيّة فقد تخطف الطفل الرضيع من بين ذراعَىْ أمه، مثلما تفعل مع من بلغ من العمر عتيًا»[١].

وعلى امتداد القرون التى سبقت وأعقبت بداية التقويم الميلادى ظهر إنتاج أدبى على قدر كبير من الأهمية والثراء وازدهر هذا الأدب وسط امتزاج الأفكار الدينية، فقد كشفت لنا بردية من القرن الثانى الميلادى عبر مُؤَلَف يُطلق عليه اصطلاحًا «الأسطورة المصرية لعين شمس» وهذا المُؤَلَف ضمن عدة مؤلفات والتى يمكن أن ننعتها بالمؤلفات الفلسفية. وربما يعود تأليف هذا المُؤَلَّف إلى عدة قرون سابقة على تاريخ النسخة التى سوف نلقى الضوء عليها، ويدور موضوع هذا المُؤَلَّف حول عودة ابنة رع التى ظلت بعيدة عن مصر والتى عادت إليها بإيعاز من تحوت[٢] وكانت الحكاية الرمزية هى الشكل الذى اختاره المؤلف عند عرضه للأسطورة. وفى تناسق مع حيواناتها المقدسة تصبح حتحور- تفنوت قطة، ولكنها قد تتحول إلى لبؤة ويصبح تحوت قردًا..

ولإعادة القطة، يحاول القرد جاهدًا إقناعها عن طريق الحكايات الرمزية والمقارنات التى تؤدى إلى طرح بعض الأفكار الفلسفية. فتظهر ثلاثة مواضيع رئيسة، يدور الموضوع الأول حول حب الوطن الذى يثير حنين القطة لوطنها والعودة إليه، ثم تنتقل إلى مساواة أصحاب السلطان بالضعفاء. فظروف الحياة فى تغير مستمر فيمكن أن يُعين

(١) المرجع السابق، ص٥٧٦.

(٢) هو إله القمر فى شكل طائر أبى قردان وعُبد فى مدينة هرموبوليس واعتبره علماء اللاهوت فى منف لسان (بتاح) أو أداة للتعبير الشفهى التى أعطى بها ذلك الإله الوجود للكون. وأدمجه الإغريق فى (هرمس) وأطلقوا عليه اسم (مثلث العظمة)، إنه يشير إلى أسمى مراتب الحكمة وسط مزيج من الأفكار المصرية اليونانية يُطلق عليها «فلسفة الأسرار الهرمية».
فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٧٢٤.

الضعيف صاحب السلطان. والموضوع الثالث حول مبدأ الثواب والعقاب، وبعد فترة تحولت القطة إلى لبؤة وأخذت تتأهب لإساءة معاملة القرد. وشرع القرد يشرح لها المغزى الأخلاقى للحكاية التى ألقاها لتوّه على مسامعها. فالحيوان الخرافى الذى انتصر على الأسد ليس سوى أداة إله الشمس، الديّان الذى يدين العالم بأسره:

«إنه الديّان الذى لا يدينه ديّان، ولكنه يرى ويدين كل شىء» فهى أيضًا كإلهة مشاركة فى جماعة توزيع الثواب والعقاب. عليها أن تحترم التدبير الأخلاقى للكون كما أقرّه والدها الإله رع وسوف تقنعها هذه الحجة، أن تُبقى أولًا على حياة القرد. ثم تعود أدراجها إلى مصر. وأقيمت لها الاحتفالات فى جميع المدن التى تُعبد فيها إلهة ما، فهذه الإلهات ليست سوى أشكالها المختلفة.

ونجد أن أسلوب هذه الحكاية الرمزية على قدر كبير من السلاسة، والمغزى الفلسفى للعديد من الفقرات قد جعل أسطورة عين شمس تتمتع بأهمية كبيرة[1].

المحاورات وظهورها الأول فى مصر القديمة:

لقد تعددت أنواع الأدب المصرى القديم مما أنتج لنا أدب الحوار الذى نشأ فى المعابد المصرية ودُور المعارف المختلفة وخاصة بين الكاهن المعلم وبين طالب العلم، فسأل طالب العلم الكاهن: لماذا خلق الإله الأرض على شكل البيضة؟ يجيب الكاهن: خلق الإله الحياة من الجماد.. فأخرج الفرخ من البيضة وخلق الأرض على شكل البيضة ونفخ فيها من أنفاسه فدبت فيها الحياة وخلق الكائنات جميعها من البويضات فأكبر الكائنات وأعظمها تخرج من أصغر البويضات. ويسأل آخر: أين هو الله ؟ لماذا لا نراه وكيف نراه أو نسمع صوته ؟ يجيب الكاهن: أغمض عينيك وافتح عقلك تَرَ الله. فهو الموجود فى كل ما هو موجود. موجود فى كل ما فى الكون من حياة أو جماد، إن الزهرة الجميلة التى تخرج من الأرض القاحلة تقول لك أنا الله، والفرخ الحى الذى يخرج من البيضة يقول لك أنا الله. إذا أردت أن تسمع صوت الله فأغلق أذنيك وافتح قلبك تسمع صوت الإله

---

(١) المرجع السابق، ص٥٨١-٥٨٢.

فى صوت الوجود، فى همس النسيم وصوت الرعد فى تغريد الطيور وصوت الموسيقى لغة السماء. فصوت الإله هو الذى أنطق الكائنات والحياة فوهبها النطق والحركة.

ويسأل آخر: لماذا يطلب منا الإله فى كتاب النور أن نطلب العلم والمعرفة من يوم دخولنا الحياة إلى يوم خروجنا منها ؟ فلماذا نتعب أنفسنا عندما نكبر فى السن فى مداومة الحصول على العلم والمعرفة التى لا نستفيد منها عندما نفقد بالموت كل ما جمعناه من علم ومعرفة ؟.

يجيب الكاهن: علوم المعرفة مفاتيح الجنة. إن الحياة الأولى التى نحياها هى حياة التجربة والتمهيد لاستمرارها فى عالم الخلود، فما نتحصل عليه من علوم ومعارف لا تضيع وتنتهى بالموت، فالموت استمرار للحياة وليس نهاية لها فالموت طريق البعث، واستمرار الحياة وانتقالها من عالم التجربة إلى عالم الخلود. بالموت نفقد كل ما هو مادى وبالبعث نحتفظ بكل ما هو روحى أو غذاء الروح الذى نحصل عليه من علوم ومعرفة مقدسة فى عالم التجربة والحياة الأولى؛ لنحملها معنا لننتفع بها وبثمارها والتى تحدد مكاننا ومكانتنا فى عالم الخلود.

فعلينا يا ولدى أن نكافح ونداوم على طلب العلم والمعرفة لآخر يوم فى حياتنا، حياة التجربة التى نعيشها اليوم، فهى الثروة الوحيدة التى ستحتفظ بها أرواحنا ولن ينقص الموت منها شيئًا[1].

ولم يقتصر أدب الحوار فقط بين الكهنة وطلاب العلم، بل كان يدور أيضًا بين «الأنا والقلب» كالحوار الذى يدور بين الـ أنا والـ با فى أناشيد اليائس والذى يدور حول فكرة التشاؤم والموت.

«ولكن يا «بائي» إنه من غير المعقول الإبقاء على ذلك الذى سئم الحياة، قُدْنى إذن إلى الموت، قبل أن يحل أجله المضروب، فلتجعل الغرب لطيفًا من أجلى. هل هذا من سوء الطالع؟ إن الحياة دورة، وهكذا تسقط الأشجار».

---

(١) د. سيد كريم: الحِكَم والأمثال فى الأدب الفرعونى. ص١٠٥-١٠٦.

ولكن الـ «با» على عكس ذلك ينصح الـ «أنا» بأن يقنع بالحياة الراهنة. فالآخرة تشغل بالنا بلا طائل. عندئذ يجيب عليه الـ «أنا»: «من المستحيل أن يموت المرء، دون أن يأخذ فى الحسبان الشعائر الجنائزية، فبدونها يصبح الـ «با» ذاته بائسًا. وفى هذه المرة يصله من الـ «با» رد لاذع. فيدين إدانة مطلقة فكرة أى حياة بعد الوفاة. ويلجأ مثل أفلاطون إلى الصور والحكايات الأخلاقية لتوضيح أفكاره. والنتيجة التى ينتهى إليها واضحة كل الوضوح: فعلى المرء أن يُسلّم بالحقائق الواقعة فحسب، وأن يقف موقفًا يتفق مع هذا الواقع».

ويكف الـ أنـا عن الإجابة ويكتفى بتـلاوة أربعـة أناشيد هى أجمل ما أبدعه الأدب المصرى القديم، وفى رده الختامى يرفض الـ بـا أن يرتبط بأى شيء : «اهجر المراثى. أنت يا من تنتسب إلىّ يا أخى ! سواء قدمت قربانك على النار أو اختلطت بالحياة - حسبما تقول - فسوف تحيا هنا، بعد أن تكون قد نبذت (فكرة) الغرب. ولكن عندما تصل إلى الغرب، فى الأجل المضروب، عندما ينضم جسدك إلى الأرض، عندئذ سوف أطير، بعد أن يكون التعب قد أعياك وسوف نقيم معًا».

إن مغزى هذا النص هو اختلاف فى الموقف الفلسفى. على هيئة حوار بين مفهومين حول الآخرة، أحدهما سلبى والآخر إيجابى. إنه تمزق داخلى يصوغه الكاتب على شكل تعارض بين عنصرى شخصية الإنسان. فليس الأمر إذن صراعًا بين الـ أنا وأصدقائه، ولكنه مواجهة مكتئبة فى أعماق النفس[1].

مما سبق يتضح لنا مدى رُقى الفكر المصرى القديم مما أنتج لنا هذه النماذج الرائعة من أنواع الأدب المختلفة والتى أرست القواعد والقيم الأخلاقية للمصريين القدماء فى كل العصور، والتى أثرت تأثيرًا بالغًا فى تشكيل النواة الأولى لأفكار إخناتون متمثلة فى أناشيد آتون الشهيرة الخالدة.

---

(١) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٥٥٧، ٥٥٨.
انظر: أندريه إيبار - جانين أوبوايه: موسوعة تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)، ترجمة: فريدم دانمر - فؤاد ح. أبو ريحان، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، منشورات عويدان، بيروت - باريس، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٩٩.

علاقة الفلسفة بالفن المصرى القديم:

لقد بلغ الفن المصرى أوج ازدهاره فى الأسرتين الرابعة والخامسة ونهاية الأسرة الحادية عشرة والأسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة.

إن منجزات الفن المصرى قائمة على نفس القوانين التى حكمت الفن لدى كل الشعوب الأخرى التى وُجدت قبل فترة الفن الكلاسيكى الإغريقى أو التى استمرت غير متأثرة بالإغريق، فعندما كان الفنان المصرى يشرع فى تصوير ظاهرة من العالم الطبيعى على سطح مستوٍ، كأن يريد مثلًا تصوير بحيرة بها أسماك وطيور مائية وتحف بها النباتات لم يكن يأخذ الصورة الكلية للبحيرة التى أمام عينيه كنموذج لرسمه، بل كان يعبّر فقط عن الجوانب البارزة التى ترسبت فى ذاكرته، ومن الطبيعى أن ترتكز فكرته عن المنظر على المسقط الأمامى حيث إن صورة أى شيء تكون أكثر وضوحًا وتميزًا فى هذا الوضع، ولذلك تظهر سطوح الشيء سواء جزئيًا أو كليًا أمام عينَى الرسام كما لو كان يراها من زاوية قائمة لا زاوية منحرفة، ولذا فإنه يرسم سطح البحيرة والأزهار متبرعمة فى قاعها بينما الأسماك والبط والأشجار على ضفتها تبدو فى منظور جانبي[1].

وعلينا إذن أن نأخذ بعين الاعتبار أن كثيرًا من الأشياء أو اللوحات التى تبدو أنها منتجات فنية صِرْف، تحتفظ بدلالة رمزية، والأمر واضح كل الوضوح بالنسبة لمناظر الصيد والمشاهد الريفية، وفى وسعنا أن نستطرد بعيدًا فى هذا الاتجاه. وذلك لأن حياة المصرى القديم تبدو وكأنها مغلّفة بصياغات ذهنية شديدة الدقة، فتربط أتفه أفعاله وأصغرها بالنظام العام للكون. ففى وسع الفن أن يعبِّر عن شبكة هذه الخيوط المتعددة المتداخلة وأن يترجم الصياغة الذهنية إلى علامات مــادية.

ومن ثَمَّ فقد أثّر الفكر والدين على الفن تأثيرًا ملحوظًا، ورسما له طريقه، فالفن الدينى والجنائزى ليس فى مجمله سوى انتقال الحياة الراهنة إلى مجال الأبدية، وهذا ما يفسر أولًا سبب استخدام الحجر والمعادن فى العمارة، فى بلد لا تحتاج فيه أعمال التشــييد

---

(١) ج. شبندروف: عندما حكمت مصر الشرق، ترجمة: محمد العزب موسى، راجعه: د. محمود ماهر طه، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠، ص١٨٨.

إلى أكثر من الطوب اللَّبن والخشب. ونقول إنه لا يوجد قصر واحد قد شُيِّد قديمًا من الحجر. أما إذا أراد الإنسان أن يُعبّر عن أبدية الآلهة أو أن يُصبغ هشاشة الإنسان بصبغة الأبدية، فإن هذه المواد تصبح عاجزة عن مقاومة الأيام، فالفن المصرى هو قبل كل شيء تعبير عن هاجس الأبدية، وسوف يسعى فى بداية الأمر إلى إيجاد مادة لا تفنى. إن أيمحوتب مهندس الملك جسر هو مخترع العمارة المبنية من الحجر، لأن الطوب كان يتأثر برياح الصحراء الرملية.

كذلك نجد أن فن النحت قد احتل مكانة كبيرة فى الفن المصرى. فالنحّات المصرى لم يقنع بالثبات، بل أبعد التماثيل المكعبة التى لا يبرز منها سوى الرأس. أما عن قواعد فن الرسم المصرى فهى قائمة على الرغبة فى تصور الكائن فى أبهى صورة، فقد أجاد الفنان فى التعبير عن الحركة، وكان يرفض الوهم. ومن المؤكد أن أفلاطون كان يشير إلى الفنان المصرى وقواعده عندما وجّه النقد لفن عصره القائم على المظهر الخارجى.

إنه عملية خلق، بكل معنى الكلمة، فينبغى أن «يأتى تمثال إلى الدنيا» حتى يصبح حقًا الركيزة المادية التى يلتقى فيها «الكا» و«البا». إن الأسرار التى يتباهى الفنانون بأنهم على علم بها، ليست أسرارًا تقنية فحسب بل دينية أيضًا. إنهم على دراية بالخطوات التى ينبغى اتباعها فى بيت الذهب لتحويل الحجر المنحوت إلى صورة حية. ومن ثَمَّ يمكن دفن هذه التماثيل، فقد عُثر على تمثال منتوحتب الثانى فى مكان يُسمى باب الحصان بالدير البحرى. مسجّى فى كفن من الكتّان. وهكذا فإن فنانًا من الدولة الوسطى قد دوّن النص التالى على لوحة حجرية يحتفظ بها متحف اللوڤر:

«إنى أعرف سر الكلمات الإلهية وقواعد الحركات الطقسية. لقد ألممت بكل سحر دون أن يغيب عنى شيء، فإننى فنان ضليع فى فنه، وإنسان متميز برجاحة علمه»[1].

ويروى أحد رفاقه على سطح لوحة بمتحف «ليدن» كيف أنه أُلحق ببيت الذهب لتصميم التماثيل الإلهية:

«لم يكن خافيًا عليَّ، أى شيء يتعلق بها، فأنا «كاهن – الأسرار». لقد شاهدت «رع» فى مختلف أشكاله».

---

(١) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٦٠٢، ٦٠٣.

واضطر الملك نفر حوتب أن يتوجه إلى هليوبوليس ليتزود بالمستندات الخاصة بالهيئة التى يتخذها الإله:

«حتى يعيد تشكيله على النحو الذى كان عليه فى قديم الزمان، عندما حددت الآلهة، بعد أن تداولت فى الأمر، المظهر الذى يتعين أن تظهر عليه وسط العمائر التى تُقام من أجلها على سطح الأرض».

ونلاحظ فى هذا الصدد أن أفلاطون كان على علم تام عندما أكد فى كتابه (القوانين) قِدم التقاليد الفنية فى مصر[1].

كذلك لم يكن فن التصوير أقل تطورًا من الفنون التشكيلية الأخرى، فالنقوش والتماثيل والعناصر المعمارية الأخرى ذاتها كانت ملوّنة، سواء كانت على سطوح المقابر أو سقف الحجر الجيرى أو على البردى.

ولا ينبغى على كل حال أن نظن أن هذا الفن القائم على المحاكاة، كان فى نظر قدماء المصريين نشاطًا ذهنيًا بسيطًا أو مجرد ملاحظة للطبيعة. ولكن ما إن يصبح الغرض من هذا النشاط الفنى دينيًا أو جنائزيًا حتى تكتسب الألوان دلالة واضحة. فاللون الأخضر وهو زينة نمو النبات يصبح رمزًا لازدهار الحياة ومن ثَمَّ فيكون اللون الأخضر هو لون (أوزيريس وآمون) ومين؛ لأنها آلهة الإنبات والخصوبة والأصفر هو بديل الذهب؛ إنه مادة أبدية لا يعتريها التلف. إنه لحم الشمس الحية إلى الأبد وباعثة الحياة ومحرّكها[2].

وبظهور فن العمارة يختل التوازن، فقد تغيرت المعايير الفنية كل التغيير عندما ظهرت التماثيل الضخمة التى أقامها إخناتون فى فناء معبد آتون بطيبة.

ومن أعجب الثمرات التى أنتجها لنا فن العمارنة الرءوس التى تُمثل الصور الآدمية والتى تصور الحقيقة بدرجة فائقة الحد، مثل رأس نفرتيتى والأميرات الصغيرات وإخناتون والملكة تى والكاهن آي[3].

---

(١) المرجع السابق، ص٦٠٤.

(٢) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٦٦٤.

(٣) د. سيد كريم: إخناتون، ص٢٧.

لم يكن إخناتون فيلسوفًا متعبدًا فقط كما وصفه المؤرخون، بل كان أديبًا وحكيمًا وفنانًا وموسيقيًا وشاعرًا ومحبًا للنحت والتصوير وكافة الفنون.

وكان من ألقاب إخناتون الشهيرة من خلال أناشيد آتون (عنخ إن ماعت) أى (العائش فى الحقيقة) وهى مبدؤه فى الحياة العيش بدون تكلف، مما دعا الفنان المصرى أن يعبّر عن كل ما هو موجود بالطبيعة من حرية الحياة المطلقة المرسلة على سجيتها.

فبرع الفنان المصرى فى عهد إخناتون فى تصوير كل ما فى الطبيعة من شيء. وجاء تصويرهم متقنًا حتى بات يُخيّل لرجال الفنون من المحدثين أن زمان إخناتون فقط كان له مذهب خاص فى تصوير مناظر الطبيعة كما كان له فى تصوير الناس مثل ذلك؛ فانطلقت العقول من أوهامها وانفكت القيود عن الأيدى والعواطف وبات الناس يصورون الحياة كما هى بدون حرج؛ لأن مذهبهم الجديد قد وجههم إلى الأخذ بالحقائق المجردة، فالرجل والمرأة يجب أن يصورهما الفنان كما يراهما بالعين المجردة والعقل الحر والعقيدة الصادقة والإيمان الثابت لا تشوبه شائبة[1].

ولقد أعادت حقبة العمارنة اكتشاف الطبيعة من جديد، فشجعت وسائل التعبير جميعًا وبعثت الحياة فى أوصالها. فأضفت العمارة على الفن المصرى طابعًا إنسانيًا، وقد تحطم الكثير من القيود والقوانين الجامدة التى كان لا يمكن تجنبها قبل ذلك فأصبح الفرعون ذلك المخلوق المقدس الذى لا يدنو منه أحد، فجأة كائنًا بشريًا حياته فى متناول العامة، بل أصبح تصويره وهو يضطلع بمهام الدولة أمرًا ميسورًا وانزاح حجاب السرية الذى كان يفصل الدُور الملكية لزوج الفرعون فظهرت زوجة إخناتون (نفرتيتي) بصحبته وكذلك بناته.

وكان الفنانون يرسمون وينحتون أشكالًا تمثّل ما يرونه فى الحياة الواقعية، ومن ثَمّ توافرت لدينا مثل هذه التماثيل الرائعة لنفرتيتى بكل بهائها التام[2].

انظر: ياروسلاف تشرنى: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدرى. سلسلة الثقافة الأثرية، مشروع المائة، الجزء السادس، د.ت، ص٨٦.

(١) د. أحمد بدوى: فى موكب الشمس، ص٧٩٢، ٧٩٣.

انظر: چون ويلسون: الحضارة المصرية، ص٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) إيڤـار ليستار: الماضى الحى. ص٦٩.

ولا شك أن هذه الروح الفنية الجديدة فى عصر إخناتون والتى استمدت إلهامها من جمال الطبيعة وفيضها، كانت كذلك ذات حساسية شديدة لحقيقة الحياة الإنسانية، والعلاقات البشرية دون تأثر بشيء من العُرف والتقاليد، إذ مُثلت بدون تكلّف أو تحفّظ علاقات إخناتون الطبيعية البهجية بأسرته. فقد عُثر على تمثال صغير غير تام الصنع فى مصنع أحد المثّالين الملكيين بتل العمارنة، لم يقتصر فيه صانعه على تمثيل الملك جالسًا وابنته الصغيرة فوق حِجره يضمها كما يضم الأب الملكى أميرة صغيرة. وهذا بالطبع قد أثار غضب رجال البلاط الملكى. حيث كان يجب أن يصوّر الفرعون فى هيئة حضرة سامية جامدة فى صورة مقدسة لا يشوبها أى مظهر من مظاهر المشاعر البشرية أو جهات الضعف الإنسانيـة[1].

ومن ثَمَّ فقد كان إخناتون رسولًا لكل من عالمى الطبيعة والحياة الإنسانية لأنه يمتلك عقلية عبقرية وعقلًا راجحًا، نضج بدرجة لا تناسب زمانه، وكان فيلسوفًا ومفكرًا عميقًا كرّس حياته لدعوة رائعة ستظل أحد معالم الحضارة المصرية القديمة ومفاخرها. وأثَّر تأثيرًا مباشرًا فى الفن المصرى الذى كان حلًا وسطًا بين القوانين الحتمية التى تتحكم فى المادة، وبين المغزى الملتصق بالمواد المستخدمة بل والطرق التى يستخدمها بها.

وهكذا كُسر جمود القواعد الصارمة التى ظلت تحكم الفن المصرى القديم لآلاف السنين السابقة على عهد إخناتون، ووضع مكانها ابتكارات جديدة تعبر عن الاتجاهات الواقعية والرؤية الفنية التى تمجد فكرة «الحياة فى الحقيقة» وهى جوهر الفلسفة الآتونية[2].

لم يكن الجمال أبدًا هدفًا فى حد ذاته، كان أبسط الحرفيين يتوصل إلى الجمال من خلال التعبير عن الفكرة تعبيرًا سليمًا إلى حد ما. فالفن هو قبل كل شيء لغة. وقد تكون هذه اللغة جميلة عندما يمتلك، من يتحدث بها، مزاج فنان. تلك هى عظمة الفن المصرى.

---

(١) جيمس هنرى برستيد: فجر الضمير، ص٣١٨، ٣١٩.

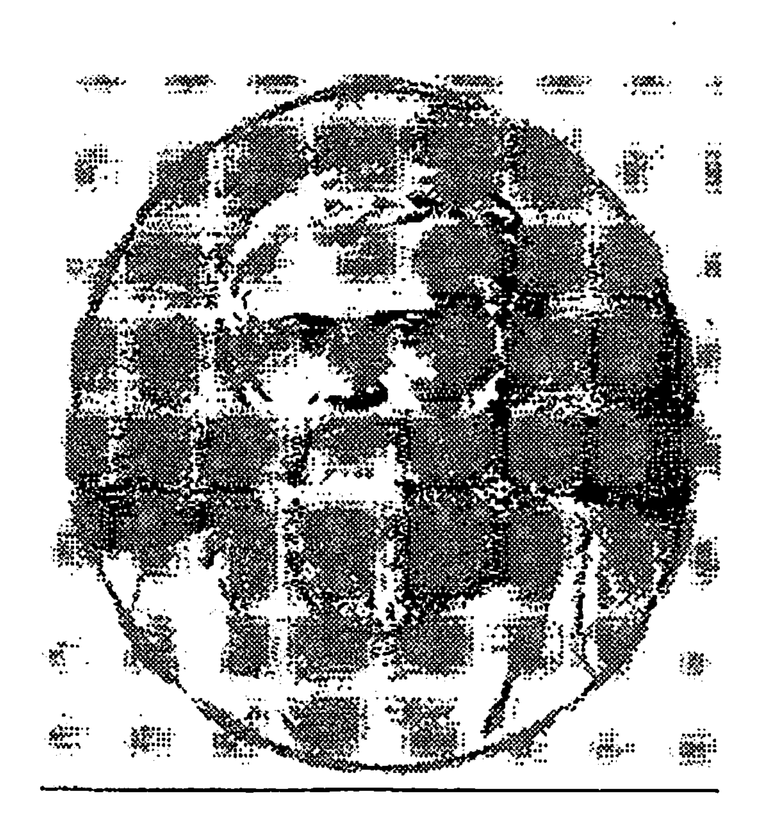
(٢) مختار السويفى: مصر القديمة (دراسات فى التاريخ والآثار)، تقديم: د. محمد جمال الدين مختار، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ص٢١٤.

وسره بلا شك. فالرقة والشاعرية والرشاقة التي يتوصل إليها الفنان بأساليب شديدة البساطة، لا زالت تُحرّك مشاعرنا. وإذا كان المتفق عليـه، أن تقنية بلا روح هي عاجزة عن الإبداع، فإن إرادة التعبير عن الثراء الروحي في استطاعتها أن تصل بأساليب بدائية إلى خلق عالم هو آية في الجمال، لا زلنا نجد متعة كبيرة في النفاذ إليه[1]، مما أدى إلى تأثر كثير من المفكرين والمبدعين والفلاسفة بالفكر والفن المصري القديم أمثال أفلاطون، وهذا ما سوف نوضحه من خلال الصفحات القادمه.

(١) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٦٠٦.

• الفصـل الثانى

أفلاطــون



أريستوكليس (أفلاطون) (٤٧ ـ ٤٢٧ ٣ق.م.)

πλατωνα

نشأته العلمـية:

يقول الدكتور محمد غلاب فى كتابه الفلسفة الإغريقية إن الأستاذ كيفيليه يروى فى صفحة ٢٩١ من الجزء الثانى من كتابة، أن كلمة أفلاطون هى ليست الاسم الحقيقى لأفلاطون وإنما اسمه هو أريستوكليس وهو اسم جده، أما كلمة بلاتون Plato التى نطقها العرب أفلاطون فمعناها العريض، ولمّا كان أريستوكليس عريض الوجه، مبسوط الكتفين ممشوق القوام فقد دعاه معاصروه بأبلاتون[1].

وكان أفلاطون أثينى الأصل ينتمى إلى أسرة عريقة المنبت من أب يُدعى أريسطـون وأُمّ تدعى بريكسيون ويتصل نسبها بالحكيم المشرّع سولون، وحُكى أن أفلاطون فى صباه كان يقطّر العسل على شفتيه فتفوءل له من ذلك بالفصاحة والذكاء المتقدم، وفى صباه اجتهد فى الشعر وعمل أبياتًا محزنة وقصيدتين فى التوجع من صروف الدهر، ثم لما أخذ فى تعلم الفلسفة أحرق هذا الشعر وتخلص منه.

وقـد نشأ أفلاطون فى ظروف صعبة، فقد حصر بعض المؤلفين هذه الظروف فى الحوادث السياسية التى وقعت إبان نشأته، وكان أفلاطون مهيئًا بحكم مولده فى هذه

(١) د. محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٢٠٤.
انظر: على إسلام: فلاسفة اليونان الثلاثة، مطبعة مصر، ١٩٥٨، ص ٣٢.
انظـر: عبد الله حسين المصرى: تاريخ الفلاسفة اليونان، مطبعة بولاق، القاهـرة، عين شمس، د.ت، ص ٢١١.

الظروف لأن يقوم بدور سياسى فى بلاده وأنه كان أيضًا بحكم اتصاله بأقربائه على علم بدخائل السياسة وآفاتها[١].

وعندما ناهز إذ ذاك عشرين سنة سلمه والده إلى سقراط ليعلمه، ورأى سقراط فى الليلة التى حضر إليه صبيحتها كأنه أمسك بطير صغير وضمه لصدره ثم لما ظهر ريشه نشر جناحيه بقوة وصعد الهواء بسرعة وغنى بصوت حسن، فلما أتاه أفلاطون فسّر تلك الرؤيا وأنه ستكون له شهرة عظيمة[٢].

وعلى الرغم من هزائم أثينا المستمرة، بدأت فى الانحسار بسرعة، وبالرغم من وجود السلام غير المقنع، الذى تم بين أثينا والدول المعتدية ليستمر خمسين عامًا، فإنه استمر فقط ثمانى سنوات فى عام ٤٢١ ق.م. واشتعلت الحرب من جديد وهزمت أثينا هزيمة منكرة عام ٤٠٤ ق.م.[٣].

وكان أفلاطون شغوفًا بالعلم والحكمة محبًا للدرس والبحث والتحصيل، وقد تتلمذ على يد سقراط وهو فى الثانية والستين من عمره.

وكانت أيام شباب أفلاطون الأولى بعيدة عن طموحات السياسة، وكان الانتصار الذى حققه الحزب الشعبى قد أغلق الباب أمام خطط وآمال أفلاطون التى كان يطمح لها، وكانت معارضته الدائمة للديمقراطية سببًا فى جعله يختص فى دراسة الآداب وفن التعليم والمحاورات فى فترة تكوينه الأولى والتى تبعد عن السياسة كليةً[٤].

وعندما اتصل أفلاطون بسقراط أعجب بأستاذه منذ اللقاء الأول وامتلأ قلبه حبًا له وإكبارًا وإجلالاً، وأصبح من حواريى سقراط وتلاميذه المقربين، وعندما وصل أفلاطون إلى مرحلة الرجولة كان ذلك ضمن مناخ أحدثته الحملة الصقلية المشئومة

---

(١) انظر: د. نازلى إسماعيل: تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٨٦.
د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية، ١٩٧٤، ص ١٦٢.

(٢) عبد الله حسين المصرى: تاريخ الفلاسفة اليونان، ص ٩٦.

(3) Maxey Chester C.: «Political philosophies», the Macmillan. Co-New York. 1984، p.33-34.

(4) Edwards, P. (Ed): The Encyclopedia of philosophy «plato» Vo1.6 Macmillan publishing Co., New York، 1972, p.33.

عندما كانت الإمبراطورية الأثينية فى طور السقوط، فأعضاء محاكم أثينا الكبرى كانوا قضاة للقانون ولكل شيء، وكانوا متحررين عن أسلافهم وكانوا يميلون مع تيارات التعاطف التى كانت تحرك العامة، وأصبحوا أدوات للابتزاز السياسى والاغتيال القضائى ودليل عدم تكامل الدولة[1]. وهذا ما خلقته إسبرطة من حربها مع أثينا المعروفة بـ «البيلوبونيز»؛ ولذا أراد أفلاطون أن يعلم كل شيء عن الأصول التى يجب أن تقوم عليها السياسة الحكيمة فى المدينة بجانب تعلمه الفلسفة وأصولها، وكان هذا ضمن الرسالة السابعة من رسائل أفلاطون، ويحكى أفلاطون أيضًا فى هذه الرسالة[2] أنه وجد بالفعل عند سقراط آراء كثيرة فى العدالة الاجتماعية والسياسية، بمعنى أن شئون المدينة لا تستقيم إلا بتحقيق العدالة. وقد شجع سقراط هذه الروح السياسية عند أفلاطون وعلّمه كيف ينظر إلى السياسة بعين الحكمة والعدالة، لا بعين المنفعة الخاصة والاستغلال الشخصى. وعرف منه أن الفلسفة فيها كل ما يمكن أن يساعده فى السياسة[3].

أساتذة أفلاطون:

لقد تأثر أفلاطون فى شبابه بسحر أستاذه سقراط، الذى أصبح المعلم الذى يسعى إلى الحقيقة بالطريقة الصحيحة دون أن يخدعه عنها أى بديل، وتقوم عقيدة أفلاطون ويرتكز مذهبه على مبادئ سقراط ونظرياته، وكان أساس تلك المبادئ السقراطية أن هدف الإنسان وخيره الذى لا يقتصر على حياته الدنيوية، هو أن يخلق شخصيته العقلية

(1) Cairrs Huntington: "Legal philosophy from plato to hegel". the Johns Hopkind press. 13 boltiomore, 1949, p.57.

(٢) د. عبدالغفار مكاوى. المنقذ (قراءة لقلب أفلاطون)، ترجمة الرسالة السابعة لأفلاطون، كتاب الهلال، العدد ٤٤، ١٩٨٧، ص ١٢٥.
الرسالة السابعة تُعد من أهم رسائل أفلاطون الموجهة إلى دينيس الصغير حاكم صقلية التى يشرح له فيها صعوبة العمل الفلسفى ومشتقاته.

(٣) د. نازلى إسماعيل: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٨٧.
انظر: د. عبد الرحمن بدوى: أفلاطون (خلاصة الفكر الأوروبي)، سلسلة الينابيع، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٧٣.

والأخلاقية وينميها، وأن سعادتنا تتوقف على مدى نجاحنا فى ذلك، وهذا النجاح يتوقف بدوره على حُسن إدراكنا وتعقلنا وفهمنا للقيم الحقة للخير والفضيلة، فالفضيلة هى المعرفة الحقة وما علة التورط فى ارتكاب الشر إلا فقدان الوعى الصحيح والإدراك السليم وتوهم أن الشر خير[١].

وقد سادت فكرة الخير هذه لدى أفلاطون نتيجة تلك الأبحاث الفلسفية المهمة التى قام بها سقراط لتعريف الأخلاق والمفاهيم الاجتماعية المهمة لدى المجتمع[٢].

وكان أعظم ما حققه سقراط أنه أضفى أسمى القيَم على الشخصية والعقل، كما اعتقد أن أعظم اهتمام للإنسان هو تحسين روحه، وتوسيع المدارك ونقل هذا الإحساس إلى تلاميذه، ومن ثَمَّ فقد تأثر أفلاطون بآراء أستاذه سقراط بل إنهما قد اتفقا فى أشياء كثيرة أخرى، اتفقا فى كره هذا الاضطراب العام الذى تناول كل شيء وأفسد كل شيء، واتفقا فى كره السوفسطائيين الذين لم يكونوا يهيئون لحياة جديدة بريئة من الاضطراب، وإنما كانوا يذيعون الشك والمنفعة الخاصة، واتفقا فى الحكم على المذاهب الفلسفية القديمة بالضعف والفساد، أو العجز عن السيطرة على العقول والإشراف على الحياة الفكرية العامة، واتفقا أيضًا فى الحكم على الشعر القديم وأثره السيئ فى نفوس الجمهور، ثم اتفقا فى الحكم على أن ديانة θρησκεια قومهم الموروثة لا تخلو من سخف وسذاجة يخالفان ما وصل إليه العقل Νους فى اليونان من الرُّقى. ومن هنا اشتدت الصلة بين سقراط وتلميذه أفلاطون[٣].

ولقد ظل أفلاطون الصديق والتلميذ المخلص لسقراط وخاصة خلال ثمانى السنوات الأخيرة من حياة سقراط. وقد شكلت آراء شخصية سقراط الدافع الثقافى الأكبر لحياة أفلاطون وكانت الملهم لكل تفكيره، وقد ظل الإخلاص والتقدير اللذان شعر بهما نحو سقراط، لم يتلاشيا، بل قد نَمَوَا على نحو أكبر وبشكل مستمر، ففى آخر

---

(١) على إسلام: فلاسفة اليونان الثلاثة، ص٣٣، ٣٤.

(2) Judd Harmon, J.: «Political thought from Plato to the present», New York 1966, p.14

(٣) طه حسين: قادة الفكر، مطبعة المعارف، وزارة المعارف، ١٩٣١، ص ١١١، ١١٢

محاورات أفلاطون نجد تصويرًا لسقراط يتسم بأكبر قدر من السحر والإعجاب، وأصبح سقراط بالنسبة لأفلاطون النمط المثالى لفيلسوف الحق[١].

وبوفاة سقراط طوى أفلاطون المرحلة الأولى من مراحل حياته، وهى التى قضاها فى أثينا تلميذًا، وبدأ مرحلة ثانية ملأها بالرحلة والسفر.

رحلات أفلاطون:

سافر أفلاطون بعد مغادرة أثينا إلى ميجارا حيث التقى بصديقه وزميله إقليدس الميجارى وهو يؤسس مدرسته الفلسفية، التى قامت على أساس يجمع بين الفلسفة السقراطية وفلسفة المدرسة الإيلية. ولا بد أن يكون أفلاطون قد درس عن صديقه فلسفة بارمنيدس دراسة دقيقة ومكث هناك قرابة ثلاث سنين.

وكان هدف أفلاطون من تركه لأثينا فى ذلك الوقت، وخاصة بعد إعدام أستاذه سقراط، هو التعلم ولكنه حمل معه كل معتقدات سقراط[٢]، وهى أن الفضيلة علم ρεLτη ειυαι διωσις ومن ثم فتكون هى المعرفة τνωσις وعلى هذا الأساس كان أفلاطون يبنى فلسفته لجذب انتباه المعلمين ورجال الدولة عبر السنين، وذهبت رحلات أفلاطون به بعيدًا عن بلده الأصلى. ففى المدن الإغريقية شمالى إيطاليا، درس أصول التصوف والرياضيات μαθηυατικα التى ما لبثت أن احتلت مكانة مرموقة فى منهج دراسة أفلاطون μεθοδος، وزار مصر Αιγυπτος وقد أبهرته طريقة ونظام المجتمع المصرى المحافظ[٣].

---

(١) وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٤٤ - ١٤٥.
انظر: س.م. باورا: الأدب اليونانى القديم، ترجمة: على زيد وأحمد سلامة، راجعه: د. محمد صقر خفاجة، الألف كتاب (٥٦٠)، دار سعد مصر بالقاهرة، ص ١١٣، ١١٤.
انظر: د.عزت قرنى: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ١٩٧٩، ص ١٥٣، ١٤٥

(٢) د. حسين حرب: أفلاطون، دار الفكر اللبنانى. د.ت، ص ١٩٣، ١٩٤.

(3) Judd Harmon M.: «Political thought from plato to the present". p.19.

وعرف أفلاطون فى مصر كل ما توصلت إليه الحضارة المصرية من تقدم فى مجال كُلٍّ من العلم επιστήμή,ή والفن τεχνή,ή والحكمة Σοφια,ή والسياسة، كما تعرّف بصفة خاصة إلى رجال الدين (الكهنة) والعقائد القديمة، وقضى فيها زمنًا فى عين شمس ودرس فى مدرستها الكهنوتية وأخذ نصيبًا من علم الفلك Αστϊφονμια وملاحظة الديانة المصرية القديمة والحكم والأخلاق Έθική والتقاليد، فإن مؤلفاته الشواهد التى تؤيد ذلك.

ففى محاورة طيماوس تناول أفلاطون موضوع الأطلنطس (القارة المفقودة) بالبحث، بعد ما ذكره له أستاذه سقراط من أساطير أثناء زيارته لمصر والتى تؤكد ما ورد فى المذكرات التى دونها جده الأكبر سولون، وقام أفلاطون بالبحث عن حقيقة هذه القارة وعلاقتها بالفراعنة، كما قام بوصفها وصفًا دقيقًا فى كتاب الطيماوس وحوار الكريتياس بأنها جزيرة كبيرة وسط المحيط الأزرق الكبير وتقع خلف أعمدة هرقل (جبل طارق)، ويزيد حجمها على حجم ليبيا وآسيا الصغرى معًا، وقدَّر مساحتها بما يقرب من ستمائة ألف ميل مربع وكانت على شكل قلب[١].

وذكر أفلاطون فضل الملك نختانبو (الأسرة الثلاثون) فى إتاحة الفرصة له لدخوله المعابد والاتصال بكهنتها والإقامة معهم مثلما فعل جده سولون، وقد أكد أويدكسوس عالم الفلك والرياضيات الإغريقى الذى رافق أفلاطون أثناء زيارته للمعابد المصرية وأقام معه أكثر من عشر سنوات بمصر - أكد حقيقة ما ذكره أفلاطون عن قصة الأطلنطيس التى جاءت فى محاورته، وأكد أن هناك تفاصيل أخرى يعرفها عن أسرار تلك القارة التى كان يطلق عليها الفراعنة (أرض الآلهة) ولكنه لم يتمكن من ذكرها بالنسبة إلى العهد المقدس والقسم الذى ارتبط به عندما سُمح له بتلقىْ العلم والمعرفة عن كهنة المعبد الذى اعتنق ديانتهم ليتمكن من الاطلاع على بعض أسرار المعرفة المقدسة[٢].

---

(١) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص ٣٥، ٣٦.

- Plato: «Timaeus», p.10.

(٢) د. سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، ص ٣٥.

وعندما نشبت الحرب بين إسبرطة وأثينا المعروفة بحرب قورنثه عام ٣٩٥ ق.م. وحالف نفرتيس ملك مصر السفلى إسبرطة، اضطر أفلاطون إلى مغادرة مصر[١]. وأقام فى بلده طوال فترة الحرب أى إلى عام ٣٨٨ ق.م. قائمًا على العلم والدرس، ناشرًا من المحاورات ما أثار إعجاب الأثينيين، ولما انتهت الحرب رحل أفلاطون إلى جنوب إيطاليا وزار رئيس جمهوريتها القائد أرخيتاس وكان فيثاغوريًا، وتوطدت روابط الصداقة بينهما، وأثناء وجوده هناك سمع أن ديونيسيوس ملك سراقوصه ينْظِم القصائد والقصص التمثيلية، فذهب أفلاطون إلى سراقوصه وأراد أن يملى بعض آرائه فى الحكم والسياسة على الملك، ولكن الملك قابل آراء أفلاطون بالرفض وغضب عليه وأمر ببيعه فى سوق الرقيق، لولا أن افتداه رجل من قورينا ثم عاد بعد ذلك إلى بلاده (اليونان)[٢].

فلسفة الطبيعة عند أفلاطون:

لقد كان أفلاطون يأمل أن يُعيد الفيلسوف إلى المدينة التى كان ينشدها، ولذا ترك فى «جمهوريته وقوانينه» على الأقل الخطوط الكبرى لإصلاح سياسى مهم: فتربية المواطن القياسية وإبعاد الشعراء وشيوعية الممتلكات والنساء تصور جميعها الأوهام العقلية المتماسكة، أوهام الأرستقراطى الذى صحا والذى يحاول أن يرسم على لوحة الأزل صورة بعيدة عن الواقع الأثينى. صورة المدنية الثابتة[٣].

وبالرغم من اهتمام أفلاطون بالفكر السياسى ومحاولة إصلاح الحكم الأثينى فإنه كان يهتم بالإنسان وعالمه، تلك المشكلة التى أصبحت محور اهتمام كثير من المفكرين

---

(١) د. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، الطبعة الخامسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٩/ ١٩٧٠م، ص ٦٣.

انظر: نازلى إسماعيل: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٨٨.

(٢) د. محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، ص٢٠٤ -٢٠٥.

انظر: د. عبدالرحمن بدوى: أفلاطون، ص٧٠-٧٢.

(٣) بيير دوكاسيه: تاريخ الفلسفات الكبرى، ترجمة: جورج يونس، إشراف: كمال يوسف، الطبعة الأولى. منشورات عويدان، بيروت - لبنان، ١٩٦٠، ص ٤٩ - ٥٠.

والمثقفين الذين شعروا بالحاجة المُلحة إلى تنظيف الجو من الآراء التى يبلغ تباينها حدًا كبيرًا، إلا أن هذا لم يتحقق ولم يصل إلى الهدنة النسبية التى نلحظها اليـوم، على الأقل بين المثقفين، عـن طريق إيجاد نوع من الانسجام بين وجهتى النظر العلمية والميتافيزيقيـة، ولم يحاولـوا محاولة جدية لتوحيد كل الجهود وللوصول إن لم نقل إلى فهم كامل للطبيعة وموقف الإنسان من بيئته[1]. حيث إن هناك علاقته بعالمه البيئى هى علاقة اهتمام عملى وعلاقته بالعالم الجماعى علاقة اهتمام شخصي. وصفة «الاهتمام» تُصوَّر ضمن أساطير هيجينوس جامع الميثولوچيا اليونانية وتحكى أن «الاهتمام» كان يمر عبر نهر مـن الأنهار، فرأى بعض الطمى. فأخذه وبدأ يشكل صورة تمثال، وبينما هو يتأمل التمثال ظهر چوبيتر فتوسل إليه أن يمنح ذلك التمثال روحًا، فلبى چوبيتر طلبه، وعندما أراد الاهتمام أن يطلق اسمه على التمثال رفض چوبيتر هذا وأراد أن يطلق اسمه هو على التمثال، وأثناء هذا النزاع ظهـرت الأرض وطلبت أن يطلق اسمها على التمثال لأنها قدمت قطعة من جسدها (الطمي) (للاهتمام) فاحتكموا إلى الزمان (ستورن) وقرر أن چوبيتـر سوف يأخذ روح التمثال عند الموت، وأن الأرض سوف تستقبله مِن جديد عند موته، بينما (الاهتمام) هو الذى سيحتفـظ به طوال حياته لأنه هـو الذى صنعه، وبما أن النزاع كان حول الاسم، فيسمى إذن باسم الإنسان Homo، لأنه صُنع من التراب Homus وهذه الأسطورة توضح كيف أن الإنسان مصدره وأصله فى الاهتمام الذى سيسرى فى دمه وأن الزمان هو صاحب القرار النهائى فيما يختص بطبيعة الإنسان[2]. ذلك الإنسان الذى بدأ يهتم فى أدوار حضارته الأولى بالنظر إلى مظاهر الطبيعة الخارجية، وهذا يرجع بالطبع إلى أن لعلمه بأحداث الطبيعة وظواهرها أثرًا كبيرًا فى حياته، لأنه بذلك العلم يتمكن من إخضاع الطبيعة لمطالبه وإعداد العُدة لها عند التنبؤ μαντική,ή بحوادثها[3].

---

(١) إيروين شرودنجر: الطبيعة والإغريق، ترجمة: عزت قرنى. الألف كتاب (٤٢٨)، دار النهضة العربية، ١٩٦٢، ص ٢١، ٢٢.

(٢) مارتن هيدجر: ما الفلسفة، ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز ومحمود رجب السيد، دار النهضة العربية، ١٩٦٤، ص ١٠٢٩.

(٣) أزفلد كوليه: المدخل الى الفلسفة، ترجمة: أبوالعلا عفيفى. الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٦٣.

ومـن ثم بدأ تفكير اليونان الفلسفى فى بادئ الأمر يتجه نحو الفلسفة الخارجية؛ حيث كان تفكيرهم يتجه مباشرة نحو الظواهر الطبيعية الخارجية التى عملت على نشأة الكون، من الماء γδωρ والنار Θερμον - Φωτία والتراب... إلخ، ليفسروا أصل الوجود ونشأة الكون κοσμολονία[1]. ويجب ألا ننسى أن جمع الحقائق العلمية ودراستها لها أثر عظيم فى وضع نظرية عامة فى طبيعة العالم، لأن من الخصائص البارزة للفلسفة الطبيعية أنها تتداخل مع الفلسفة العامة (الميتافيزيقا) μεταφνσικη من جهة ومع نظرية المعرفة والمنطق λοόγος من جهة أخرى[2].

فالتصورات الفلسفية للطبيعة تتزامن تزامنًا تطابقيًا مع تاريخ الفلسفة ذاتها، أينما كانت الفلسفة نفسها فى جملتها نظامية (أى مَصُوغة فى هيكلتها داخل نظام مكون من مجموعة متماسكة من الأفكار وكذلك المبادئ).

حتى ولو كانت رافضة لأى شكل ميتافيزيقى (أى أنها ترفض أن يوجد شيء يكون ما وراء الطبيعة ويستحال تفسيره أو إدراكه).

فالطبيعة - كما قال رامزى - هى العالم الذى يُمثل المرآة التى تعكس العالم الإمبراطورى. أو تُمثل انعكاسًا لأى شيء غير قادر الإنسان على وصفه، ونجد أن الأعمال التى تمثل الفنون، قد اعتمدت على الطبيعة فى خلق وإبداع نموذجها وإطارها الخاص[3].

وما الطبيعة بأسرها إلا مظهرًا أو ظاهرة، يوجد من ورائها «شيء فى ذاته» مختلف كل الاختلاف. وأساس العالم الطبيعى إنما هو هذه الحقيقة غير المادية، التى يتوقف عليها بناء الكون بأسره. والنظام الطبيعى لا يعتمد على شيء خارجى فى وجوده أو بقائه، بل

---

(١) أفلاطون: محاورة بروتا جوراس، ترجمها للإنجليزية: بنيامين جويت، ترجمها للعربية: محمد كمال الدين على يوسف، راجعها: د. محمد صقر خفاجة، العدد (١٥١) شخصيات ومذاهب، دار الكتاب العربى. ١٩٦٧، ص ١٠.

(٢) أزفلد كوليه: المدخل إلى الفلسفة، ص ٧٠، ٧١.

(3) Edwards, P. (ED): The Encyclopedia of philosophy, Vo. IV (5) Macmillan Pub Co-New York. 1972, P.455-456.

إن كل شيء فى الكون وضمنه الإنسان وذهنه، يعتمد فى وجوده على النظام الطبيعى. فالكون يرجع أساسه إلى ذاته فحسب،ولسنا بحاجة إلى افتراض مصدر خارجي أو قوة علوية لإضفاء الوجود ῦπαρξη أو المعقولية عليه. أى أن الكون يقف على أرجله، غير معلق بأربطة حذاء كونية[1]. هذه وجهة نظر المثالى عن الطبيعة، أما أفلاطون فتصوره عن الطبيعة والعالم المحيط بنا، أنه معلّق بحبل وقائم على محور ومتحرك حركة مضادة لحركة κίνησις الدفعة الأولى التى وجهها إليه الصانع، ويؤكد أفلاطون ضرورة القول بصانع إلهى حاصل فى ذاته على العلم والتأمل Σκεψη. وفى فيليبوس ينتقد أفلاطون ديمقريطس Δημόκριτος وإنكساجوراس (٥٠٠- ٤٢٧ق.م.) اللذين ينفيان عن الكون الصفة الإلهية، ويقولون بأن كل ما يحدث فى الطبيعة إنما هو من أثر الصدفة البَحْت وحركات العناصر المادية بدون تدخل العقل أو الصانع الإلهى. بحيث يتم التكوين الطبيعي- فى نظرهم- بدون افتراض وجود منظم له أو نظام يسير بمقتضاه، ويقرر أفلاطون فى النهاية τέλος أن ما يتراءى لنا فى السماء من نظم الأفلاك والكواكب الرتيبة والمعقدة يكفى للتدليل على إنها يجب أن تكون صادرة عن عقل إلهى. ويؤكد أن الحكماء يتفقون على أن العقل هو ملك هذا الكون، وأنه سيد هذه الأرض، فهو علة Αίτια وجود عناصر الموجودات الرئيسة، وهو الصانع المنظم لكل شيء، الذى يرتب السنوات والفصول والشهور، فهو إذن جدير بأن يسمى بالعقل أو بالحكمة، وإلى جوار هذا العقل توجد نفس كلية.

وهكذا فقد نشأ عند أفلاطون وقبل أن يكتب محاورة طيماوس Τιμαῖος تخطيط للطبيعة يستند إلى التدبير الإلهي[2].

واهتم أفلاطون كذلك بمشكلات المعرفة، فقد كان عالمه مختلفًا تمامًا عن عالمنا، وأصبح من الصعب أن ندرك هذا الاختلاف، ويكمن هذا الاختلاف فى العقل

---

(١) هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٩، ص٩٠

(٢) د. محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفى من طاليس لأفلاطون، ج١، ط١ مطبعة المصرى. ١٩٦١، ص ١٦٣، ١٦٤.

الإنسانى. ويقول أفلاطون: «لقد ولدنا جميعًا بعقول مفكرة»[1]. واهتم أيضًا بالطبيعة وما بعد الطبيعة، وامتد اهتمامه ليشمل المجتمع ومشكلات الإدارة الخاصة بالمجتمع من تربية وسياسة وقوانين.

لقد بدأت الفلسفة مع أفلاطون تأخذ طابعها الذى عرفت عليه فيما بعد، وهو طابع البناء النسقى أو المذهبى. بمعنى أن تكون فلسفة الفيلسوف عبارة عن نظرة متكاملة يفسر بها كل ما يدور حوله من أمور سواء تعلقت هذه الأمور بالفرد -Ἄτομος ἰδιωης أو المجتمع أو الطبيعة، ومهما يكن من أمر فإن غاية الفلسفة عند أفلاطون لم تتعد الغايات النظرية التى وضعها الفلاسفة السابقون عليه[٢].

ونتناول الآن بصورة مفصلة كتاب (طيماوس) الذى عُنى فيه أفلاطون عناية كبيرة بالعالم الطبيعى وكيفية بدء خلقه.

ولكن هذه المحاورة تُعد من أصعب محاورات أفلاطون وأكثرها غموضًا، وهذه الصعوبة ترجع للاختلاط الواضح لإدراك المعلومات، والإدراك العادى المذكور، وكما سنجد اختلاط الأعداد Ἀριθμός الفيثاغورية، وهذا راجع للطبيعة الفلسفية للموضوع المطروح الذى لم يكن أفلاطون واعيًا به.

ونجد صعوبة أخرى فى الترتيب الإجمالى. لأن ما يصدم المرء، هو أن أفلاطون يكسر بشكل متكرر خيط جدله، ويبدو فى كثير من الأحيان راجعًا ويرجع مرة ثانية من البداية.

وهذا حرك نقادًا مثل أوجست وولف وآخرين لم يستطيعوا فهم ذلك فلسفيًا، آخذين طيماوس على أنها تراكم للأجزاء موضوعة جنبًا إلى جنب، أو أنها عبارة عن أعمال عديدة متصلة ببعضها باسترخاء كوحدة واحدة أو فيها كثير مما هو أجنبى. ولقد ظن وولف أنه كان واضحًا أن الحوار مثل قصائد هوميروس كان فى صيغته منطوقًا لا

(1) Codge R.: Plato's theory of education, London, 1947, p.264.

(٢) د. حسن عبد الحميد: مدخل إلى الفلسفة (معناها وتطورها وأهم مشكلاتها)، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ١٩٧٧، ص ٩

مكتوبًا، وأفلاطون بالرغم من هذا النقد الموجه لطيماوس يقدم عرضًا لواقع الطبيعة أو صيرورة العالم من خلالها[1]. فالنظرية الأفلاطونية فى نشأة الكون تشغل الجانب الأكبر من المحاورة، وهى مسبوقة بتمهيد ومقدمة προοίμιον لعرض قوانين الدولة الفاضلة ومختلف تنظيماتها؛ بهدف إظهار وحدة الكون والمجتمع وتوحيد القوانين التى تحكم كُلًّا منهما.

ويبنى أفلاطون فى طيماوس العالم الطبيعى بفعل القوانين ذاتها ليظهر العالم الاجتماعى والعالم الطبيعى بوحدتهما معًا.

فبناء العالم الطبيعى منوط بالصانع Δημιουργος الذى يوحد بين المحدود واللامحدود، كبناء العالم الاجتماعى الذى يُعدُّه أفلاطون مهمة الفيلسوف وحده، فالصانع والفيلسوف ينظمان العالمين. ونظرية نشأة الكون لدى أفلاطون مسبوقة بتمهيد سياسى يعرض فيه سقراط نظام الدولة المُثلى ويقدم له إكريتس السند التاريخى، ويتولى طيماوس الكلام عن مولد العالم وتحليل الطبيعة البشرية وذلك لإبراز وحدة المجتمع والكون[2].

وتتميز محاورة طيماوس بالطابع الأسطورى الشعرى وهو الذى يناسب موضوعات عالم الطبيعة المحسوسة المتغيرة، ونجد أن القصص الفلكلورية عن الأرض وتكويناتها تترك أثرًا عظيمًا بالنسبة للتغييرات الكونية التى تتكرر فى الكرة الأرضية العظيمة، ونجد أن الله قد أخذ مسئوليته عن هذا الكون، فلا وجود للشر ولا للحروب بل نجد أن الحيوانات تشارك الإنسان فى هذه الجنة، وأنهم ولدوا بكامل نضجهم من الأرض، وقد عاشوا من النضج إلى الطفولة فى شكل معاكس لنا واختفوا داخل الأرض ليكونوا بذرة لدعم أجيال الأرض المولودة بعد ذلك[3].

---

(1) Hegal: The history of philosophy, Translated from the Germany by: Hadane E. S. and Frances Simson. H. M, A, Volume 2, London,1955, P. 71.

(٢) د.حسين حرب: أفلاطون، ص ١٥٠، ١٥١.

(3) Plato: The state man, translated by: Skemp J. B. Routledge, Kegon, Poul, London. 1961,P.114..

كذلك نجد أن استخدام أفلاطون للأسطورة هو تعبير عن الماضى السحيق الخاص بالأفكار والوقائع التى لا يستطيع العقل الإنسانى أن يتمثلها بسهولة، وهى وسيلة أدبية لكى يستريح العقل من المناقشة والمجادلة.

وبدأ أفلاطون تفسيره للعالم الطبيعى بعدما اتجه للتوفيق بين كُلٍّ من هرقليطس Ἡραακλειτος وبارمنيدس، ففى البارمنيدس قد جادل أفلاطون بأن الوحدة Ένό-τητα-Ένοτης، والتعدد πολλαπλοτητα أكثر من أن يستثنى ويلغى بعضهما بعضًا، لم يكونا فقط قابلين للدمج، ولكن بالإضافة إلى هذا لا يمكن أن يتواجد أحدهما دون الآخر. بينما نجد فى طيماوس طبيعة الكينونة التى أدت إلى اللاكينونة[1].

ويقدم لنا أفلاطون قصة تكوين العالم الطبيعى. وكيف ولد هذا العالم وكيف تم تنظيمه فى حقبة سابقة على الزمان، تمكن فيها العقل من أن يخضع المادة المضطربة لسلطانه بحيث أمكن العالم من أن يتحول من الفوضى إلى النظام، ذلك النظام الذى يستمد عناصره من المشاركة فى مثال الجمال بالذات[2]. ولا يمكن أن يكون هذا نتيجة علل اتفاقية، بل هو صنع عاقل، كامل، توخى الخير، ورتب كل شيء عن قصد وحكمة.

لكن أفلاطون حين يريد أن يتصور ويصف كيف خلق الله هذا العالم، تعترضه عقدة العقد التى تعترض عقولنا جميعًا، فلا يستطيع أن يتصور الخلق من العدم، فيقول إن الأشياء مكونة من مادة ὕλη وصورة، وهذه الصورة هى التى تجعل المادة شيئًا معينًا وهى من أثر المثل التى تعطى للشيء طابع شكلها. فالشيء قبل أن يأخذ صورة مثاله، كان مادة، لا صفة لها ولا شكل، ثم أخذ ينطبع على مثاله، فاكتسب حقيقة الوجود بعد أن كان عدمًا وأن الذى يعطى المادة طابع مثالها، فيوجدها، بعد أن كانت عدمًا هو الله[3]. ولكن كيف يتصور العقل أن يكون الشيء مادة وعدمًا فى آن

(1) fuller B. A. G.: A history of philosophy. Mac Murrin, Oxford, New Delhi, p. 158.

(٢) د. محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفى من طاليس لأفلاطون، ص ١٦٥.

(٣) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، دار العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٤٠.
انظر: د. عبد الرحمن بدوى: أفلاطون، ص ١٩٠، ١٩١.

واحد، فتصور أفلاطون كغيره من الذين تعودوا تصور خلق شيء من العدم: أنهم يرون الأشياء ويرون أنها متغيرة من صورة إلى صورة فيحكمون أن هذه الصورة محدثة، ويجرهم الجدل Διαλεκτική,ή العقلى إلى تصور مادة قديمة بلا صورة ويحارون فى وصف ماهية Τότίήν είναι هذه المادة، التى لا صورة لها، فيقولون إنها بلا صفة ولا شكل ولا لون ولا حجم ولا وزن ولا طعم ولا رائحة لأن جميع هذه الأوصاف تأتى من الصورة، فينتهى بهم الأمر إلى القول بأن المادة عدم ثم تعجز عقولهم عن تصور خلق العالم من العدم، فيقولون إن الله أوجد المادة التى لا شكل لها ولا صفة، ورأى المُثل المجردة، فشكل المادة على صورة المثل، أى أعطى صورة للمادة فصارت شيئًا معينًا، فكأنهم ينتهون إلى القول، «إن الله خلق العالم بمادته التى أوجدها من العدم، وأعطاه صوره التى كانت فى علمه القديم... وعلى كل حال، فإن أفلاطون أدرك وجود الله الخالق المدبر لأمور هذا الكون بقدرته وحكمته[1]. وأن العنصر المبصر عمل على مثال العالم العقلى. وأول ما عمل من العالم المبصر هو النفس وبعدها الشكل الجسمانى الذى من النار أو على الأرض أولًا وثانيًا من الماء والهواء[2].

ووفقًا لرأى أفلاطون ليس هناك انفصال ممكن بين فهمنا لنظام الطبيعة من حولنا، والنظام الذى يشاء الله منا أن ندخله على أفكارنا وأعمالنا الخاصة، وروح المعرفة والفهم، لا ينبغى أن ينفصل عن روح الحكمة ومخافة الله[3].

ويستمر أفلاطون الآن ولأول مرة فى تعيين فكرة الوجود الجسمى: «لأن العالم عليه أن يصبح مجسدًا ومرئيًا وملموسًا، ولأنه بدون النار لا يمكن أن نرى شيئًا، وبدون الجمود وبدون الأرض لا يمكن أن نلمس شيئًا، فلقد صنع (الله) النار والأرض فى البدء» وبهذه الطريقة الطفولية يقدم أفلاطون هذين الضدين الجمود والحياة. ويستمر أفلاطون «وحيث أن الجامد يحتاج متوسطين حيث إن ليس له فقط عرض بل عمق أيضًا، فقد وضع (الله) الهواء والماء بين النار والأرض وأعطى لها نفس النسب بحيث

(١) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص ٤١.

(٢) أرسطوطاليس: فى النفس، تحقيق: عبد الرحمن بدوى. النهضة المصرية، ١٩٥٤، ص ١٢٧.

(٣) د. تيلور: القوانين لأفلاطون، ص ٢٤.

تتعلق النار بالهواء كما يتعلق الماء بالهواء وكما هى علاقـة الهواء بالماء كذلك علاقة المـاء بالأرض، وهكـذا يكون لدينـا أربع طرق لتمثيل الفـراغ، من خـلال الخـط والسطح المرتبطيـن بالجسم الجامد»[1].

وبالنسبة للروح Ψυχή فهى الحاكم والملك والجسم تابع لها، «وإن الروح أعرق من الجسـد وأن الأرواح تـعود للولادة من جديد بلا توقف فى هذه الحياة. وروح الفليسوف φιλόσοφος الحق تترفع عن كل الشهوات بقدر الإمكان. وبالتالى تبعد عن الآلام والمخاوف.. لأنه يتعذر عليها الدخول إلى الجحيم مادامت أصبحت فى حالة نقية. أما عندما تغادر الروح الجسد ملوثة بشهواتة، فإنها سرعان ما تسقط من جديد إلى جسد آخر وهكذا يمتنع عليها الوصول إلى كل ما هو مقدس ونقى ومتناسق...»[2].

ويقول أفلاطون إن الله قد قسم سلسلة الأعداد الفيثاغورية كلها طوليًا إلى جزءَين ووضعهما معًا متقاطعين مثل حرف X، ثم ثنى أطرافهما بشكل دورانى وأدركهما فى حركة متماثلة مكونين دائرة κύκλος داخلية وأخرى خارجية، وسمى حركة الدائرة الخارجية حركة المثل، وحركة الداخلية حركة العكس مُعطيًا السيادة إلى الأولى ومُبقيًا على سلامتها.

ولكن الحركة الداخلية قسمها مرة أخرى إلى سبعة مدارات حسب نفس علاقة Σχεση كل شىء بالآخر، وجعل ثلاثة من هذه تتحرك بسرعة مماثلة، وأربعة بسرعة غير مماثلة للثلاثة، ولبعضها البعض. وهذا هو نظام الروح التى يتكون فيها كل ما هو متجسد فالروح هى المركز، وهى تخترق الكل وتحتويه من الخارج وتتحرك بذاتها. وهكذا فإن لها البداية الإلهية لحياة لا تنقطع وهى عقلانية فى ذاتها[3].

ونجد أن الله كمادة مطلقة لا يرى أى شىء غير نفسه. ولذلك يصف أفلاطون علاقة الروح بالحقيقة الموضوعية هكذا إنها عندما تلمس أيًا من اللحظات سواء محلولة فى

---

(1) Hegel: The history of philosophy. p. 75-79.

(٢) د. رءوف عبيد: فى العودة للتجسد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم، ص ٢١.

(3) Taylor A. E.: Plato the man and his work. Methen Co. Ltd., London 1963. p. 445.

الأجزاء أو غير منقسمة تتحرك جميع قواها لتعلن أنها نفس الشيء واختلاف ذلك الشيء أو غيره.

وهذه هى الحقيقة الضرورية للعالم على أنه هو الله المبارك بذاته، وأن فكرة الكل تم إتقانها فى الوقت الحالى، وحسب هذه الفكرة فإن العالم يظهر للمرة الأولى[1].

ومن الملاحظ أن أفلاطون عندما أدرك أهمية الزمان كان يتحدث باستمرار عن قبل πρίν وبعد μετα وحديثه عنهما يتضمن الزمان الذى ولد مع الفلك، فالصانع عندما كان يزين السماء صنع للأزل الباقى فى وحدته، صورة أزلية، سُميت بالزمان. لأن النهار والليل والشهور والسنين لم تكن قبل حدوث السماء، ولكن الله استنبط حدوثها عندما كان يركب الفلك.

وكان أفلاطون يرى أن الزمان مثال للدهر متحركًا أو مدة لحركة العالم[2].

فالجوهر الأزلى هو كائن وحسب ولا يصح أن ننسبه إلى الزمن، لأن الزمن يطلق على المحدث فقط. فالعالم فى زمن بينما الجوهر الأزل القائم دومًا على حال واحدة دون تحول لا يليق به أن يلحقه شيء مما تلحقه الصيرورة بالأشياء الحسية ولذا يطلق عليه الزمن.

أما الكواكب السيارة فنشأت من تفكير الله بشأن إحداث الزمن، فلكى يولد هذا الزمن نشأت الشمس والقمر والكواكب الخمسة الأخرى لتحديده وضبطه وصيانة إعداده[3].

وقال أفلاطون إن الأرض هى مركز الكون[*] وهى كوكب مستدير ثابت يقع فى وسط العالم. ويرى أفلاطون أن العالم خالد ولكن خلوده ليس مفروضًا على الصانع

---

(1) Hegel: The history of philosophy, p. 82.

(٢) أرسطوطاليس: فى النفس، تحقيق: عبد الرحمن بدوى. ص ١١٩.

(٣) د. حسين حرب: أفلاطون، ص ١٦١.

(*) يقول أفلاطون إن «الخالق وهو الله» قد أوجد جسم العالم ويقصد به الكرة الأرضية وبعد ذلك خلق الكائنات التى تعيش عليها.

(Taylor: Plato the man and his work, p. 445).

وإنما هو تحقيق لدوام الخير والجمال ولأن هدم الجمال نصر للقبح ودعوة لنشر الفوضى ولأن الصانع اتصف بأسمى أنواع الخير. ويقول أفلاطون: «أيها الآلهة وأبناء الآلهة الذين أنا صانعهم إنكم وجدتم بقدرتي. وإنكم غير قابلين للفساد (وإنكم جميعًا مركَّبون) فإن إرادة تحطيم وحدة ما اتحد بإنسجام فصار جميلًا هى من عمل الشريرين. وإذن فمن حيث أنكم وجدتم (بعد أن لم تكونوا) فإنكم لستم خالدين ولا غير قابلين للفساد ومع ذلك فلن تتفككوا أبدًا ولن تخضعوا لمصير الفانين، لأن إرادتي كونت لكم رابطة أمتن وأقوى من الرابطة التى تربط الأجسام الآيلة إلى الزوال والتى تتفق مع طبيعة الوجود المسبوق باللاوجود»[1]. (طيماوس - ٤١، أ، ب).

ويقول أفلاطون فى تأمل الطبيعة إن هناك «واقعان أحدهما الضرورى والآخر الإلهى. والإلهى يجب أن نسعى وراءه لأنه فى جميع الأشياء يهدف إلى الوصول إلى حياة مباركة» فإن هذا السعى هو نهاية فى نفسه ولنفسه ونجد فيه السعادة. ولكن الأسباب الضرورية تحتاج أن نسعى وراءها فقط من أجل الأشياء الإلهية، باعتبار أنه بدون هذه الأسباب الضرورية «حسب حالات المعرفة» فإننا لا نستطيع معرفتها. حيث أن التأمل حسب الضرورة هو التأمل الخارجي للأشياء، وفيما يتعلق بالإلهى فإن الله نفسه كان هو الخالق، والإلهى يتعلق بذلك العالم السرمدى الأول - وليس فيما وراءه ولكن بالنسبة للموجود وهذه الطريقة تعد بسيطة للمرور من الإلهى إلى النهائى والترابى. والآن وهى تقلد الإلهي؛ لأنها تلقت المبدأ الذى لا يموت للروح مُثّلث جسدًا معنويًا وصنعت فيه روحًا ذات طبيعة أخرى كانت زائلة. وهذه الطبيعة الفانية كانت عرضة لمشاعر عنيفة، أولها كان المتعة وهى المحفز الأول للرذيلة، ثم الألم وهو الرادع عن عمل الخير والاندفاع وكذلك الخوف، وهذه المشاعر جميعها تنتمى إلى الروح التى تموت.

وإن الإلهى لا يمكن أن يتلوث أكثر من الضرورى. فالآلهة التابعة فصلت هذه الطبيعة التى تحولت عن الكرسى الإلهى وأعطتها تعودًا آخر فى جزء من الجسد، واضعة

---

(١) د. محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، ص ٢٨٤.

العنق بحيث تكون هى الحد الفاصل بين الرأس والصدر. وأن المشاعر تسكن فى الصدر أو فى القلب ونحن نضع ما هو لا يموت فى القلب والروحى فى الرأس[١].

ويتضح مما سبق أن تفسير أفلاطون للعالم لم يكن تفسيرًا طبيعيًا خالصًا وإنما تفسيرًا مثاليًا بواسطة الخير ومن أجل الخير.

وتعتمد نظرية أفلاطون فى نشأة العالم على طابع الاحتمال، لأن اليقين فى هذه الأمور غير ممكن لنظر أفلاطون، ولابد أن تحتفظ كل معرفة بعالم التبدل بشىء من عدم اليقين والخفاء. وقد وضح جليًا مدى الترابط بين الطبيعة البشرية والطبيعة الشاملة فى إطار قوانين عامة تحكمها[٢].

الألوهية فى مذهب أفلاطون:

قام فى بلاد اليونان منذ أقدم العصور ميل إلى التوحيد، فالإله زيوس Zeus الذى أصبح عند هوميروس وهزيود أقوى الآلهة بالفعل بلغ بحلول عهد «ايسخيلوس» درجة من السمو والرفعة، سواء من حيث القوة Δοντάμις أو الصلاح، يحق معها القول بأن المعبودات الأخرى لم تعد شيئًا يختلف عن الملائكة التى هى رسل له.

وتوحيد اليونان لدينهم وإلههم لم يكن مطلقًا على النحو الذى تعبر عنه العبارة الإسلامية الشهيرة: «لا إله إلا الله» فكانوا يؤمنون بوجود آلهة كثيرة وهى من إبداعهم إلى جانب الكائنات الأخرى الموجودة مع الإله الواحد العلوى. وكان يمكنهم أيضًا أن يطلقوا على الكائنات الإلهية الأخرى نفس إسم الإله الذى يدعونه به.

بينما نجد مذهب أفلاطون يخلص إلى معبود واحد علوى لا مادى. أطلق عليه أفلاطون كثيرًا من الصفات الإلهية التى تناسب مكانته وقداسته[٣].

(1) Hegel: The history of philosophy, p. 88-89.

(٢) د. حسين حرب: أفلاطون، ص ١٦٤.

(٣) هـ. ج. روز: الديانة اليونانية القديمة، ترجمة: رمزى عبده، الألف كتاب (٥٦٩)، دار نهضة مصر، ١٩٦٥، ص ١٥١.

وبالرغم من ذلك نجده فى أواخر حياته وضع جمهورية مثالية، اقترح فى نظامها دينًا يختلف مع الديانة الشائعة اختلافًا واضحًا، وفرض على أهلها الاعتقاد Καταςίκη فى الآلهة الجدد وإلا استهدفوا بعقوبة، الموت أو السجن، واستبعد كل حرية فى البحث فى هذا النظام الصارم، الذى وضعه للطبقات، وكان يهتم (أفلاطون) بترقية الأخلاق عن طريق تهذيب الأساطير لأنها لا تهيئ لحياة البر والصلاح، وحسبه من الدين منفعته فى ميادين الأخلاق[١].

وبالرغم من أهمية أفلاطون الفلسفية فى المعتقدات الإيمانية، نرى أن أراءه الفلسفية، وعن الآلهة فنجده لا يعرف عن وجودها شيئًا ولا وجود الأشياء والتى يحبون أن ينظروا إليها وأن يتطلعوا لها[٢].

لا شك أن الإله من وجهة نظر أفلاطون قد وضع أصل وجذر الأشكال فى اهتماماته الفكرية، ونجد أن حديث أفلاطون عن الإله هو ذو خطابة عالية وشاعرية كبيرة، وفى الواقع فإنه ليست هناك نقطة تثير الجدل ولا سؤال أكثر انفتاحًا من مسألة ما الذى يعنيه أفلاطون حقًا بالإله ؟[٣].

فقد اتضح دور الإله فى محاورة طيماوس وأنه قام بأهم الإنجازات بادئًا بالخلق الخاص بالكون وسائر الكائنات الأخرى، ووجه اهتمامه لفكرة الروح التى تتمثل فى السماء، وإنها نوعان فقط أحدهما يمثل الخير Καλός والآخر يُمثِّل الشر. وقد رأى أفلاطون أن شباب أثينا قد أُصيبوا بعدوى المعتقدات الخاطئة عن الآلهة متضمنة فى ذلك الإلحاد الحقيقى وهو الكفر بوجود إله. ويعتمدون فقط على مجرد الاعتذار عن حياة الشر التى يعيشونها فإن كان لا وجود للإله، لكان أحد لا يستطيع أن يهتم بشئون البشر، ولكان المخطئ المذنب يُكفر عن ذنوبه بالصلاة[٤].

---

(١) د. توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، الكتاب الرابع، مكتبة الآداب، مصر، د. ت، ص ٦٩.

(2) Sinclair T. A.: A history of Greek political thought, London Routedge Kegan poul, 1951, p. 53.

(3) Fuller B. A. G.: A history of philosophy, p. 158.

(4) Guthrie W. K. C.: The later Plato and the Academy, Volume. V, p. 360.

وأفلاطون يرى أن الإلحاد بالإله، هو حصيلة عاملين تاريخيين، مادية الأيونيين الأوائل رجال العالم، الذين افترضوا أن نظام العالم ممكن أن يعلل بمبادئ آلية دون أى إشارة إلى تصميم عاقل أو غرض، والنظرية السوفسطائية القائلة بأن العالم نشأ من غير آلهة وليس للآلهة أى وجود.

بينما نجد أن وجود الآلهة لدى أفلاطون أمر مؤكد وحقيقى ولا يستطيع أن ينكره فهو إله يتسم بنشاطه الخارجى، فهو إله خالق وذو عناية بمعنى حقيقى[1].

ولكننا نلاحظ على أفلاطون أنه أحيانًا يتحدث عن إله واحد بصيغة المفرد وأنه هو الخير والعلم والحكمة، ومرة أخرى نراه يتحدث عن الآلهة فى صيغة الجمع فهل يوجد إله أعلى فوق جميع الآلهة الأخرى؟ ويجيب أفلاطون بأنه يوجد إله أعلى ويتميز عن سائر الآلهة الأخرى بل ويتفوق عليها وأن هذا الإله المتميز ليس من جنس الآلهة الأخرى، لأنه لو كان من جنسها لما تميز عنها فى شىء.

وسواء كانت تلك الآلهة الأخرى الكونية، مثل أورانوس إله السماء، أم كانت هذة الآلهة آلهة الأولمب، فإن هذا الإله الذى يعلوها من طبيعة تختلف كل الاختلاف، أما هذة الآلهة الأخرى فهى عبارة عن كواكب أو نفوس الكواكب: فنجده ينسب إلى هذه الكواكب نفوسًا، بل يضيف إليها أيضًا عقولًا لكى تستطيع أن تدور هذه الدورات الكونية فى انسجام تام مع بقية الكون. وهذا مذهب Δολνμα مشهور عند أفلاطون ونعنى به قوله أن للكواكب نفوسًا.

وهذه الآلهة الموجودة فى الكواكب تفترق عن الصانع لأن الصانع هو الذى يخلق نفوس الكواكب. أى أنه هو الذى يخلق هذه الآلهة. وهذه الآلهة لا تسمو إلا على الأشياء التى توجدها فهى إذن لا تعلو إلا على الإنسان، فلابد إذن أن يكون هذا الصانع من طبيعة مخالفة لطبيعة هذه الآلهة.

---

(١) د. تيلور: القوانين لأفلاطون، ص ٦٣، ٦٥
انظر: مراد وهبة: قصة الفلسفة، سلسلة اقرأ، العدد (٣٠٥)، دار المعارف، ١٩٦٨، ص ٢٦-٣١

ولكننا نتساءل هل هذا الصانع هو الإله الأعلى عند أفلاطون؟ ويجيب أفلاطون أن الصانع يصنع هذه الأشياء بتأمله للحى بذاته، أى أن هناك شيئًا أعلى من الصانع يقلده الصانع عند صنع الأشياء. وهذا الشيء هو الصور.

ويتولد إذن ثلاث طبقات من طبقات الوجود الإلهى:

أولًا: الصور والحى بذاته.

ثانيًا: الصانع الذى يصنع الوجود على غرار الصور.

ثالثًا: الكون أو العالم ثم أرواح الكواكب[1].

ومن ثم نجد أن الإله عند أفلاطون هو عبارة عن «فكرة الخير» التى تُعد مصدر ومرجع كل شىء، وهى وجدت بنفسها قبل أن يوجد الزمان وستوجد بعده، لا علاقة لها به، ولا تأثير له فيها، وعنها صدرت كل الحقائق الخالدة، ولكنها ليست محسوسة، ولا سبيل لها أن تحس[2].

ويرى أفلاطون أن الإله ليس خيرًا فحسب، وإنما هو الخير ذاته، وهو عنده منزّه عن الحركة، لأنه بقدر ما يكون الموجود بعيدًا عن الحركة يكون بعيدًا عن التغير، وبقدر ما يكون كذلك أكثر كمالًا، وهو أزلى وأبدى، لأن الزمن ليس إلا صورة متنقلة من صور الكائنات، ولا يمكن أن تنعكس على هذا الإله العظيم فتحدّ وجوده بأى حال، وباقى الصفات للإله العظيم لسنا فى حاجة لأن نبرهن على وجودها، لأن هذا الإله كامل من جميع الجوانب.

وعلة وجود هذا الإله العظيم للكون فهى التفضل والإحسان وإيجاد كون يتمشى نحو الكمال وهو لهذا خلقة على أتم استعداد لهذا الكمال، ليمكن تحقق صلة الخالق بالمخلوق، لأنه لو لم يكن العالم مستعدًا للسير نحو المثل الأعلى لكانت الصلة بينه وبين إلهه مستحيلة[3].

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى: أفلاطون، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) د. طه حسين: قادة الفكر، ص ١٤٦.

(٣) د. محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، ص ٢٧٣.

وعندما قال أفلاطون إن الإله خلق العالم، أوجب أن خلقه إياه كان على مثال تصوره على ما يقول الشعراء الأولون أصحاب الكوميديا القديمة. ولو لم يكن فكيف كان يتهيأ أن يكون كون على الصورة التى هو عليها؟.

ونجد أفلاطون لم يضع الأجسام الأولى واقفة لكنه وضعها متحركة حركة غير منتظمة، وأن الإله رتبها بالنظام، إذ كان النظام والترتيب أفضل من لا نظام ولا ترتيب.

فالإله الواحد البسيط الذى لا علة له، الذى هو واحد، عدل، الذى وحده على الحقيقة موجود ον، وهذه الأسماء كلها تنتهى إلى العقل، فهو عقل «مفارق للصور» غير مخالط العناصر البتة ولا مشاركًا فيها شيئًا، ولا مما يقبل التأثير[1].

فعندما يقول أفلاطون إن العالم آية فنية غاية فى الجمال، صنعة عقل كامل توخى الخير ورتب كل شىء عن قصد (طيماوس ص ٢٨(١) - ٢٩ [1])وعندما وضع أفلاطون المُثل فقد خص مثال الجمال فى المأدبة ومثال الخير فى الجمهورية فقال عن مثال الجمال: إنه علة الجمال المتفرق فى الأشياء والمقصد الأسمى للإراده فى نزوعها إلى المطلق Ἀπόλυτος والغاية القصوى للعقل فى جدله لا يوصف ولكنه هو هو. (المأدبة ص ٢١٠-٢١١). وقال عن مثال الخير إنه فى أقصى حدود العالم المعقول يقوم مثال الخير وهو الذى لا يُدرك إلا بصعوبة، ولكننا لا ندركه إلا ونوقن أنه علة كل ما هو جميل Ωραιος - καλός وخيِّر، هو الذى ينشر ضوء φως الحق على موضوعات العلوم، ويمنح النفس ψυγή قوة الإدراك فهو مبدأ العلم والحق، يفوقهما جمالًا مهما يكن لهما من جمال، هو أسمى موضوع لنظر الفيلسوف والعناية من الجدل تعقله، وإن جماله ليُعجز كل بيان، لا يوصف إلا سلبًا. وكما أن الشمس Ηλιος تجعل المرئيات مرئية وتهبها الكون والنمو والغذاء دون أن تكون هى شيئًا من ذلك؛ فإن المعقولات تستمد معقوليتها من الخير، بل وجودها وماهيتها، فالشمس والخير ملكان، الواحد على العالم المعقول والآخر على العالم المحسوس.

---

(١) أرسطوطاليس: فى النفس، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوى. ص ١١٢ - ١١٤.

ويقصد أفلاطون من ذلك «أن الخير رباط كل شيء وأساسه» من حيث أن العِلة الحقه عاقلة، وأن العاقل يتوخى الخير بالضـرورة.

وأخيرًا فالإله عند أفلاطون يتميز بأنه روح عاقل محرك جميل خيِّر عادل كامل وهو بسيط لا تنوع فيه ثابت لا يتغير، صادق لا يكذب ولا يتشكل أشكالًا مختلفة كما صوره هوميروس، وهو كله فى حاضر مستمر، فإن أقسام الزمان لا تلائم إلا المحسوس، ونحن حينما نضيف الماضى والمستقبل إلى الجوهر ουσιαι الدائم فنقول كان وسيكون نـدل عـلى أننـا علـى جهل Ἀγνοια بطبيعته إذ لا يلائمه سوى الحاضر. (طيماوس، ص ٣٧ (د)) والإله دائمًا مهتم بالعلم عناية شديدة[١]. فوجود الإله الواحد الأحد ليس هو الله الموجود فى الأديان والشرائع السماوية، لأن فكرة التوحيد هذه لم تكن لها وجود فى بلاد اليونان، ولكنه قال بأن الألوهية هى الواحد فجمع إذن بين الواحدية والألوهية وجعلنا نشعر بشيء من التوحيد[٢].

فكر أفلاطون السياسى من خلال عصره:

من قديـم الأزل كان من الشائع فى اليونانيين المعتقدين فى توحيد الله - تبـارك وتعالى - أن ملكًا لهم يعرف بأزريانوس قد جمع إلى سعة مُلكـه جلالة المحل فى الحكمة وحسن السيرة لمن يرعـاه. وطالت أيامه بهم، وزاد صوته بُعدًا فيهم- ثم اضطرب عليه بعض أطرافه، فاستخلف على مملكته ابنًا له - وكان يرتضيه لما بعده. وخرج بنفسه فعاناه حتى انقاد له. فلما أجمع على الشخوص إلى دار ملكـه اعتل عِلة يئس فيها من نفسه. فكتب إليه ابنه المستخلف بهذا العهد: قـد خلفت لـك من تجازى ما تُحسن عائدتـه عليك وأثره فيك فليكـن نصب عينـك وسمير خلوتـك، وتلقى بـه ما جمع منك واستعصت مقادتك عليـك - تجد فيه قوة لـك وإلانةً لـه[٣].

---

(١) د. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٨٠-٨٢.

(٢) د. عبد الرحمن بدوى: أفلاطون، ص ٢٣٧.

(٣) د. عبدالرحمن بدوى (تحقيق): الأصول اليونانية للنظريات السياسية فى الإسلام، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤، ص ٥.

هذه بلا شك وصايا حاكم لابنه المستخلف فى الحكم، ويتضح لنا من خلال هذه الوصايا بعض المقومات الأساسية التى ينبغى أن تقوم عليها سياسة الحكم فى أى دولة ما، وسياسة الحكم تختلف من وقت لآخر وخاصة فى بلاد اليونان، فكانت المملكة الإغريقية الحالية ضمن الدول الأوروبية الصغيرة إلا أنها بالنسبة للإغريق فإنها تبدو كبيرة جدًا، عن كونها دولة، فبداخل شبه الجزيرة هذه التى يبدو تعدادها السكانى وثروتها غير ذات أهمية وفقًا للأفكار الحديثة، وكان يوجد نظامان سياسيان فقط، ومعناه أنهما يمثلان الديمقراطية وحكم الأقلية، والخلاف بينهما يُعد أمرًا صارخًا، لذا يمكننا القول بأن المدينة اليونانية كانت دولة متزامنة مع الحرب الأهلية، وقد أصبحت كما صنفها أفلاطون ليست بمدينة واحدة، ولكن مدينتين تشمل إحداهما الأغنياء وأخرى الفقراء(١).

وكان الملك عند اليونان القدامى هو الكاهن الأول وإله الحرب، إلا على القبيلة التى يحكمها، وله حق الإشراف على الطقوس الدينية كما إنه يحكم على الذين أتوا إلى مقعده لتصحيح أخطائهم، وكان يقود الجيش فى حالة الحرب، وينتمى إلى أسرة يقال أنها تنحدر من الآلهة أنفسها، وعلاقته بالشعب هى علاقة الإله الذى يحميهم(٢).

ولذلك نجد أن حاكم أى دولة لابد وأن يتفهم طبيعة مملكته وكيفية حكمها ولابد للحاكم أن يتحلى ببعض الصفات النبيلة، التى تمكنه من تطبيق السياسة العادلة بين أفراد شعبه.

ونذكر أن أحد الحكماء قد أوصى الحاكم ببعض الوصايا التى لابد أن يتحلى بها أثناء حكمه فيقول: «ياإسكندر ! العقل رأس التدبير وهو صلاح النفس ومرآة العيوب وبه تذل المكروهات وتعز المحبوبات وهو رأس الممدوحات وأصل المفاخر.

وإذا نازعت الرياسة العقل من جهتها ينتج الصدق والصدق ينتج الورع والصدق أصل الممدوحات وهو ضد الكذب ونتيجة التقى العدل، ونتيجة العدل الألفة، ونتيجة الألفة الكرم، والكرم ينتج المؤانسة»(٣).

---

(1) Dickinson Glowes: The Greek View of life, London, 1946, p.69.

(2) Bury J. B.: History of Greece, to the death of Alexander the Greek, Macmillan, London, 1967, p. 54-55..

(٣) عبد الرحمن بدوى (تحقيق): الأصول اليونانية للنظريات السياسية فى الإسلام، ص ٥٧.

ويتضح لنا مدى الصعوبة التى تواجه الحكام، فمهمتهم تتسم بالصعوبة القصوى لمجابهة مخاطر تلك المسئولية لتحقيق العدل والمساواة بين أفراد الشعب الواحد، وهذا ما تطلع إليه أفلاطون بالنسبة لأفراد شعبه اليونانى الذى حرم من ممارسة حقوقه الطبيعية فى بلد يسوده الفقر والإرهاب وهذا عكس الإمبراطوريات الشرقية وخاصة مصر، بالرغم أنهم لم يسجلوا نظريات سياسية إلا أنهم قد طرقوا الكثير من القواعد التى كونت فن النظم السياسية، أى وضعوا تشريعات معينة توضح طرق الحكم المختلفة التى اتبعوها على نحو ما نجد فى كتاب الموتى الفرعونى من نصائح ووصايا وضعها الفراعنة لأبنائهم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد[١].

ومن المؤكد أن أفلاطون قد استفاد كثيرًا من علم السياسة وطريقة حكم المصريين أثناء وجوده فى مصر، ولذا أراد أن يطبق بعض ما شاهده ولكن بطريقته الخاصة الأفلاطونية فى إقامة دولته المثالية، والدولة هى جماعة سياسية بوجود هيئة إدارية تمارس بنجاح الاستعمال الشرعى للقوة المادية فى تنفيذ الأوامر بشدة، وأن الوسيلة لضمان التنفيذ هو السيطرة بالقوة المادية وهى التشريع[٢].

وكان هدف أفلاطون من إقامة دولته المثالية هو الحكمة والفضيلة، والمعرفة، وإسعاد الأفراد عن طريق التربية التى تُعد أول عمل تقوم به الدولة لوصول الأفراد إلى غايتهم.

ويجب أن تؤسس الدولة على الفكر والتعقل، وأن يحكم هذه الدولة الفلاسفة، وبما أنهم قليلون فيجب أن تكون الحكومة أرستقراطية العقل والفكر، ويجب أن يكون أول عنصر فى الدولة العقل ثم القوة ثم العمل، وكل عنصر من هذه العناصر تمثله طائفة من الأمة، فالعقل فى طبقة الحكام، والقوة فى الشرطة والجنود والمحاربين، وقد احتجنا إليهم فى الدولة؛ لأن بعض العامة لا يخضعون للقوانين التى يصدرها العقلاء طوعًا، فيجب أن يخضعوا لها كرهًا بالقوة والعمل فى طبقة العمال[٣].

---

(١) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ١٩٨٧، ص.٧

(2) Quinton Anthony, political philosophy. Oxford University press, 1967, p. 6

(٣) أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، الطبعة السابعة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٠، ص ١٢٥-١٩٤.

انظر: ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٩٢-١٩٤.

وكما قلنا إن الحكام لا بد أن يكونوا فلاسفة، فكذلك يجب أن يكون معظم وقتهم لدراسة المُثل Ιδεές والفلسفة ولا ينفقون إلا جانبًا صغيرًا من وقتهم على شئون الحكم.

فهؤلاء الفلاسفة يجب عليهم قبل مزاولة السياسة والحكم، أن يتخصصوا لدراسة الفلسفة من سن الثلاثين، وهم رجال ونساء يدربون على ولاية شئون الحكم في الدولة. فالجنسان فى الجمهورية يستويان، فهم يتلقون نفس التعليم، وتدرس الفلسفة خمس سنوات، تنتهى بعدها الدراسة النظرية التى يتلقاها الممتازون من الجنسين، ثم يبدءُون فى تدريبهم عمليًا على شئون الحكم، فينزلون من علياء تأملاتهم إلى الحياة اليومية، ومن أجل ذلك يقضون خمسة عشر عامًا يندمجون فى الحياة العملية[١].

ويظل هؤلاء الحكام الفلاسفة مضطلعين بشئون الحكم كبيرها وصغيرها حتى يبلغوا الخمسين من أعمارهم، فيعتزلوا الأعمال العامة، لينفقوا ما بقى من حياتهم فى مزاولة الفلسفة وتحقيق نظرياتها مستعينين فى ذلك بما أفادوه من تجارب فى حياتهم العملية، وكل هذا تقوم به الدولة نفسها وعلى نفقتها الخاصة ودون التفرقة بين الجنسين[٢].

وبالرغم من أهمية الحكام الفلاسفة فى شغل مناصب الحكم والسياسة فقد كان أفلاطون يدرك تمامًا عجز الفلاسفة عمليًا فى الشئون السياسية، فهو يكتب «ولم يتبقَّ إلا فئة قليلة من أولئك الذين هم جديرون بالارتباط بالفلسفة..» وأولئك الذين قد أصبحوا فيها، ويستطيعون أن يتذوقوا طعم السعادة Απάλαυσις ولهذه المنحة ممن يمكنهم جميعًا أن يفطنوا إلى الجنون المتفشى والتعفن الذى يكاد يكون شاملًا لكل عمل سياسى وفكر سياسى πολιτικη σκεψις والفيلسوف شبيه برجل فى عرين الوحوش[٣].

---

(١) هنرى توماس: أعلام الفكر الأوروبى من سقراط إلى سارتر، ترجمة / عثمان نويه، الجزء الأول، دار الهلال، د. ت، ص ٢٤.

(٢) د. على عبد الواحد وافى: الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى. دار المعارف، مصر، د. ت، ص ٥٣-٥٦

انظر: د. عبد الرحمن بدوى: أفلاطون، ص ٢٢٤.

(٣) جون باول: الفكر السياسى الغربى. ترجمة: محمد رشاد خميس، راجعه: د. راشد البراوى. الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص ٤٤٠.

ومع كل فقد كانت أعمال الفكر Φρονησις، ςωςή فى إبداع ونسق مستمر بين النظم السياسية، أو فى شيء خاص بعمل المشرِّع الفيلسوف كما يتصوره أفلاطون، وأول عمل للمشرع هو التوجيه والتشجيع، وذلك هو السبب فى أن أفلاطون يتمسك بألا تكون مواد الدستور الفلسفى الحق أوامر كثيرة عارية وكل منها مزود بالقصاص الذى يخصه. إذ إنه يرى أن يقدم لها الأقسام المختلفة من تشريعه النموذجى - بمقدمات يلتحم فيها التوجيه والتشجيع[١].

وكل ذلك يندرج فى المدينة المثالية التى ينشدها أفلاطون ولذلك نراه يتراجع فى الشرائع وتحديدًا عن بعض هذه الشرائع الواردة فى الجمهورية، والتى يتوقف عليها وحدة الدولة بنظره، ففى الشرائع يتخلى مثلا عن شيوعية النساء والأولاد. إلا أن هاجسه الأكبر يبقى تأمين وحدة الدولة والحيلولة دون انقسامها وصراع طبقاتها، هذا الانقسام الذى يلازم بنظرنا المجتمع السياسى والذى لن يزيله سوى زوال السياسى ذاته[٢].

ووجّه أفلاطون توجيهاته إلى حكام مدينته أن يتمسكوا بعقائدهم وأفكارهم الإيمانية، وكذلك المساعدين حيث لا يتوقع منهم أن يكون لديهم أى عقائد أو آراء حيث إنهم يأخذون آراءهم من خلال الحكم السياسى للدولة التى ينتمون إليها[٣].

ولكى يكفـل أفلاطون لنظامه السياسى الترسخ والسيطرة، أناط بحكام دولته السهر على مراقبة الأدب والقصص والخرافات، فالأدب يجب أن يلتزم قضية النظام وقيمة الأسس التى تركز عليها، ويجب على الحكام أن يسيطروا على ملفقى تلك الخرافات والأساطير التى تشوه الآلهة θεοί والأبطال. كذلك الأشعار التى تتعدى حدود الإله والتى ورد كثير منها عند هوميروس Όμηρος [٤].

وأكد أفلاطون كذلك على سيطرة العقل سيطرة كاملة وتفوقه على العاطفة، وأن كل شخص لا بد أن يجد سعادته فى تحقيق العدالة، أما الذين يجدون لذتهم فى الظلم والجوْر إنما يرمون بأنفسهم فى التهلكة ويقضون على وحدة المدينة.

---

(١) د. تيلـور: القوانين لأفلاطـون، ترجمة: محمد حسن ظاظا، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص٢١-٢٢

(٢) د. حسين حرب: أفلاطون، ص ٤٠.

(3) Shorey Poul: Plato's Republic, London, 1942, p. 15.

(4) Plato «the Republic». Translated - out of the Greece by: Benyamin. Jowett, New York, 1994, p.112-114.

لذلك فلا ينبغى أن يلجأ الحاكم إلى العنف، بل الإقناع لكى يحترم الناس القوانين السائدة فى مدينته، تلك القوانين Nόμοι التى كانت مفتقـدة فى الماضـي[١]، حيث كان فى العصور القديمة إصدار العقوبات تُعد إجراءات مقدسة للمخالفين، ومن ناحية أخرى يمكننا أن ننكر علمانية القانون والذى يحتمل أن يكون إيحاءً سماويًا سواء كان ذلك بالنطق أو عن طريق الكاهن أو التعذيب، فكل ذلك كان المصدر الأساسي للقانون وفى أوج المدينة (الدولة) كانت الأشكال الدينية وغير الدينية تلعب دورًا مهما بالنسبة لتشكيل قانون الدولة[٢].

أما بالنسبة لأفلاطون، فنجد نظرته إلى الدين من خلال محاورته الأخيرة (القوانين) فنراه يعبّر عن احترامه الشديد للدين والآلهة، وهو يرى أن كل دعوة للتشكيك فى العقيدة أو الإلحاد تؤدى إلى الإضرار بالمصلحة العامة للدولة.

ولقد أخطأ السوفسطائيون حين ظنوا أن الآلهة هى من اخترع الإنسان، فهذا الإنكار لا يمكن أن يصدر عن أهل فكر ونظر ولكنه يصدر عن الذين يغلبون شهواتهم على عقولهم، وأن العدالة الإلهية تلعب دورًا مهمًا فى الأمور الإنسانية ويجب أن يكون التقرب إلى الآلهة بالطقوس الدينية وحدها، بل يجب أن تكون الأفعال هى أفضل ما نتقرب به إلى الآلهة. وإن الإنسان كمـا يقول أفلاطون: « هو لعبة وآلة فى يد الأقدار» والمشّرع هو الـذى يعرف جيدًا طبيعـة هذه الآلهة كى يستطيع أن يقود الرجـال[٣].

تعقيب على السياسة عند أفلاطون:

إن جمهورية أفلاطون لأقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة Ἀλήθεια وإلى الاستبداد منها إلى الحرية، تقوم على فرض البشر كائنات صماء لا إرادة لهم ولا منازع ولا منافع، يخضعون لقوانين بلا مقاومة ويحترمون قيوده التى قيد بها الملكية والزواج والعاطفة الأبوية، وكلها غرائز طبيعية لا تُقهر. لقد أخطأ أفلاطون فهم طبيعة المرأة وحقيقة

---

(١) د. نازلى إسماعيل: تاريخ الفلسفة اليونانيـة، ص ٢٣٩.

(2) Ehrenburg Victor: «the Greek state», London، 1973, p.78.

(٣) د. نازلى إسماعيل: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٤٠.

وظيفتها فى المجتمع، وأخطأ فهم طبيعة الزواج إذ جعله مؤقتًا خاضعًا لاختيار الحاكم كأن بنى الإنسان عجماوات، وظن الروابط العائلية مدعاة للأَثَرة وهى أقوى عامل على إشعار الإنسان بالمحبة النزيهة والعطف الصادق(١).

ومن أجل أن يُبقى مدينته الفاضلة أسمى وأفضل المدن توخَّى أفلاطون تحقيق العدالة للإنسان؛ ومع ذلك يؤخذ عليه أنه لم ينصف طبقة الرقيق التى كان يقع على كاهلها أشق الأعمال التى قامت بها حضارة اليونان، ولم يفكر أفلاطون فى إمكانية إلغاء هذا النظام من مدينته الفاضلة فى الوقت التى ظهرت فيه عند معاصريه من السوفسطائيين دعوة إلى إلغائه بعد أن تبينوا ما فيه من قسوة وظلم لفئات كبيرة من المواطنين، وفى حين ذهب هؤلاء إلى القول بأن نظام الرق نظام مصطنع وبالتالى يمكن تغييره، ذهب أفلاطون إلى القول بأنه نظام مفروض بالطبيعة، وكل الذى أمكن أن ينتهى إليه هو الدعوة إلى حُسن معاملة الرقيق ومنع استرقاق اليونان لبعضهم(٢).

كذلك لم يتورع أفلاطون عن القول بإعدام الأطفال الزائدين عن الحاجة والمرضى والضعفاء، كأنه ليس لهم أنفس يجب احترامها، وكأنه لم يُقل إن النفس أشرف وأسمى من الجسم بدرجة طائلة فيجب أن يُحسب لها حساب قبل القوة البدنية والنفع المادي(٣).

وبالرغم من هذا فإن أفلاطون كان يريد لدولته البقاء وذلك حتى من خلال التضحية بالفرد فى سبيل الدولة، حيث إنه غير مسموح أن تكون للفرد مصلحة بمعزل عن مصالح الدولة. والمصالح الخاصة تتصادم مع مصالح الجماعة ولهذا يجب استئصالها، واعتقد أفلاطون أنه يمكن أن يقضى على الأنانية وإدراك العدالة، ولكننا نجده فى كتابه «الجمهورية» إنه لا يزال مليئًا بالأوهام، وأراد أن يقيم نظامًا سياسًا من خلال الاشتراكية(٤).

---

(١) د. إبراهيم بيومى مدكور ويوسف مكرم: دروس فى تاريخ الفلسفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٣، ص ٢٢.

(٢) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٢٢٢.

(٣) ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٩٤.

(4) Glotz G.: the Greek City and its institution, London, 1929, p.321.

ولكنـه لم يستطع أن يحقق كل ما تمناه لتورطه فى بعض المغالطات، ومنها أنه شبّه الحاكم بالعالِم المتخصص والتزامه بفئـة أفضل من التزامه بالقانون، ويشبّه القانـون برجل جاهلٍ عنيد قـد يصلح حكمه للأكثرية بشكـل عام لكنه لا يصلح فـى كل المجالات[1].

كذلك وقف أفلاطون موقفًا عدائيًا بالنسبة للمرأة، فقد أراد تجريدها تمامًا من معانى الأنوثة، فهو لا يتحدث عنها بوصفها امرأة إلا بكثير من الاحتقار فهو يصنِّفها مع الحيوان والأطفال والمجانين.. إلخ. كما يضعها بين مقتنيات الرجل، وألا تقوم العلاقة بينهما على الحب والود بل تكون علاقة «لا شخصية». ويصل فى ازدرائه للمشاعر الطبيعية للمرأة وفى امتهانه لكرامتها، إلى حد القول بأن المحارب الشجاع ينبغى أن يُكافأ على بسالته بمزيد من النساء أو من «حقوق التناسل» (٤٧٨) وعلى المرأة أن تقبل هذا الوضع[2].

وفـى محاورة الطيماوس يروى لنـا أفلاطون كيف خلقت المرأة فيقـول: «الطبيعة البشرية نوعان: الجنس الأسمى وسوف نسميه من الآن فصاعدًا اسم «الرجل» (طيماوس ٤٢ أ) والمرأة تأتى من الرجل الشرير صاحب الرذائل)[3][*].

وطبيعة أفلاطـون هذه لا تخرج عن صورة المجتمع اليونانى أيضًا فى كراهيته للمرأة، وهذا بالطبع نتيجة أن أفلاطون لم يتزوج ولم يُعرف لديه ميل نحو النساء أو أى وجود لامرأة فى محاوراتـه.

الأخـلاق عند أفلاطون:

بدأ أفلاطون فلسفته الأخلاقية من حيث انتهت فلسفة سقراط، لذلك فقد غلبت

---

(١) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، ص ٢٩.

(٢) د. إمام عبد الفتاح: أفلاطون والمرأة، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولى. ١٩٩٦، ص ٦٢، ٨١.

* جـاءت هذه العبارة على لسان (سيمون دى بوفوار).

(٣) المرجع السابق ذكره، ص ١٢١.

انظر: أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، ص ١٢٤.

على محاوراته الأخلاقية المبكرة تلك الروح السقراطية التى تميل إلى تقديس الواجبات والقوانين المتوارثة باعتبارها حقائق إلهية مطلقة. كما نجد مثلًا فى محاورات أقريطون وبروتاجوراس وجوجياس.

ويرى أفلاطون أن يتجنب اللذة الحسية التى تتعلق بالنفس الشهوانية، أما اللذة العقلية فهى اللذة الحقيقية الخالصة من كل ألم والتى تليق بالنفس العاقلة، ومن يستطع تذوق الجمال الخالص للعالم ومن يعلم حقيقة الخير الذى هو مبدأ جميع الموجودات فلا شك أنه سيحاول تأمل العالم المثالى والتمسك بالحكمة والفضيلة حتى يبلغ السعادة التى هى غاية الفيلسوف. وهكذا يكون الخير فى ذاته أو الخير المطلق مبدأ المعرفة ومبدأ الأخلاق على السواء.

وبهذه الطريقة أيضًا يحقق الفيلسوف الذى حظى بمعرفة عالم المُثل الفضيلة العليا التى يسميها بالعدالة[1].

فالفضيلة ليست هى عمل الحق، فقد يُعمل الحق على أساس باطل فلا يكون فضيلة، فليس يشترط فى الفضيلة معرفة ما هو الحق فقط، بل يشترط أيضًا معرفة لم كان هذا الحق حقًا... لهذا كانت الفضيلة فى نظره العمل الحق صادرًا عن معرفة حقة بقيمة الحق... ولهذا فرّق أفلاطون بين الفضيلة الفلسفية والفضيلة العادية التقليدية، فالأولى مؤسسة على التفكير وفهم الأساس الذى بُنى عليه العمل، والثانية عمل حق نشأ على عُرف أو تقليد أو غريزة أو عطف أو نحو ذلك، فعل الخير لأن الناس يعملونه من غير فهم لماذا كان هذا حقًا هو فضيلة الطيبين من عامة الناس[2].

أما عن الخير، فالخير الأقصى عند أفلاطون ليس غاية واحدة بل هو مركب مؤلف من أجزاء أربعة:

أول هذه الأجزاء وأكبرها هو معرفة المُثل كما توجد فى ذاتها.

ثانيًا: تأمل المُثل كما تكشفها نفسها فى عالم الحس ومحبة وتقدير كل ما هو جميل ومرتب ومتناغم.

---

(١) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٢٢٤، ٢٢٦.

(٢) أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، ص ١٢٢.

ثالثًا: إقامة العلوم المختلفة والفنون الخاصة.

رابعًا: الانغمار فى اللذات النقية البريئة الخالصة للحواس وبطبيعة الحال مع استبعاد ما هو شرير[1].

وكثيرًا ما ردد أفلاطون فى كلامه كلمة «السعادة» مما يدل على أنه يراها غاية الغايات، وأن العمل كلما أوصل إليها كان خيرًا، والعكس. ولكن ما السعادة التى يعنيها ؟.

لم تكن السعادة فى رأى أفلاطون هى اللذة التى فسرها كثير من النفعيين أمثال بنتام وچون ستيوارت مل، بينما السعادة فى رأى أفلاطون أنها تتكون من أربعة أجزاء: أولًا: - وهو أهمها - العلم بعالم المُثل وهو الفلسفة. ثانيًا: تفهم الارتباط بين عالم المُثل وعالم الحس، وكيف يتجلى عالم المثل على عالم الحس. وذلك يستتبع عشق ما فى عالمنا من جمال ونظام وتناسق. ثالثًا: التثقف من أنواع من العلوم والفنون، رابعًا: التمتع بلذائذ هذا العالم النقية البريئة الطاهرة والترفع عما هو منها دنىء.

هذه هى السعادة أو الفضيلة الفلسفية، ولم يُجرّد أفلاطون الفضيلة العادية من القيمة، بل قال إن الإنسان لا يستطيع أن يقفز دفعة واحدة إلى قمة الفضيلة الفلسفية، بل لابد من المران وغرس الفضائل العرفية والعادات الحسنة، حتى إذا جاء دور التفكر والتأمل كان الاستعداد لذلك حاصلًا، واستطاع الإنسان أن يصعد على هذا الأساس[2].

ويرى أفلاطون أن الجمال فى الفنون يرجع إلى هذا التناسب والائتلاف الموجود فى الأشكال والألوان والأصوات، وعلى هذا النحو أيضًا يفسر الجمال النفسانى الذى يسميه بالخير أو العدالة أو الفضيلة.

وعلى هذا النحو يمكن لأفلاطون أن يتبين اتفاقًا كبيرًا بين قوانين الطبيعة وقوانين النفس الإنسانية وقوانين المجتمع، فما دامت الطبيعة تكشف عن نظام وتدبير وما دام المجتمع بدوره ينظمه قانون يتحقق به التآلف والنظام بين طبقاته؛ فكذلك أيضًا تخضع الحياة الأخلاقية لتنظيم يحقق التآلف والنظام بين قواها المختلفة، ومن هنا ينتهى أفلاطون إلى القول بأن الطبيعة لا تتعارض مع القانون.

---

(١) ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٩٠.

(٢) أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، ص ١٢٢-١٢٣.

كما يقول السوفسطائيون، ويتضح هذا الاتفاق فى النص الذى ورد فى محاورة جورجياس يقول: «لكى يكون الإنسان سعيدًا، فينبغى عليه الالتزام والاعتدال وينأى عن الإسراف، فتتحقق العدالة فى حياته وفى الدولة.. بل يؤكد العلماء (يقصد الفيثاغوريين) ياكاليكليس أن السماء والأرض والآلهة والبشر تربطهم جميعًا رابطة الحب وتلتزم جميعًا بمراعاة قوانين التناسب والعدالة، ومن أجل ذلك فقد سمى الكون بالنظام ولم يُسمَّ بعدم النظام».

ويترتب على هذه النظرية التى توفق بين الطبيعة والقانون، أن الطبيعة نفسها قد قضت بقانون الطبقات والتميز بينها فهو تميز فرضته الطبيعة، كما أنها حددت لكل طبقة خاصة لا يجوز له التنازل عنها[1].

وبالنسبة لرأى أفلاطون فى المرأة فكان يرى أنها أحط درجة من الرجل، فالمرأة والرجل عقليًا من نوع واحد ولكن الرجل يفضلها. ورأيه فى الزواج فهو يرى أن الزوجة ليست المثل الأعلى فى زمالة الرجل وصداقته. وقد أجاز أفلاطون الاسترقاق وقالإنه ظاهرة مشروعة.

وعلى الرغم من من نقد الكثيرين لآراء أفلاطون، فإننا نجد أفلاطون يدعو قائلًا: «إنه ليس من الخير مطلقًا أن نفعل شرًا، سواء كان ذلك الشر موجهًا إلى عدو أو صديق، وواجب على الإنسان أن يعامل أعداءه بالخير لعله يكون منهم أصدقاء، ومن الفضيلة أن ترد الشر بالخير فذلك أسمى من أن تجاوب الشر بالشر»[2].

الفـن فى رأى أفلاطـون:

ونحن لا ننكر دور أفلاطون فى الفن حيث دارت معظم أحاديث أفلاطون عن الفن فى محاوراته العديدة، فتحدث عن صلته بالتربية والأخلاق والحياة الاجتماعية، وقدم أول نظرية فى تاريخ الفلسفة فى شرح معنى العمل الفنى.

---

(١) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، ص ١٢٤-١٢٥.

هذا بالإضافة إلى ما نصادفه فى كتاباته من آراء تؤكد نضج أحكامه الفنية، وقدرته على النقد والتحليل Άναλυσις [1].

ويؤكد (أفلاطون) أن الفن الحقيقى هو الذى يلذ الأفاضل لا العامة، ويُرضى الآلهة بشكل أساسى مع أنه قد يرضى العامة على نحو عرضى.

وأن المميزين بالحكمة والفضيلة هم الذين يجب أن يحكموا على المسرح، ويقيموا الفنون كمعلمين، لا العامة الجاهلة التى تقترع على الفنون الديمقراطية برفع الأيدى.

إن هذا هو أسوأ حكم فنى على الإطلاق بنظر أفلاطون (الشرائع، الكتاب الثانى، ص ٤٧) إن الفن الحقيقى لا ينتجه سوى الفيلسوف لأن الفن إذا لم يتضمن الحقيقة لا يكون فنًا على الإطلاق[2].

كذلك يجعل أفلاطون من الحب Άγάπη دافعًا وملهمًا للفنان الحقيقى، ويقول إن الحب يهدف دائمًا إلى بلوغ الجمال.

أما نظريته فى الجمال فإنها توحد بينه وبين الخير وتفترض تلك النظرية أن للحب والجمال درجات، فأول درجات الحب هى التى تقف عند الجمال المحسوس المتمثل فى شىء معين، لكن جدل الحب يصعد بالمحب بعد ذلك من التعلق بالجمال المحسوس إلى العلة أو الجمال المعقول الذى هو مبدأ الجمال فى كل شىء. ويقول فى الجمهورية: «ألا يجب أن نبحث عن الفنانين الموهوبين فى تقصى طبيعة الجمال والخير، فيتشرب النشأ الجمال بفضل ما تقع عليه أبصارهم وآذانهم كما يستنشقون الهواء فيعشقون الجمال ويحاكون».

وبالنسبة للموسيقى فيقول أفلاطون: «إذا كانت الموسيقى أهم وسائل التربية، أفلا تكون كذلك لما تبعثه من إيقاع ومن نغم يؤثران فى النفس؟ ألا ينبغى لها أن تؤدى إلى حب الجمال؟»[3]. وكان أفلاطون قبل أن يفد إلى وادى النيل قد درس الموسيقى اليونانية على

---

(١) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٢٣١.

(٢) د. حسين حرب: أفلاطون، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) محمد عبد الحميد بسيونى: بانوراما فرعونية، سلسلة الألف كتاب الثانى. الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ١٠٤، ١٠٥.

يد أحد مشاهيرها، وعندما ننظر إلى فلاسفة اليونان كلارفيوس وفيثاغورث وأفلاطون وغيرهم ممن وضعوا أسس الموسيقى اليونانيـة ورياضياتها نجدهم هم أنفسهم تلامـذة المصريين، وكان أفلاطـون نفسه يفضل الموسيقى المصرية والمغنى المصرى على موسيقى ومغنى بلاده.. ولقد تخيل فى كتاب الجمهورية شعبًا وضع له المثل الأعلى من القوانين والأنظمة.. فلم يسمعه غير الموسيقى المصرية القديمة التى وصفها بأنها أرقى موسيقات العالم.. إنها خير نموذج للموسيقات القِّيمة.. تجمع فيها النشاط والتعبير عن الحقيقة والجمال وحلاوة النغم. ولذلك فهو يقترحها لليونان ولجمهوريته.

ويقول أفلاطون الذى تعلم فى مصر.. «لم تكن الموسيقى عند قدماء المصريين حرة بل قيدتها القوانين، فتحتم على الأطفال مزاولتها فى سن معينة، كما أنه لم يكن مسموحًا للشباب أن يتغنوا إلا بما ينتقيه لهم الموسيقيون المصريون من الموسيقى الجيدة التى تطهر النفس ويتخيرون لهم من الأغانى الحاثة على الفضيلة ومكارم الأخلاق».

وكان محظورًا على الموسيقيين كجميع المشتغلين بباقى الفنون الجميلة ابتداع أى شىء جديد، بل عليهم أن يحذوا حذو النماذج القديمة؛ مما أدى إلى الحفاظ على التراث الموسيقى المصرى وتأثرت سائر الأمم بالحضارة المصرية القديمة وخاصة الحضارة الإغريقية[1].

ويؤكد أفلاطون على المحاكاة μεμησις الجيدة، فإنها ضرورية لصدق الفنان للتعبير عن ما يؤمن به من مُثل عليا.

وقد عارض أفلاطون معيار المحاكاة الحرفية للواقع، وهو المعيار الذى ساد الفن فى عصره، ووصف هذا الفن بأنه فن لا يبغى سوى اللذة وإثارة الانفعالات التى تضر بالنفس، وإليه ينصرف المعنى السيئ للمحاكاة.

وكان أفلاطون ينظر للفن الجيد بضرورة ارتباطه بالحقيقة المثالية والجمال المطلق، وأن يكون فنًا يخدم المجتمع المثالى الذى وصفه فى جمهوريته المثالية. وهكذا نرى أن أفلاطون قد كرس رسالة الفن لخدمة الفلسفة، ووفق بين رسالة الفنان ورسالة السياسى. فأكد الارتباط الوثيق بين الجمال والحق والخير على السواء[2].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٢) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٢٣٣-٢٣٩.

ومن الجميل أن ربط أفلاطون بين تصورات الحق والخير والجمال تكرر فيمن جاء بعده وخاصة الفليسوف أفلوطين، وهذا ما سنوضحه.

أثـر افلاطون فيمن جاء بعـده (أفلوطين نموذجًا): (٢٠٥ م- ٢٧٠م)[١]

أفلوطين هو صاحب مذهب الأفلاطونية الجديدة، وقد سُمى هذا المذهب بهذا الاسم لأنه وليد تعاليم أفلاطون، وبالرغم من أن الأفلاطونية الجديدة تختلف اختلافًا جوهريًا عن الأفلاطونية الأصلية، لأن الأفلاطونية الجديدة تقوم على خلق المذاهب الفلسفية اليونانية، كالفيثاغورية وأرسطو والرواقية بالفلسفة الأفلاطونية.

كما نجد فيها بعض الجوانب الفكرية التى يمكن ردها إلى المعتقدات الدينية والأساطير والطقوس الخاصة بالشرقيين واليونانيين على السواء.

أما الأفلاطونية الأصلية التى نجدها فى الأفلاطونية الجديدة فتكاد تقتصر على أقل الجوانب أهمية من فلسفة أفلاطون. فلم يستخدم أفلوطين فى تاسوعاته[٢] إلا نظرية المثـل والتعاليم الصوفية التى وردت فى فيدون ومناقشة الحب التى وردت فى المائدة[٣].

---

(١) ولـد أفلوطين بمدينة ليقوبوليس(أسيوط حاليًا) بمصر عام ٢٠٥م فى أسرة ميسورة، اهتمت بتعليمه منذ الصغر، وتتلمذ منذ الصغر فى مدرسة أمينوس سكاس الأفلاطونى السكندرى ومكث بها إحدى عشرة سنة ثم حدثت له أزمة نفسية ترك فيها الإسكندرية وانضم إلى الإمبراطور جورديان فى حملته على سوريا لطرد الفرس، ولكن هزيمة الإمبراطور أدت إلى لجوء أفلوطين إلى روما واستقر بها وكان فى الأربعين من عمره ـ وأخذ فى نشر فلسفته. ويقال أنه كانت له بصيرة نافذة فى الطبائع البشرية ـ واستطاع أن يتنبأ لكثير من الأطفال الذين كان يتعهد بتربيتهم بمستقبلهم بالفشل أو بالنجاح، وكان زاهدًا فى حياته لتطهير الروح من أدران الجسد، وكان لا ينام إلا قليلا وللضرورة القصوى وحرّم على نفسه أكل اللحوم، وأعتق ما يملك من الرقيق وكان يصوم يومًا بعد يـوم.
د. أميرة حلمى مطـر: الفلسفة عند اليونان، ص ص ٤٣٥ – ٤٣٦.
انظر: أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الفلسـفة اليونانية، ص ٢٣٢.

(٢) هى مذكرات تركها أفلوطين بخط ردىء، وجمعها تلميذه (فورفريوس) ونظمها ونشرها وجمعها فى ستة تاسوعات، وقسمت حسب الموضوعات وليس حسب نظام زمنى معين، والتاسوع الأول يحتوى على موضوعات أخلاقية والثانى يبحث فى الموضوعات الخاصة بالطبيعة والثالث يتناول موضوعات خاصة بالعالم، أما الرابع فيبحث فى النفس، والخامس يتناول العقل والحقيقة التى تعلو على العقل، أما السادس والأخير فيتناول موضوعات مختلفة ومنطقية. فيكون مجموع البحوث أربعة وخمسين بحثًا أكثرها أشبه بشروح لفلسفة أفلاطون وأرسطو.
والنظرية الرئيسة فى هذه التاسوعات تتلخص فى وصف مسيرة النفس فى صعودها إلى العالم العلوى وهبوطها إلى العالم الأرضى.
د. أميرة حلمى مطـر: الفلسفة عند اليونان، ص ص ٤٣٦ – ٤٣٧.

(٣) حسن عبد الحميد: مدخل إلى الفلسفة، ص ١٢٧.

ومن يتفحص فلسفة أفلوطين يجد ثمة طريقين، طريقًا ميتافيزيقيًا يسير من الواحد إلى الكثرة، وطريقَ صعودٍ صوفيًا يتلخص فى العوده من الكثرة إلى الوحدة الأصلية. بمعنى آخر يمكن أن نتبين فى فلسفة أفلوطين ميتافيزيقا أو مذهبًا فى الوجود ونظرية أخلاقية.

وأخذ أفلوطين يفرق بين العالم العقلى والعالم الحسى. ووصف العالم بأنه مصدر الوجود والقيم العليا، فهو عالم الحقيقة الذى يتضمن مبادئ وجود كل شىء، وهو مصدر الحق لأن منه تستمد الحكمة والعلم هو مصدر الخير والجمال فى الوجود[1].

وهذا العالم كثير الظواهر دائم التغير، وهو لم يوجد بنفسه، بل لابد له من علة سابقة هى السبب فى وجودها، وهذا الذى صدر عنه العالم واحد غير متعدد، لا تدركه العقول، ولا تصل إلى كنهه الأفكار، وهو أزلى أبدى. قائم بذاته، فوق المادة والروح والعالم الروحانى. خلق الخلق ولم يحلَّ فيها خلق، بل ظل قائمًا بنفسه على خلقه، ليس ذاتًا وليس صفة، هو الإرادة المطلقة، وهو لا نهائى. فلسنا نعلم عن طبيعة الله شيئًا إلا أنه يخالف كل شىء، ولأن الله فوق العالم ولأنه واحد، لا يمكن أن يصدر عن العالم المتعدد.

ويقول أفلوطين إن الله علة العالم وأن الله فوق العالم ولا يمكن أن يصل به أى اتصال. فهذان قولان متناقضان، ولذلك لجأ أفلوطين إلى محاولة التوفيق بينهما ويقول: «إن تفكير الله فى نفسه وكماله نشأ عنه فيض، وهذا الفيض صار هو العالم، كما يبعث اللهب ضوءًا، والثلج بردًا، كذلك فانبعث من الله شعاع، كان هو العالم، وعلى ذلك فالكون قد انبثق من الله انبثاقًا طبيعيًا بحكم الضرورة. وأول شىء انبثق من الواحد هو العقل الذى يقوم بوظيفتين، هما وظيفة التفكير فى الله ووظيفة التفكير فى نفسه، وقد خلع أفلوطين على هذا العقل شيئًا من خصائص المثال عند أفلاطون»[2].

من هذا العقل انبثقت نفس العالم، ولهذه النفس ميلان فتميل علوًا إلى الواحد وتميل سفلًا إلى عالم الطبيعة، وقد انبثقت منها النفوس البشرية التى تسكن هذا العالم. فنفس

---

(١) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٤٣٩.

(٢) أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.
انظر: د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٤٣٩-٤٤٣.

العالم- كالعقل- تنتمى إلى العالم الإلهى الروحانى الذى يقع فوق الحس، وهى تعيش عيشة خالدة.

مـن هذه النفس أو نفس العالم - خرجت نفس ثانية أطلق عليها أفلوطين الطبيعة. والطبيعة، بناء على ذلك، هى قوة النفـس السارية فى عالم الحيوان والنبات والمعـادن فهـى القوة الفاعلة أو اللوغوس المعبر عن النفس الكليـة. وتقوم الطبيعة بتوصيل مبادئ الأشيـاء المحسوسة أو ما يسمى بالأصول البذرية[1] التى تشكل المادة بحسب المثل العقلية، وهذه الأصـول البذرية[*] تشكل المادة كما يشكل الخاتم الشمع بطابعه، وكذلك ينشأ العالم المحسوس الذى نعرفه، وسبب نشأته هو أن النفس الكلية تحاول قدر الإمكان أن تخلق بدورها ما تراه وما تتأمله فى العالم العقلى. فالتأمل والخلق عمليتان مرتبطتان عند أفلوطين كل الارتباط، والنفس هى فى النهاية التى خلقت الحيوانات كلها وأضفت الحياة على كل ما هو فى الأرض أو البحر أو السمـاء[2].

ونجد عند أفلوطين تعمق فيدون فى حقيقة النفس مرتبطًا بالنظرة العالمية اللاهوتية لطيماوس ومتحدا بها فى صورة ميتافيزيقا سيكولوجية عجيبة، ويؤمن أفلوطين بوجه عام على رأى أفلاطون بأن النفس البشرية تدخل الهاديس مقر الموت، بحسب ما كانت عليه أخلاقها أثناء حياتها فى هذا العالم.

وعـلاج أفلوطين لمسألة الخلود فى التساعيات الرابعة أنه يربط موقـف أفلاطـون من تلك المسألة فى فيـدون بموقفه منها فى طيمـاوس، فالخلود ليس صفة هذه النفس أو تلـك فحسب إنما هو قبل كل شيء حقيقـة العالم كله، صفة الكـون بأكمله، إنه متعلق بوجود كلى. إن موقف فيدون مقترن فى ذهنه بموقف طيماوس. ويحاول أفلوطيـن التوفيق بينهما بحيث يظهـر خلود النفس الفردية تابعًا لخلود النفس الكلية ونتيجـة له. ويتم ارتباط الموقفيـن عن طريق محاورتَى فايـدروس والسوفسطائى، بينما اهتمت محـاورة فيدون بتأسيس خلود النفس الفردية على مثـل الحياة وعملت محاورة فايـدروس على بيـان الطبيعـة العالمية للنفـس، كما عملت محاورة السوفسطائى على

---

(١) أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، ص ٢٣٤.

(*) أنظر ترجمة هذا المصطلح فى كتاب: تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، ص ٢٩٠.

(٢) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٤٤٦.

نسبة الحياة إلى الوجود بأكمله. وبالتالى أصبحت النفس كما تبدو فى محاورة طيماوس حقيقة من حقائق الوجود بأكمله، وهذا ما يُعنى به أفلوطين قبل كل شيء.

وقد عرف أفلوطين طريقًا أفضل من العقل والفلسفة ذاتها للوصول إلى الحقيقة الإلهية، ولتعدى الشروط الإنسانية حتى أثناء هذه الحياة. وهو الطريق الصوفى. وقد سجل له نص شهد له فى بداية الفصل الثامن من التساعيات الرابعة شيئًا من تجربة يلمس الإنسان فيها تحرر النفس من أغلال البدن ثم هبوطها إلى عالم البدن والاتحاد بالبدن، ويقول النص:

«كثيرًا ما أتيقظ فسأجدنى هاربًا من جسمي. غريبًا عن كل شيء سوى نفسي. وفى أعماقها أشاهد جمالًا أعجب ما يكون. فأقتنع عندئذ بعظم مصيرى. ويبلغ نشاطى أعظم مبلغ، إنى متحد بالكائن الإلهى ساكن فيه، فوق جميع الكائنات المعقولة. ولكنى بعد هذه الراحة فى الكائن الإلهى أهبط إلى العقل ومن العقل إلى الفكر. ثم أتساءل: وكيف أهبط هكذا؟ وكيف يتأتَّى لنفسي- التى ظهرت لى الآن فى ذاتها- أن تحل فى جسم؟»[1].

وحديث أفلوطين عن تجربة الجذب التى تصل بها النفس إلى حالة السكون عند اتحادها بالواحد، وهى حال لا يصل إليها كل الناس وإنما الفلاسفة وحدهم وأحيانًا نادرة ولفترة قصيرة. فيغمر النفس نور هو نور المصدر الأول للوجود، فالشمس كما يقول لا تُرى بنور آخر غير نورها. وهذه التجربة تصدر عن تجربة شخصية مصدرها التأمل الباطنى. وتطهير النفس من كل العلاقات المادية، ويروى فورفوريوس أنها لم تحدث لأفلوطين طول مدة اتصاله به إلا أربع مرات.

أما الشر الأخلاقى فيقدم لـه أفلوطين تفسيرات أسطورية يستمدها من محاورات أفلاطون فيذكر أن النفس معرضة للزلل، فبدلًا من اتجاهها إلى التأمل العقلى الذى يصلها بالواحد. يحدث أن تتجه إلى المحسوس فتخطئ الاتجاه فلا تتأمل إلا نفسها

(١) أفلاطون: الأصول الأفلاطونية: - فيدون، ص ٢١٣-٢١٧.

فيكون مصيرها مصير النرجس Narcissus الذى تروى الأساطير القديمـة أنه كان شابًا معجبًا بذاته، فأغرتـه صورته حيـن رآهـا فى الماء حتى سقط فيـه فغرق فأنبتـت الآلهة مكانـه على الشاطئ زهـرة النرجـس، وهكـذا يكون سقوط النفس إذا أخطأت الرؤية والتأمل[1].

(١) د. أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٤٥٨-٤٥٩.

الخاتمة

تشتمل على أهم نتائج البحث:

أرض مصر هى رحم الوجود الخصب الذى تولدت منه سائر العلوم والمعارف المختلفة تحت ما يُسمى بالفلسفة، فهى التى تجمع تحت لوائها كل العلوم، وبذلك نعتبر أن كل تفكير وُجد فى أى فترة من الفترات السابقة فى الشرق القديم مصر أو اليونان سواء كان تفكيرًا علميًا أو دينيًا أو فلسفيًا أو بأى لغة أخرى حسب ما يُتفق عليه فى المصطلح الحديث يُعد تفكيرًا فلسفيًا، بالإضافة إلى أن الحضارة المصرية القديمة قد سبقت الحضارة اليونانية بصفة خاصة فى العلوم الطبيعية والدينية أو أفكارها عن البعث والخلود وفى الطب والهندسة والتحنيط، وأن هذه الأمور كلها وإن كانت تختلط ببعض الشوائب ولكنها تُعدتفكيرًا فلسفيًا متقدمًا عندما تُقاس بالعصر الذى وُجدت فيه.

وبالرغم من بداءة التفكير فى الفترات الأولى، فإن قدماء المصريين يُعدُّون سابقين لعصرهم، لأنهم لم ينحوا المنحى الأسطورى. بل نحوا المنحى العلمى الذى لم نجده عند اليونان الذين جاءوا بعدهم واختلط فكرهم بالفكر الأسطورى. حيث أن المصريين قد أنشئوا العلوم المختلفة سعيًا لتحقيق غايات علمية وعملية ودينية، ولم يكن هدفهم البحث النظرى المجرد فى الأشياء، مثلما كان يفعل فلاسفة اليونان. فإن مصطلح الفلسفة اليونانية أو الإغريقية هو تسمية خاطئة، حيث لا وجود لفلسفة لها هذه الخصوصية، فلقد استحدث المصريون القدماء مذهبًا دينيًا شديد التعقيد سُمى نظام الأسرار والذى كان أيضًا أول مذهب عن الخلاص، ويرى هذا المذهب أن جسد الإنسان سجن للنفس التى يمكن لها أن تتحرر من قيودها البدنية وذلك عن طريق التمرّس على فروع المعرفة من فنون وعلوم.

وبذا ترتقى وتسمو من مستوى الوجود الفانى إلى مستوى إلهى خالد.

وكان هذا هو مفهوم الخير الأسمى الذى يجب على جميع الناس أن ينشُدوه وأن يطمحوا إليه.

كما أصبح أساسًا لجميع المفاهيم الأخلاقية، وكان نظام الأسرار المصرى نظامًا يتوخى السرّية، ويتلقى المؤمن أو المريد المبتدئ التعاليم شفاهية وتتدرج هذه التعاليم وفق مراتب متصاعدة.

وطوّر المصريون فى ظل ظروف السرّية والتكتم هذه نظمًا سرّية للكتابة والتعليم، وحظروا على أعضائها تدوين ما يتلقون[1].

وقد أنتجت لنا التربة المصرية «المدرسة الفلسفية المصرية القديمة» وكان منهج البحث لدى قدماء المصريين يعتمد على وجود فكرة مركزية أساسية، لابد أن يخرجوا منها بأشياء، ووسائل البحث لديهم أدت إلى نتائج علمية هائلة فكان المصريون يبدءُون من رأس قمة الهرم حتى يصلوا إلى القاعدة، لأن أى إنسان يمكن أن يبنى قاعدة عريضة، ولكنه يصعب عليه أن يصل إلى الرأس أى (قمة الهرم) حتى تكتمل الفكرة الأساسية، بينما نجد أن اليونانيين يبدءون من الأجزاء المتناثرة كل على حدة، فالهرم لديهم يبدأ من القاعدة وليس من القمة، وأنهم يفتقدون لوجود الفكرة المركزية، ومن هذه الأشياء المتناثرة يشكلون القانون العام لكى يصلوا إلى ذلك. ومنهج البحث عند اليونانى هو أن أى شيء وكل شيء يخرج من الأفراد وليس من الحاكم، وهذا عكس قدماء المصريين، لأن كل شيء لديهم يخرج من سلطة الملك، لأنه هو الذى يُمثّل السلطة المركزية.

وتتكشّف لنا النتيجة المأساوية الواضحة وهى نقل الإغريق للتراث الفلسفى المصري؛ لأن هذه الفلسفة كانت لا تُدوَّن كتابة، وإنما تُلقّن شفاهة، بعد أن قام الإغريق بترجمتها إلى اللغة اليونانية أثناء وجودهم فى مصر لدراسة التعاليم المصرية القديمة فى مدارس مصر وجامعاتها، وعلى رأسها مدرسة عين شمس.

---

(١) چورج چى. إم. چيمس: التراث المسروق، ص١٧.

«فالفلسفة إذن هى مهبط أرض الفراعنة منذ القِدَم، وإن قدماء المصريين هم واضعو الفلسفة الأولى التى تفرعت منها معانى الفلسفة المختلفة على اختلاف أنماطها بالنسبة لحضارات وشعوب العالم، لأن الإنسان هو الإنسان فى كل زمان ومكان، وإنما المؤثرات والأفكار هى التى تُشكل عقله ووجدانه وبذلك يستطيع أن يكوّن مواقفه وفلسفاته».

ومن ثَمَّ بدأت أفكار وتأملات قدماء المصريين تنبثق من الوادى الخصيب الذى أثمر لنا خلاصة الفكر الفلسفى التأملى. فاعتقد المصريون أن حياة العالم قد انبثقت من محيط مائى (الهيولى المائى) ممتد فى سائر الاتجاهات، وهذا الاعتقاد قد تولّد لديهم نتيجة تأثرهم الشديد بالظواهر الطبيعية التى تتميز بها أرض مصر، مثل ظاهرة فيضان النيل الذى يفيض كل عام على أرض مصر الزراعية، ويحوّل الوادى إلى الهيولى المائى الذى ستُبعث منه الحياة والدنيا من جـديد.

فكان الفيضان معجزة تتكرر كل عام، وتنشأ منه الأرض مرة أخرى. ومن ثمَّ كان المصرى القديم هو أول من قال بمبدأ أصل الكون هو الماء قبل طاليس[1] الذى قال بهذا المبدأ أيضًا ولكنه زاد عليه بأن النبات والحيوان يتغذّيان بالرطوبة، ومبدأ الرطوبة هو الماء، ثم إن النبات والحيوان يولدان من الرطوبة، فإن الجراثيم الحيّة رطبة، وما منه يولد الشيء فهو مكوّن منه بل إن التراب يتكون من الماء ويطغى عليه شيئًا فشيئًا، وهذا التفسير نتج عن وجوده فى أرض مصر وانبهاره بظاهرة فيضان النيل الذى يغمر الدلتا بالطمى المتراكم عامًا بعد عام، ونظرية طاليس عن خلق العالم ليست بالشيء الجديد، فقد قال بها فى البدء المصرى القديم «حيث إنه فى البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول حيث وجود الإله الأول الصانع للآلهة والبشر والأشياء» وقد مرّت بنا عبارة هوميروس أن أقيانوس المصدر الأول للأشياء، ومن قبل قالت أسطورة بابلية فى البدء قبل أن تسمى السماء وأن يعرف للأرض اسم كان المحيط وكان البحر، وجاء فى التوراة: «فى البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه القمر ظلام، وروح الله يرف على وجه المياه»[2].

---

(١) هنرى توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ص٦٩.

(٢) د. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٢، ١٣.

انظر: د. جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيون، ص٢٧.

وبالطبع نؤكد أن روايات قدماء المصريين عن معتقداتهم وتأملاتهم الخاصة بالكون كان لها السبق والريادة فى هذا المضمار.

ولا شك أن الفكر بصفة عامة والفكر الدينى بصفة خاصة متداخلان تداخلًا وثيقًا، فالمصريون القدماء لم يفصلوا أبدًا بين معتقداتهم وملاحظاتهم أو تجاربهم فى كل محاولاتهم للوصول إلى تفسير للعالم والحياة.

أجل لم يكن التفلسف بعيدًا عنهم، فبعد تحديد بعض العناصر التى تُكوِّن مبحثًا قصيرًا فى سيكولوچيا المعرفة، وخلق العالم الذى قام به الإله بتاح إله منف الذى كان مقدّرًا لكهنته منذ فجر الدولة القديمة أن يعكفوا على صياغة قصة للخلق، لها فكر فلسفى حقيقى. كان لها أصداء عظيمة فى التاريخ.

فلقد حلّل مفكرو منف آلية الفكر وما يعقبه من فعل تحليلًا ثاقبًا، فمن خلال بحثهم الصغير حول المعرفة، كانت الحواس تولّد الانطباعات التى تتكون فى القلب وهو مركز العقل عند المصريين، وعن القلب تصدر الإرادة والرغبة، ويأمر بتنفيذها عن طريق الكلمة وهكذا يحدث الفعل.

هكذا فعل بتاح عندما أقدم على الخلق، فى البدء تصوّر فى قلبه ما يُشبه نموذجًا للعالم، ثم أفصح عنه، فأتت الكائنات والأشياء إلى الوجود[1].

ويرى الأستاذ الكبير چيمس هنرى برستيد عالم المصريات أن عقيدة بتاح هى أساس مذهب الخلق بالكلمة Logos عند الإغريق الأقدمين، وكانت الدعوات والصلوات المحفوظة عن عبادة بتاح التى كانت أقرب تلك الديانات إلى المعانى الروحية ما يلى: «ومنه يبدأ الفهم والمقال فلا ينبعث من ذهن ولا لسان فكر أو قول بين الأرباب أو الناس أو الأحياء أو كل ذى وجود إلا وهى من وحى بتاح وما وُجد شيء من الأشياء قط إلا بكلمة من لسانه، صدرت عن خاطر فى فؤاده، فكلمته هى الخلق والتكوين».

ونجد أفلاطون يستخدم الكلمة Logos أيضًا للإشارة إلى ذلك المظهر من قوة الإله الخلاّقة التى ينجم عنها تعدد أعماله.

---

(١) فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ص٣٢٩.

وباختصار، نجد أن مؤلفى تمثيلية منف نظرًا لكونهم كهنة ميتافيزيقيين ربما كانوا أول من أحكم وضع مفهوم الكلمة. إن ما لم نجده غير معقول عند أفلاطون وعند ڤيلو السكندرى فى إنجيل يوحنا، وجدير بالذكر أن أول أفكار مدوّنة للإنسان تدور حول قوة الفكر نفسه.

ولو فُسّرت تمثيلية منف تفسيرًا صحيحًا لأوضحت أن عالم الطبيعة والكون هو نتيجة الفطنة المقدسة، ومن ثَمَّ فإن كلًا من الزراعة والحكومة مظهران لهذه الفطنة والإله لم يفكر فى الإنسان على أنه كائن، بل فى تفكيره فيه يفكر خلاله، وبهذا يهديه فى اكتساب تكتيكات مثل الزراعة وغيرها.

ولكن تمثيلية منف تتناول أكثر من قوى الإله الخلّاقة اللا نهائية، وتتناول بالمثل واجب الإنسان تجاه الإله، والإله يفكر جديًا فى الإنسان، والإنسان بدوره يجب أن يفكر جديًا فى الإله، ويجب أن يُبقى على تبعيته للإله من خلال الصلاة، لأن الصلاة ليست مجرد طلب شيء، بل إن الصلاة Προσευχή دعوة إلى مساعدة الفرد[1].

وقد أعلن علماء المصريات بعد دراسة مستفيضة للنصوص الدينية المصرية القديمة، أن الديانة المصرية قد تخلصت من طابعها البدائى قبل أى شعب آخر من الشعوب المجاورة وغير المجاورة، ومضت قُدمًا نحو التوحيد الإلهى. ووصلت إلى أرقى التصورات العقلية فيما يتعلق بطبيعة الإله الخالق وعلاقة الخالق بالمخلوقات، والثواب والعقاب وما بعد الموت (العالم الآخر) Αλλος - Ἰωή - Αλλη.

وهذا هو الميراث الذى أخذه العبرانيون والإغريق ونسبوه إلى أنفسهم تحت ما يسمى بالدين أو الفلسفة[2].

والراعى الأول لعقيدة التوحيد هو الفيلسوف إخناتون الذى أقام فلسفته على فكرة الوصول إلى الحقيقة الكاملة للأشياء، وأقام ثورته الدينية والاجتماعية بهدف تغيير الأوضاع الاقتصادية والدينية فى البلاد وذلك فى إطار فلسفى شامل لشكل

---

(١) أ. و. ف. توملين: فلاسفة الشرق، ص٤٠-٤٣.

(٢) والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. ص٢٤٩.

جديد للحياة يتسم بالعالمية، وقد تم ذلك فى إطار فلسفى جديد ورؤية جديدة فى شتى المجالات، ومنها العقائدية ووسائل الحُكم والشكل الطبقى للمجتمع المصرى ووضع مدرسة جديدة للفن المصرى.

وبالنسبة للحُكم والسياسة فأنشأ إخناتون فلسفة جديدة للحكم تقوم على مبدأ المساواة بين أفراد الشعب، حيث اعتبر المساواة جزءًا لا يتجزأ من الحقيقة[1] وبذلك كتب إخناتون الفقرة الأولى من الدستور الإخناتونى.

وكان إخناتون يؤمن بحلول الإله فى الأشياء من حيث حلول الحياة، ومن ثَمَّ فإخناتون أول من قال بوحدة الوجود من خلال مبادئه وأفكاره الفلسفية، وأيقظ إخناتون الوعى الفنى والجمال وقام بثورة فنية جديدة من خلال ثورته الدينية، وأنشأ أسلوبًا جديدًا للفن المصرى وكان هو المُعلم والراعى الأول لهذا الفن فن العمارنة، ومما سبق يتضح لنا أن إخناتون يُعدُّ رمزًا للفلسفة المصرية القديمة، ونتاج عام لتلك الفلسفة ونتاجًا خاصًا لمدرسة عين شمس.

لا شك أن العلم والحكمة قد تأصلا فى وادى النيل منذ قديم الزمان، فنجد إله الحكمة تحوت كان يُمثّل بمعنى ما العقل السماوى الذى نطق بالكلمات التى أوجدت العالم وقام بتنفيذها الإله بتاح وخنيمو، ونظرًا لمعرفته بسر الكتابة فقد أُضفيت عليه قدرة سحرية فائقة، تمثلت فى الأسطورة الأوزيرية التى تقصّ عملية شفاء عين حورس التى أصابها ست بلعاب تحوت، وسوف ينسب له الإغريق كل ما يتعلق بالسحر والهرمزية نسبة إلى نظيره اليونانى هرمز. هذه القدرة السحرية تفسّر حرص المتوفى

---

(١) هى من أهم الخصائص للفكر المصرى للتوصل إلى أرقى التصورات العقلية فيما يتصل بالكون والعالم والإنسان (تحت ما يسمى بالإلهة ماعت) ثم التعبير عن هذه التصورات لا بأفكار مجردة (كما فعل الفلاسفة اليونان) ولكن بالتجسيد الحى. واعتبرت ابنة الإله (رع) وزوجة «تحوت» إله الحكمة، وفى تجسيدها المادى صُوّرت بهيئة سيدة جالسة تحمل على رأسها ريشة العدل والحق. وقد توحدت فى اللاهوت المصرى بكل من الإله والملك، وفى فصل المحاكمة تظهر الإلهة ماعت فى صورتين إحداهما تمثل بالتجسيد القانون الوضعى والأخرى القانون الأخلاقى أو القانون الإنسانى والإلهى.

والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. ص٢٥٦، ٢٥٧.

د. عبد العزيز صالح: الأسرة فى المجتمع المصرى القديم، المكتبة الثقافية (٤٤)، دار القلم، ١٩٦١، ص٧٢.

على شفاعة تحوت لحمايته من القوى الشريرة، كذلك فهو يستطيع منح المتوفى ملايين السنوات من الخلود ،كما أن تحوت يتمثل فى عدة أشكال؛ منها صورة إنسان برأس طائر أبى منجل أبيس أو فى صورة قرد ممسكًا بأدوات الكتابة. ويذكر عالم المصريات فرانسوا دوماس أنه قد وصلت إلينا باسم تحوت مجموعة كاملة من البحوث الفلسفية مكتوبة بالإغريقية ومصطبغة بالصبغة الأفلاطونية الحديثة؛ وإن تضمنت قدرًا مهمًا من الآراء المصرية القديمة(1).

كذلك نجد أثر الفلسفة المصرية القديمة واضحًا على الفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أفلاطون، ودليل ذلك اعتراف أفلاطون نفسه بأسبقية الفكر المصرى القديم بل وتأثره بهذا الفكر عندما علّق على نص الكاهن المصرى وهو يحاور سولون المشرّع الآثينى (وهو أيضًا جدّ أفلاطون) أثناء وجوده فى مصر ليعرف من الكاهن المصرى النظم السياسية والتشريعات التى كانت موجودة فى عصور اليونان القديمة، والتى احتفظت بها سجلات الكهنة فى مصر عن طريق مكتبات وجامعات مصر القديمة والتى تحتوى على كنوز ومعارف حضارة مصر القديمة منذ آلاف السنين؛ وذلك لطبيعة أرض مصر الجغرافية والتى حباها الله بالحماية والعناية الإلهية من كوارث الطبيعة الغادرة(2).

فمبدأ الأضداد لم يكن وجوده عند أفلاطون أولًا بينما نجد أن مصدره الأصلى. (نظم الأسرار المصرية)، حيث كان (مبدأ الأضداد) لا تُمثّله فقط أرواح الآلهة ذكورًا وإناثًا على نحو ما نجد فى أوزيريس وإيزيس، بل أيضًا أزواج الأعمدة فى واجهة المعابد المصرية.

كذلك (مبدأ العقل الكوني) أو (نفس العالم) منسوب أيضًا إلى أفلاطون، والواقع أن مبدأ العقل الكونى نشأ عن نظام الأسرار المصرى الذى ارتبط بتمثيل الإله أوزيريس فى جميع المعابد المصرية برمز العين المبصرة، وهذا الرمز لا يدل على البصر فقط الذى تجاوز المكان τόπος – θεσις والزمان Χρόνος أى البصيرة، بل يدل أيضًا على المعرفة الإلهية التى تحيط بالكون، باعتباره العقل الأعظم الذى خلق الكون.

(1) والس بادج: كتاب الموتى الفرعونى. ص٢٥٥، ٢٥٦.

(2) Plato: Timacus. p.194.

انظر: د. حسن شحاتة سعفان: أساطين الفكر السياسى. دار النهضة العربية، ١٩٦٦، ص٢٣، ٢٤.

ومبدأ الصانع الأول (الديمورج) لم يبدأ على الإطلاق على يد أفلاطون، بل كان منتشرًا فى بلاد الشرق وخاصة مصر ويرجع تاريخه إلى قصة الخلق فى مصر منذ أربعة آلاف سنة ق.م. والموجودة ضمن فقه إلهيات ممفيس فى تفسير نشأة الكون والذى نشأ أصلًا فى الديانة المصرية القديمة ونظام الأسرار المصرى.

والهدف الرئيس لنظم الأسرار المصرية قديمًا هو «خلاص النفس الإنسانية»؛ إذ كان المصريون القدماء يعتقدون أن جسم الإنسان سجن تحيا فى داخله النفس مقيّدة بعشرة أغلال. وأن هذا الوضع لم يؤدِّ فقط إلى بقاء الإنسان منفصلًا عن الإله؛ بل جعله خاضعًا لعجلة إعادة الميلاد أو التناسخ μετενσάρκωσις والسبيل إلى الهروب من هذا الوضع: يجب على المريد المبتدئ أن يحافظ على الوصايا العشر التى تعلّمها فى نظم الأسرار لكى يصبح مؤهلًا للوصول بنفسه لمرحلة التشبه بالإله وهذا التحول عُرف باسم الخلاص. إنه يضع المريد المبتدئ فى تناغم مع الطبيعة والإنسان والإله. إنه تأليه للإنسان بمعنى جعل الإنسان شبيهًا بالإله وكان هذا الهدف إذا ما تحقق يُعرف بالخير الأسمى.

وبالنسبة للفضيلة فهى حسب تعريف أفلاطون لها «نظام أو انضباط النفس» وهذا المعنى يتفق مع غرض الوصايا العشر لنظم الأسرار المصرية، حيث أن مبادئ الفضائل Ἀρετές العشر أو الأغلال العشرة قديمة قدم التاريخ المصرى ذاته وكل وصية أو مبدأ تنظيمى يُمثل مبدأ لإحدى الفضائل.

ومهمة كل فضيلة إزالة قيد من القيود، ومن ثَمَّ فإن حياة الفضيلة مقدمة Προοίμιον وتمهيد للخبرات التالية أى الطقوس والشعائر التى تُفضى إلى الكمال التدريجى وإلى تأليه المريد أى المتشبِّه بالإله[1].

ومنسوب لأفلاطون أنه اختزل جميع الفضائل إلى أربع فضائل أساسية، وإنه اعتبر الحكمة أرفعها مكانة حسب الترتيب التالى: الحكمة- الجَلَد- الاعتدال- العدالة.

أما بالنسبة لفكرة الخير فقد تكوّنت لدى أفلاطون نتيجة الأبحاث التى قدّمها أستاذه سقراط لتعريف الأخلاق والمفاهيم الاجتماعية، وقد اختار أفلاطون الشمس

---

(١) چورچ چى. إم. چيمس: التراث المسروق، ص١٠٥، ١٠٦.

Ηλιος كمركز لفكرة الخير، ويمكن تفسيرها عن طريق نصوص عديدة من الشعر الحديث ومن أدب عبادة الشمس، ومن الطريف مقارنة ما قاله أفلاطون عن الشمس بأنها المصدر الرئيس للضوء Φως والحرارة والحياة والنماء وجميع الأشياء بلغة العلم الحديث. فمثلًا يقول هربرت سبنسر:

«حتى وقت اطِّلاعى على ملخص علم الفلك لم أكن أعلم أن أشعة الشمس هى المصدر الأصلى لكل حركة تقريبًا تحدث على سطح الأرض».

وهناك جملة واضحة توضح فكرة الخير عند الله فيقال: «إن الشمس هى الشيء الذى جعله الله رمزًا مرئيًا Ὁρατός لذاته».

ولغة أفلاطون فى حديثه عن الإله أخذها من العقائد التقليدية ووظّفها لتكون معارضة للكفر.

ومن الواضح أن أفلاطون قد استقى أفكاره الخاصة بالعقائد الإيمانية؛ وخاصة فكرة الخير واختيار الشمس، رمزًا لها من قدماء المصريين وتأثرهم بالشمس فى الديانة المصرية القديمة، لما تُمثّله لهم من أهمية كبيرة فى مختلف عقائدهم.

كذلك يتضح مدى تأثير الفكر المصرى القديم على فلسفة أفلاطون؛ مما جعله يقوم بنقل كثير من هذا الفكر ليقيم عليه بعض نظرياته الخاصة بتكوين العالم والسياسة وهذا ما نجده واضحًا فى محاورة الجمهورية وطيماوس، مما دفع كثيرًا من الباحثين أن يتبيّنوا هذا التشابه الشديد بين أفكار قدماء المصريين والموسوم بنظم الأسرار المصرية وبين أفكار وفلسفة أفلاطون.

فمن الباحثين الذين صرّحوا بأن أفلاطون ليس هو مؤلف محاورة الجمهورية والطيماوس (جروت وشارشميدث)، ومن المؤرخين القدماء أرسطوخينوس وفافورنيوس وديوچين لايرتيس الذى جاء فى (كتابه الثامن ص٣٩٩-٤٠١) أن أفلاطون حينما زار ديونسيوس Διονύσιος فى صقلية دفع إلى فيلولاوس وهو فيثاغورى

أربعين مينا إسكندريًا من الفضة مقابل كتاب نسخ منه كل محتويات محاورة طيماوس[1]. الـذى حدد فيهـا نظامًـا كونيًا من خـلال الحديث المنفرد الـذى يلقيـه الفيثاغورى عن حقائق العلم وأفكار الأساطير، والمناقشات النفّاذة عن طبيعة الفضاء أو المكان والحركة والزمن باعتباره «الصورة المتحركة الخاصة بالخلود Άνηθικότης» وحركات الأرض والكواكـب، ويتضمـن الكتاب أيضًا رؤية أسـطورية عن خلق العـالم من الفوضى لأنه «راغب فى أن يُصبح كل شيء مشـابهًا له بقدر الإمكان». ولكن أفلاطون عندما يتناول تفاصيل الخلق يسمح لنفسه بقدر كبير من التفكه إذ يُطور وجهة النظر القائلة إن ما هو كائن قد كان؛ لأن من الأفضل له أن يكون ورءوسـنا مسـتديرة لأن الكرة هى الشـكل الكامل، والقواقع تسكن قاع البحر لأنها كانت فى وقتٍ ما أغلظ الأرواح وأكثرها تلوثًا بالوحل، وبالرغم من شـدة غموض طيماوس، لأن العلم فيها شديد البُعد عنا والهدف منه شـديد الغموض، ومن المحال أن نحكم على مدى الجدّية التى كان أفلاطون يتوقع منـا أن ننظر إليه بها، ولكن هناك مع ذلك فكـرة عظيمة تكمن خلف تلك المحاورة، إذ إن أفلاطون يحاول أن يوضح مفهومه عن العالم باعتباره «إلهًا مرئيًا وصورة للإله الذى يمكن معرفته»[2].

كذلك بالنسبة لكتاب الجمهورية يُصرّح كذلك الباحثون المحدثون والمؤرخون القدماء أن موضوع الجمهورية ليس مؤلفه أفلاطون، حيث إنه موجود فى كتاب المناظرات (لبروتا جوراس ٤٨١-٤١١ق.م.) كذلك الصورة المجازية الموجودة ضمن المحاورة عن سائق العربة ذات الجوادين المجنَّحين هى وصف لخاصية النفس Ψυγή ومصيرها فى ساحة العدالة خلال مشهد يوم الحساب فى الآخرة من (كتاب الموتى) حيث لم توجد العربة الحربية فى تاريخ حروب اليونان مطلقًا، فمن الواضح أن أفلاطون اقتبس تلك القصة المصرية ونسبها لمؤلفاته.

ففى هذه القصة نجد أوزيريس رئيس العدالة ورئيس العالم غير المرئى مستويًا على العرش وعلى جانبيه نفتيس وإيزيس وجلس حولهم اثنان وأربعون قاضيًا. وبالقرب

---

(١) جورج جى. إم. جيمس: التراث المسروق، ص١٠٩.

(٢) س. م. باورا: الأدب اليونانى القديم، ص١٢٦.

من أوزيريس أربع أرواح حارسة وعلى الجانب الآخر حورس يقدّم المتوفى، بينما ينتصب فى وسط الساحة ميزان العدالة الذى أقامه أنوبيس وعلى جانبى الميزان الإلهة ماعت، ونجد توت يُمسك لفافة البردى ليسّجل عليها عملية الوزن، وبعد ذلك يتلقّى حورس السجل من توت ويقدمه إلى أوزيريس وينطق بالحكم سواء بالثواب أو العقاب ونلاحظ من تلك القصة:

أولًا: حركة ميزان مشهد يوم الحساب تتطابق مع حركة الجوادين المجنحين صعودًا وهبوطًا.

ثانيًا: الكيفيات المناقضة التى تم وزنها تتطابق مع الكيفيات المناقضة التى لدى الجوادين النبيل والشرير.

ثالثًا: مثال العدالة الذى يرمز إلى مشهد يوم الحساب يتطابق مع فكرة العدالة التى رسمتها الصورة المجازية.

رابعًا: الجوادان المجنَّحان يتطابقان مع الوحوش الشريرة المروّعة فى عهد يوم الحساب[1].

ومن المؤكد أن العربة الموجودة فى القصة المجازية لم تكن نمطًا ثقافيًا عند اليونانيين القدماء فى زمن أفلاطون ولم يكونوا يستخدمونها فى الحرب. وكذلك الثقافة والتراث اليونانيان لم يزوّدا أفلاطون بفكرة العربة ذات الجوادين المجنحين، وأن الأمة الوحيدة المجاورة لليونان والتى تخصصت فى صناعة العربات وتربية الخيول هم المصريون.

وأكد هوميروس وديودور الصقلى اللذان زارا مصر بأنهما شاهدا أعدادًا كبيرة من العربات الحربية والإصطبلات على طول ضفتى النيل[2].

وبما أن مشهد يوم الحساب فى كتاب الموتى الفرعونى يكشف عن كل الفلسفة المتضمنة فى الصورة المجازية، فهذا دليل على نقل أفلاطون لتلك القصة ولم يكن هو الذى قام بتأليفها، على الأرجح.

---

(١) جورج جى. إم جيمس: التراث المسروق، ص١٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص١١٠.

وتأثر أفلاطون بالأساطير واستخدمها كذلك فى مذهبه الكونى. وكانت غاية أفلاطون أن يوفّق بين بعض المدلولات الكوزمولوچية مع التصور الغائى للكون والمطالب الأخلاقية. وكانت نقطة البدء عنده هى فكرة الثواب والعقاب التى كانت هدف مشهد المحاكمة فى مشهد الحساب فى كتاب الموتى الفرعونى. وقد قدّم أسطورة عن طبيعة الأرض التى نعيش عليها، وهى أن الأرض تنقسم إلى ثلاث طبقات، الأرض العليا وهى التى توجد فى الجزء الخالص من العالم ونحن لا ندركها ومثلها مثل «السماء التى يسكنها الأبرار فى العالم الآخر بالنسبة لقدماء المصريين» وصورة هذه الأرض العليا هى منطاد مزخرف بألوان منسجمة ويعيش فيها أناس أكثر حيوية وصحة ويُعَمّرون كثيرًا وحواسهم وعقولهم أذكى وأحدّ؛ وكذلك يرون الشمس الحقيقية والقمر الحقيقى وهم يعيشون فى معابد الآلهة وسعادتهم لا تفوقها سعادة.

والأرض الثانية هى المتوسطة وهى التى نعيش عليها، أما الأرض الداخلية فهى كثيرة التجاويف وأكثر عمقًا واتساعًا من أرضنا ومنها تنبع كل الأنهار؛ وأهمها أربعة: (أوقيانوس) أو المحيط، والثانى هو (الأشيرون) والثالث هو (أمهر البرفليجتون) والرابع هو نهر (كوكيت)[1] وهذا هو توزيع الأرض الداخلية وإلى تلك الأرض تصل أرواح الموتى.

وهنا يربط أفلاطون بين الطبيعة وما بعد الطبيعة، بين تكوين الأرض الثلاثية وخلود النفس. يصل الموتى إلى ديار هادس وكل معه قرينه المكلّف به، حيث يُحاكمون، حتى أولئك الذين كانت حياتهم جميلة وقديسة، الفلاسفة والحكماء والمتطهرون[2].

فقد تأثر أفلاطون بالتشريعات والنظم السياسية المصرية، وكانت النواة الأولى لفكرة الحُكم والسياسة فى مدينته (الدولة) التى كان يأملها، بل عمل على تكوين وجهة النظر الأفلاطونية فى السياسة وأضاف إليها كثيرًا، من أمور التربية والتعليم والزواج وغير ذلك من أمور الحكم والسياسة من وجهته الفلسفية.

---

(١) هو اسم أحد الآلهة الثمانية التى قامت بعملية الخلق الخاص بالكون ومعناه الظلمة الأولى والتى نشأت فى مدينة الأشمونين فى مصر القديمة.

(٢) أفلاطون: الأصول الإفلاطونية – فيدون، ص١٧٥–١٧٧.

وبالنسبة لنظرته إلى الفن[1] وخاصة التصوير والنحت فقد عارض بدعة استخدام المنظور وأساليب الخداع البصرى، وأخذ يُطالب الفنان بالتزام النسب والمقاييس المثالية للنماذج القديمة، [ووجد فى الفن المصرى القديم أمثلة تبين أفضلية المحافظة على التقاليد الموروثة وضرورة التعبير عن القيم الأخلاقية والدينية المقدسة عن طريق المحافظة على الأساليب الرمزية ذات الدلالات الثابتة].

ونجد أفلاطون فى الشرائع يظهر إعجابه بالفن المصرى الذى يلتزم القواعد القديمة (الشرائع - الكتاب الثانى. ص٤٤)[2].

كذلك نجد أن أفلاطون امتد تأثره بالفكر والفلسفة المصرية القديمة ليشمل أيضًا خلود النفس وعالم المُثل (الخير)، والفلسفة الأفلاطونية قد تجاوزت حدود العقلانية الإغريقية، واتجهت إلى روح الفكر الشرقى الدينى. فنظرية النفس وخلودها هى دون شك نابعة من الفكر المصرى القديم، حيث أن الحضارة المصرية القديمة قامت على أساس عقيدة عبادة الشمس (الخير) وخلود النفس الإنسانية (عقيدة البعث).

وكانت الشمس عند المصريين القدماء هى الرمز المحسوس للألوهية، وكانت مصر كلها تدين بعبادة الشمس وتتلمّس صفحها وغفرانها، وتوغلت هذه العبادة فى نفوس المصريين القدماء وخاصة عندما نادى بعبادتها الملك الفيلسوف إخناتون، وكانت الشمس هى خير الوجود والحياة الدائمة، وقال أفلاطون عن الخير إنه شمس المُثل أو شمس العالم المعقول.

وبالنسبة لخلود النفس أو عقيدة البعث بعد الموت، كانوا يعتقدون أن أرواح الموتى تستطيع مغادرة القبر والعودة إلى الجسد فى شكل طائر.

---

(١) أفلاطون: فايدروس، ترجمة وتقديم: د. أميرة حلمى مطر، الطبعة الأولى، دار المعارف، ١٩٦٩، ص١١.
(٢) د. حسين حرب: أفلاطون، ص١٧١، ١٨٦.

وكانت النفس فى نظر اليونانيين مجرد شبح حائر يتجول على الأرض بين الأحياء من الناس. وقد قدم لنا أفلاطون نظريته عن النفس وخلودها[1]؛ متأثرًا كل التأثر بالأفكار المصرية القديمة التى درسها وتعلقت بذهنه مثلها مثل سائر المعتقدات الأخرى التى لاقت قبول وإعجاب أفلاطون أثناء دراسته فى معابد ومعاهد مصر القديمة، ثم نقلها إلى اليونان ولكنها مصطبغة بالصبغة الأفلاطونية.

(١) د. نازلى إسماعيل: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٤٥، ٢٤٦.

• قائمة المصطلحات

م	عربي	يوناني	إنجليزي
١	المطلق	Ἀπόλυτος	Absolute
٢	الهواء	Ἀήρ	Air
٣	بعد	μετα	After
٤	التحليل	Ἀναλυσις	Analysis
٥	الفن	τεχνη,ή	Art
٦	الفلك	Αστρονομια	Astronomy
٧	جميل	Ωραιος - καλός	Beautiful
٨	قبل	Πρίν	Before
٩	موجود	όν	Being
١٠	علة	Αίτια	Cause
١١	دائرة	Κύκλος	Circle
١٢	التأمل	Σκεψη	Contemplation
١٣	الاعتقاد	Καταδίκη	Conviction
١٤	نشأة الكون	Κοσμογονία	Cosmogony
١٥	الخلق	Δημιουργία	Creation
١٦	الصانع	Δημιουργος	Demiurge
١٧	ديمقريطس	Δημόκριτος	Democritus
١٨	الجدل	Διαλεκτική,η΄	Dialectic
١٩	ديونسيوس	Διονύσιος	Dionysius
٢٠	التنبؤ بالغيب	μαντική,η΄	Divination
٢١	مذهب	Δογμα	Doctrine
٢٢	مصر	Ἀίγύπτος	Egypt

م	عربي	يوناني	إنجليزي
٢٣	النهاية	τέλος	End
٢٤	ماهية	τότίήν είναι	Essence
٢٥	الأخلاق	Έθική	Ethics
٢٦	الوجود	Ύπαρζη	Existence
٢٧	النار	Φωτία - Θερμον	Fire
٢٨	الآلهة	θεοί	God
٢٩	الخير	Καλός	Good
٣٠	هيرقليطس	Ήράκλειτος	Heraclitus
٣١	هوميروس	Όμηρος	Homer
٣٢	المُثل	Ιδεές	Ideas
٣٣	جهل	Άγνοια	Ignorance
٣٤	المحاكاة	μεμησις	Imitation
٣٥	الخلود	Άνηθικότης	Immortality
٣٦	الفرد	Άτομος - Ίδιωτης	Individual
٣٧	العدالة	δικη	Justice
٣٨	العلم	επιστήμη,ή	Knowledge
٣٩	المعرفة	Γνώσις	Knowledge
٤٠	الضوء	Φως	Light
٤١	القوانين	Νόμοι	Laws
٤٢	المنطق	λόγος	Logic
٤٣	الحب	Άγάπη	Love
٤٤	الرياضيات	μαθηματικά	Mathematics

إنجليزي	يوناني	عربي	م
Matter	ὕλη	مادة	٤٥
Metaphysics	μεταφυσική	الميتافيزيقا	٤٦
Motion	κίνησις	حركة	٤٧
Method	μεθοδος	منهج	٤٨
Multiplity	Πολλαπλοτητα	التعدد	٤٩
Mythology	Μυθολογια	مجموعة الأساطير	٥٠
Nature	φυση	طبيعة	٥١
Nous	Νους	العقل	٥٢
Number	Ἀριθμός	الأعداد	٥٣
Ontology	Ὀντολογία	علم الوجود	٥٤
Other worldness	Αλλη - Ἰωή - Αλλος	العالم الآخر	٥٥
Philosopher	Φιλοσοφός ,ὁ	الفيلسوف	٥٦
Philosophy	Φιλοσοφία	الفلسفة	٥٧
Place	τόπος - θεσις	مكان	٥٨
Plato	Πλάτωνα	أفلاطون	٥٩
Pleasure	Ἀπάλαυσις	السعادة	٦٠
Political thought	Πολιτική σκεψις	فكر سياسي	٦١
Potency	Δονάμις	القوة	٦٢
Powers	Ισχύς - εζουσία	قوى	٦٣
Prayers	Προσευχή	الصلاة	٦٤
Preface	Προοίμιον	مقدمة	٦٥
Reality	Ἀλήθεια	الحقيقة	٦٦

إنجـليزي	يونانـي	عـربي	م
Reincarnation	μετενσάρκωσις	التناسـخ	٦٧
Relation	Σχεση	علاقـة	٦٨
Religion	θρησκεία	ديـانة	٦٩
Republic	Δημοκρατία	الجمهـورية	٧٠
Soul	Ψυγή	الروح أو النفس	٧١
Substance	ουσιαι	الجوهـر	٧٢
Sun	Ηλιος	الشمـس	٧٣
Timaeus	Τιμαϊος	طيمـاوس	٧٤
Time	Χρόνος	الزمـان	٧٥
Thought	Φρονησις , ςως,ή	الفكـر	٧٦
Unity	Ένό - τητα - Ένοτης	الوحـدة	٧٧
Virtues	Άρετές	الفضائـل	٧٨
Virtues is Knowledge	ρετή είναι δνώσις	الفضيلة علم	٧٩
Visible	Όρατός	مـرئيا	٨٠
Water	Yδωρ	المـاء	٨١
Will	θεκεση	إرادة	٨٢
Wisdom	Σοφία,ή	حكمـة	٨٣

قائمة المراجع

أولًا: المراجع العربية:

١ ـ إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٩م.

٢ ـ إبراهيم مدكور ويوسف كرم: دروس فى تاريخ الفلسفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٣.

٣ ـ أحمد أمين وزكى نجيب محمود: قصة الفلسفة اليونانية، الطبعة السابعة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٧٠.

٤ ـ أحمد بدوى: فى موكب الشمس، الجزء الأول، الطبعة الأولى، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٠.

٥ ـ أحمد فخرى: مصر الفرعونية (موجز تاريخ مصر من أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق.م.)، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٨٩.

٦ ـ أحمد محمد عوف: عبقرية الحضارة المصرية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

٧ ـ أرسطوطاليس: فى النفس، تحقيق د. عبد الرحمن بدوى. النهضة المصرية، ١٩٥٤.

٨ ـ إرمان، أدولف: ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

٩ ـ أفلاطـون: الأصول الأفلاطونية وفيدون: ترجمة: نجيب بلدى وعلى سامى النشار، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦١.

١٠ ـ أفلاطــون: ڤايدروس، ترجمة وتقديم: د. أميرة حلمى مطر، الطبعة الأولى، دار المعارف، ١٩٦٩.

١١ ـ أفلاطون: محاورة بروتاجوراس، ترجمها للإنجليزية: بنيامين جويت، ترجمها للعربية: محمد كمال الدين على يوسف، راجعه: د. محمد صقر خفاجة، العدد ١٥١، شخصيات ومذاهب، دار الكاتب العربى. ١٩٦٧.

١٢ ـ ألدريد، سيريل: إخناتون، ترجمة أحمد زهير أمين، راجعه د. محمود ماهر طه، الألف كتاب الثانية، العدد المئوى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

١٣ ـ إلياد، مرسيا: مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطه، دار كنعان للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

١٤ ـ إمام عبد الفتاح: أفلاطون والمرأة، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولى. ١٩٩٦.

١٥ ـ أميرة حلمى مطر: الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ١٩٨٧.

١٦ ـ أميرة حلمى مطر: الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية، ١٩٧٤.

١٧ ـ أنور عبد العليم: قصة الحياة ونشأتها على الأرض، دار العلم، ١٩٨٥.

١٨ ـ أوفيد: مسخ الكائنات، ترجمة ثروت عكاشة، راجعه عن الأصل اللاتينى د. مجدى وهبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

١٩ ـ إيلربت، س. س: فلسفة الأخلاق والعلوم، ترجمة: لطف الله لطفى. مطبعة المحيط، القاهرة، د.ت.

٢٠ ـ إيمار، أندريه وجانين أوبو إيه: موسوعة تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة)، ترجمة: فريدم دانمر - فؤاد أبو ريحان، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، بيروت - باريس ١٩٩٣.

٢١ ـ بادج، والس: كتاب الموتى الفرعونى. ترجمة فيليب عطية، مكتبة مدبولى. الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

٢٢ـ باورا، س.م: الأدب اليونانى القديم، ترجمة: على زيد وأحمد سلامة، راجعه: د. محمد صقر خفاجة، الألف كتاب - ٥٦٠- دار سعد، مصر - القاهرة، د.ت.

٢٣ـ باول، چون: الفكر السياسى الغربى. ترجمة: محمد رشاد خميس، راجعه: د. راشد البراوى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.

٢٤ـ برستيد، جيمس هنرى: تاريخ الحضارات الشرقية القديمة (انتصار الحضارة)، ترجمة: أحمد فخرى. مطبعة وزارة التعليم، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٢٥ـ برستيد، جيمس هنرى: تاريخ مصر من أقدم العصور حتى العصر الفارسى. ترجمة: حسن كمال، راجعه: محمد حسنين الغمراوى. الألف كتاب العدد (٦٨)، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.

٢٦ـ برستيد، جيمس هنرى: فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

٢٧ـ برنال، مارتن: آثينا السوداء، ترجمه وراجعه: د. أحمد عتمان، الجزء الأول، المجلس الأعلى، ١٩٩٧.

٢٨ـ بوزنر، جورج: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، راجعه: د. سيد توفيق، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.

٢٩ـ تشرنى. ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدرى. راجعه: محمود ماهر، الجزء السادس، مشروع المائة كتاب، سلسلة الثقافة الأثرية، د.ت.

٣٠ـ توماس، هنرى: أعلام الفكر الأوروبى من سقراط إلى سارتر، ترجمة: عثمان نويه، الجزء الأول، دار الهلال، د.ت.

٣١ـ توماس، هنرى: أعلام الفلسفة كيف نفهمهم، ترجمة: مترى أمين، دار النهضة العربية، ١٩٦٤.

٣٢- توفيق الطويل: قصة النزاع بين الفلسفة والدين، الكتاب الرابع، مكتبة الآداب، مصر، د.ت.

٣٣- توملين، أ. و. ف: فلاسفة الشرق، ترجمة: عبد الحميد سليم، راجعه: على أدهم، دار المعارف، ١٩٨٠.

٣٤- تيلور: القوانين لأفلاطون، ترجمة: محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

٣٥- جريمال، نيقولا: تاريخ مصر الفرعونية، ترجمة ماهر جويجاتى. راجعه: زكية طابوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، د.ت.

٣٦- جعفر آل ياسين: فلاسفة يونانيون – العصر الأول، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١.

٣٧- جيمس، جورج جى. إم: التراث المسروق (الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة)، ترجمة: شوقى جلال، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٦.

٣٨- حسن شحاتة سعفان: أساطين الفكر السياسى. دار النهضة العربية،١٩٦٦.

٣٩- حسن عبد الحميد: مدخل إلى الفلسفة (معناها وتطورها وأهم مشكلاتها)، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس،١٩٧٧.

٤٠- حسين حرب: أفلاطون، دار الفكر اللبنانى. د.ت.

٤١- دوكاسيه، بيير: تاريخ الفلسفات الكبرى، ترجمة: جورج يونس – كمال يوسف، الطبعة الأولى، منشورات عويدان، بيروت – لبنان، ١٩٦٠.

٤٢- دوما، فرانسوا: حضارة مصر الفرعونية، ترجمة ماهر جويجاتى. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨.

٤٣- دوماس، فرانسوا: آلهة المصريين، ترجمة: زكى سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

٤٤ ـ ديورانت، وول: قصة الحضارة، ترجمة: زكى نجيب محمود، دار الجيل، المجلد الأول والثانى. بيروت، ١٩٧١.

٤٥ ـ ديشان، هوبير: الديانات فى أفريقيا، ترجمة: أحمد صادق حمدى. راجعه: محمد عبد الله، الألف كتاب (٥٢)، دار الكتاب المصرى. القاهرة، ١٩٥٦.

٤٦ ـ رأفت عبد الحميد: الفكر المصرى فى العصر المسيحى. دار قباء والهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

٤٧ ـ روز، هـ.ج: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: رمزى عبده جرجس، الألف كتاب (٥٦٩)، دار نهضة مصر، ١٩٦٥.

٤٨ ـ رءوف شلبى: الأديان القديمة فى الشرق، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٩ ـ رءوف عبيد: فى العودة للتجسد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم، دار الفكر العربى. القاهرة، ١٩٧٦.

٥٠ ـ سبنسر، أ. ج: الموتى وعالمهم فى مصر القديمة، ترجمة: أحمد صليحة، الألف كتاب الثانى (٣٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

٥١ ـ ستيس، ولتر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤.

٥٢ ـ سليم حسن: أبو الهول (تاريخه فى ضوء الكشوف الحديثة)، ترجمة: جمال الدين سالم، راجعه: أحمد محمد بدوى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

٥٣ ـ سليم حسن: الأدب المصرى القديم، أدب الفراعنة، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٠.

٥٤ ـ سليم حسن: الأدب المصرى القديم، أدب الفراعنة، الجزء الثانى. القاهرة، ٢٠٠٠.

٥٥ـ سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

٥٦ـ سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الثانى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

٥٧ـ سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

٥٨ـ سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الخامس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

٥٩ـ سيد كريم: إخناتون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.

٦٠ـ سيد كريم: الحكم والأمثال فى الأدب الفرعونى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.

٦١ـ سيد كريم: لغز الحضارة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.

٦٢ـ شبندروف، أ.: ديانة قدماء المصريين، تعريب سليم حسن، مطبعة المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٢٣.

٦٣ـ شبندورف، ج.: عندما حكمت مصر الشرق، ترجمة: محمد العزب موسى، راجعه: محمود ماهر طه، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى. ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٦٤ـ شرودنجر، إيروين: الطبيعة والإغريق، ترجمة: عزت قرنى. الألف كتاب (٤٢٨)، دار النهضة العربية، ١٩٦٢.

٦٥ـ طه حسين: قادة الفكر، مطبعة المعارف، وزارة المعارف، ١٩٣١.

٦٦ـ عباس محمود العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

٦٧ـ عبد الدايم البقرى الأنصارى: الله الخالق أو نظرية الألوهية ونظرية الخلق، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥.

٦٨ـ عبد الرحمن بدوى: الأصول الأفلاطونية للنظريات السياسية فى الإسلام، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

٦٩ـ عبد الرحمن بدوى: أفلاطون، سلسلة الينابيع، الطبعة الرابعة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

٧٠ـ عبد العزيز صالح: الأسرة فى المجتمع المصرى القديم، المكتبة الثقافية، دار القلم، العدد ٤٤، ١٩٦١.

٧١ـ عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٢.

٧٢ـ عبد العزيز صالح وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر القديمة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.

٧٣ـ عبد الغفار مكاوى: المنقذ (قراءة لقلب أفلاطون)، ترجمة الرسالة السابعة لأفلاطون، كتاب الهلال، العدد (٤٤٠)، ١٩٨٧.

٧٤ـ عبد القادر حمزة: على هامش التاريخ المصرى القديم، المجلد الثانى. دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤١.

٧٥ـ عبد الله حسين المصرى: تاريخ الفلاسفة اليونان، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٥٢هـ.

٧٦ـ عزت قرنى: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ١٩٧٩.

٧٧ـ عزت قرنى: الفلسفة اليونانية قبل أرسطو، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، د.ت.

٧٨ـ عصام السعيد: تاريخ العرب فى العصور القديمة (دراسات فى تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم)، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠.

٧٩ـ على إسلام: فلاسفة اليونان الثلاثة، مطبعة مصر، ١٩٥٨.

٨٠ـ علی عبد الواحد وافی: الأدب اليونانی القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعی. دار المعارف - مصر، د.ت.

٨١ـ فاتن عبد الباری: الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الطبعة الثالثة، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ١٩٩٦.

٨٢ـ فاروق فريد: التاريخ الجامع لهيرودوت، العدد ٦، المجلد الخامس، تراث الإنسانية، د.ت.

٨٣ـ فرانكفورت، هنری وآخرون: ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، راجعه: محمود الأمين، بغداد ١٩٥٤.

٨٤ـ فليكوفسكی. إيمانويل: أوديب وإخناتون، ترجمة: فاروق فريد، دار الكاتب العربی للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

٨٥ـ كريم متَّى: الفلسفة اليونانية فی عصورها الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٥.

٨٦ـ كولبه، أزڤلد: المدخل إلى الفلسفة، ترجمة: أبو العلا عفيفی. الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٥.

٨٧ـ كويلرنيج، ن.: الشرق الأدنی، مجتمعه وثقافته، ترجمة: عبد الرحمن محمد أيوب، الألف كتاب، العدد (١٦٦)، د.ت.

٨٨ـ لوبون، غوستاف: الحضارة المصرية، ترجمة: صادق رستم، المطبعة العصرية، ١٩٢٤.

٨٩ـ لودفيغ، إميل: النيل حياة نهر، ترجمة: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

٩٠ـ لولايت، كلير: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتی. راجعه: طاهر عبد الحكيم، المجلد الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٦.

٩١ـ ماسبيرو: تاريخ المشرق، ترجمة: أحمد زكى بك، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م.

٩٢ـ ليستار، إيفار: الماضى الحى (حضارة تمتد سبعة آلاف سنة)، ترجمة: شاكر إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١.

٩٣ـ محرم كمال: آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.

٩٤ـ محمد جمال الدين مختار: تاريخ مصر والعالم القديم، ١٩٧٦.

٩٥ـ محمد حسن وهبة: الرواية اليونانية القديمة، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ١٩٧٨.

٩٦ـ محمد شفيق غربال وآخرون: تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى. المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

٩٧ـ محمد عبد الحميد بسيونى: بانوراما فرعونية، الألف كتاب الثانى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

٩٨ـ محمد عبد القادر محمد: الديانة فى مصر الفرعونية، دار المعارف، د.ت.

٩٩ـ محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفى من طاليس إلى أفلاطون، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعة المصرى ١٩٦١.

١٠٠ـ محمد عوض الله: نشأة الكون ووحدة الخلق، العدد ٤٨٦، دار المعارف، ١٩٨٣.

١٠١ـ محمد غلاب: الفلسفة الإغريقية، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٣٨.

١٠٢ـ محمد فخر الدين: تاريخ الفراعنة، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

١٠٣ـ مختار السويفى: مصر القديمة، دراسات فى التاريخ والآثار، تقديم محمد جمال الدين مختار، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧.

١٠٤ ـ مراد وهبة: قصة الفلسفة، سلسلة اقرأ، العدد٣٠٥، دار المعارف، ١٩٦٨.

١٠٥ ـ مصطفى الكيك: تناسخ الأرواح، القاهرة، ١٩٧١.

١٠٦ ـ مونتيه، بيير: الحياة اليومية فى مصر، ترجمة: عزيز مرقص منصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.

١٠٧ ـ ميكس، ديمترى: الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، راجعه: محمود ماهر طه، الألف كتاب الثانى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

١٠٨ ـ نازلى إسماعيل: تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، ١٩٨١.

١٠٩ ـ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، الطبعة الثالثة، دار العربية، بيروت، ١٩٦٩.

١١٠ ـ نظمى لوقا: الألوهية ومحاكمة العقل، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت.

١١١ ـ هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة: فؤاد زكريا، دار نهضة مصر، ١٩٦٩.

١١٢ ـ هورنونج، إريك: وادى الملوك أفق الأبدية (العالم الآخر لدى قدماء المصريين)، ترجمة: محمد العزب موسى، راجعه: محمود ماهر طه، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى. ١٩٩٦.

١١٣ ـ هولمز، ونفرد: كانت ملكة على مصر، ترجمة: سعد أحمد حسين، راجعه: أحمد فخرى. الألف كتاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١٤ ـ هونكه، زيغريد: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقى. منشورات المكتب التجارى. بيروت، ١٩٦٩.

١١٥ ـ هيدجر، مارتن: ما الفلسفة ؟ ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز ومحمود رجب السيد، النهضة المصرية، ١٩٦٤.

١١٦ ـ وادنبنت، بيل شول: القوة النُفسية للأهرام، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

١١٧ ـ ويلسون، چون: الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد فخرى. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

١١٨ ـ يوسف عز الدين: الله أم الطبيعة، العدد (٧٠)، دار المعارف، ١٩٦٦.

١١٩ ـ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، الطبعة الخامسة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٠.

١٢٠ ـ يوسف كرم: الطبيعة وما بعد الطبيعة، دار المعارف، ١٩٦٦.

١٢١ ـ يويوت، جان: مصر الفرعونية، ترجمة: سعد زهران، الألف كتاب، (٦٠١)، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ١٩٦٦.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1. Budge, E.A. Wallis "From Fetish to God in Ancient Egypt" New York, 1996.
2. Budge, E.A. Wallis "The Gods of the Egyptians Mythology" Volume 2, New York, 1996.
3. Bury J.B "History of Greece، to the Death of Alexander the Great" Macmillan, London, 1967.
4. Cairns H,untington "Legal Philosophy from Plato to Hegel" The Johns Hopkins Press, 13 Baltimore، 1949.
5. Cloge R. "Plato's Theory of Education" Londopn, 1947.
6. Dickinson, Glowes "The Greek View of Life" London, 1946.
7. Edwards, P. (Ed): The Encyclopedia of Philosophy "Plato" Volume 6, Macmillan Publishing Co. New York, 1972.
8. Ehrenbrg, Victor "The Greek State" London, 1973.
9. Eliade, M "A History of Religious Ideas" Vol. I, Chicago, 1978.
10. Fuller B.A.G "A History of Philosophy" MacMurrin, Oxford, New Delhi، 1976.

11. Glotz G, "The Greek City and its Institution" London, 1929.
12. Guthrie, W. K. C. "History of Greek philosophy", The Later Plato and Academy, Volume – V -, 1989.
13. Hegel "The History of Philosophy" Translated from the Germany by: E.S. Haidane and France H. Simson M, A Volume 2, London, 1955.
14. Juddd, Harmon J. "Political Thought from Plato to the Present" New York, 1964.
15. Maxey, Chester C. "Political Philosophy" The Macmillan Co., New York, 1984.
16. O'Leary Delacy, D.D "How Greek Science Passed to the Arabs" London, 1964.
17. Plato "The Republic" translated-out of the Greece by: J.B Skimp Routledge. Regga-Poul، London, 1961.
18. Plato "Timaeus" transited-out of the Greece by: Benyamin, Jowett, New York, The Heritage Press, 1944.
19. Quinton, Anthony "Political Philosophy" Oxford University Press, 1967.
20. Sinclair, T.A. "A History of Greek Political Thought" London Routledge Regan Paul, 1951.
21. Taylor, A.E "Plato the Man and his Work" Methen Co. Ltd, London, 1963.

• الفهـــــرس

الموضوع	صفحة

الموضـــوع	صفحة

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤ - ٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢

مكتبات ووكلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة - بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيروت - الفرع الجديد - شارع الصيدانى - الحمراء - رأس بيروت - بناية سنتر ماريبا
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع - سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد - المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

تونس

المكتبة الحديثة . ٤ شارع الطاهر صفر - ٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض (ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع طريق الملك فهد مع طريق العروبة - هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية - شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة : ٢١٤٨٧ - ت : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ص. ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت: ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية - الجوف - المملكة العربية السعودية - دار الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
ت: ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +
تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب